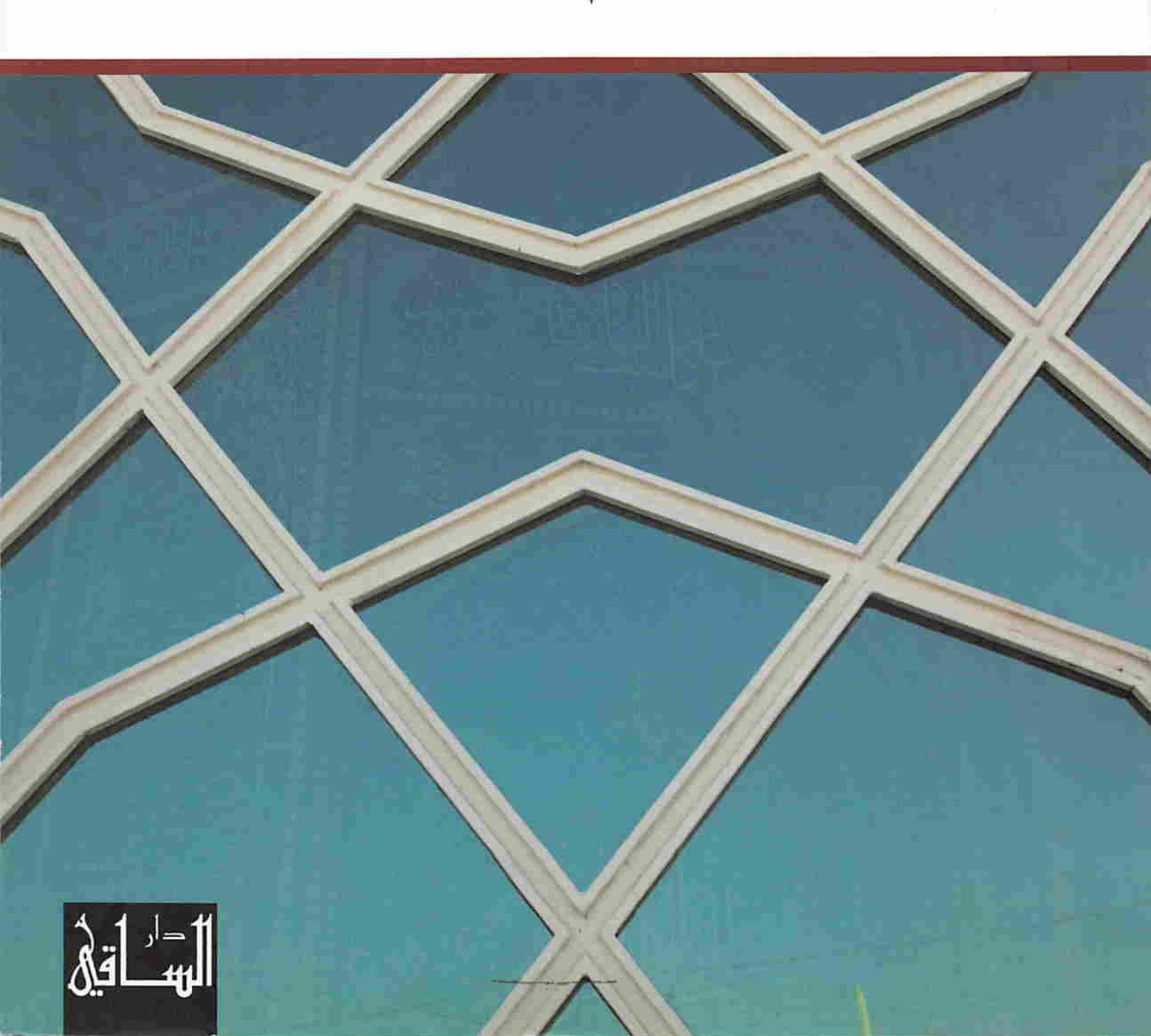
ألدين خرافة أم علم؟

سمير إبراهيم خليل حسن





سمير إبراهيم خليل حسن

ٱلدين خرافة أم علم؟
ٱلاستنساخ
ٱلكلمة

ثلاثة كتب في كتاب واحد



بيروت ـ لندن

الطبعة الأولى ٢٠١١

ISBN 978-1-85516-717-9

دار الساقي
بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ ـ ٢٠٣٣
هاتف: ٨٦٦٤٤٢ ١ ٩٦١+، فاكس: ٨٦٦٤٤٣ ١ ٩٦١+
e-mail: info@daralsaqi.com

محتويات ٱلكتاب

تعريف بٱلكتاب

فى كتبى ٱلثلاثة ٱلأولى باكورة تفكيرى وفهمى للقول فى كتاب ٱللّه ٱلقرءان. وفى هذا ٱلكتاب جمع للكتب ٱلثلاثة وتصويب لأخطآء مختلفة جآءت فى نسختها ٱلأولى ٱلتى لم تنتشر فى سوق ٱلكتاب لأسباب مختلفة كان ٱلناشر ٱلسبب ٱلرئيس من بينها. وبعد أن تعرّفت على ناشر تعهد بتقديم ما يحتاج كتابى من حقّ ٱلعرض له. رأيت نشر كتبى ٱلأولى مرّة أخرى ليكون ما فيها معرّفا على تطور فهمى للقول فى كتاب ٱللّه فيما جآء من بعدها فى كتاب ومقال تبين ما وصل إليه ٱلتطور بفهمى للكلمة فى كتاب ٱللّه.

لقد جعلت ٱلخطّ فى هذا ٱلكتاب بٱلخط ٱلذى ٱتبعته من بعد علمى بٱلفرق بين خطّ ٱللغة ٱلفصحى وخطّ ٱلقرءان. أما فهمى فقد تركته كما هو فى ٱلكتب ٱلثلاثة وزدت فيه ما رأيته من حاجة للبيان.

لن أعرض هنا للتطور ٱلذى حدث على فهمى وتفكيرى ٱلدينىّ. فذلك سيأتى فى ٱلكتب ٱلأخرى ٱلتى سأنشرها لاحقا. ومنها ما نُشر ولم يأخذ حظّه فى ٱلعرض وٱلتوزيع ومنها ما هو جديد.

كان كتاب «ٱلدين خرافة أم علم؟» أوّل أعمالى فى ٱلدين. وقد دفعنىَ إلى ٱلعمل عليه مفهوم «الزواج المدني» ٱلذىَ أثير فى لبنان عام ١٩٩٨ وما كان من مواقف رفض له من جميع رؤسآء ٱلطوآئف ٱلدينية. فكتبت مقال «زواج ٱلمؤمنين» وأرسلته مع صديق لنشره فى صحيفة «ٱلنهار». وبعد حين أبلغنى ذلك ٱلصديق أنّ

ٱلمقال لن ينشر بعد أن كان نشره قد تقرر وأرسل إلى ٱلمطبعة. ولأنى رأيت فى مواقف ٱلطوآئف من ٱلزواج ٱلمدنىّ ما يخالف دين ٱلحقّ ويجعل فى مفاهيمه ٱلعسر ويغلق كل سبيل لليسر إليها. عملت على ٱلمسألة فى كتاب صغير وبه بدأت سلسلة كتب حتى عام ٢٠٠٥ حيث توقفت عن كتابة ٱلكتاب وتوجهت إلى كتابة ٱلمقال على ٱلانترنيت.

كان ورآء عودتىَ إلى ٱلكتاب مرّة أخرى محرّض لن أفصح عنه ٱلأن. لكن سيأتى يوم أبينه.

فى هذا ٱلكتاب توثيق محسّن لتفكيرى فى كتب ثلاثة. سيعقبها تحسين لجميع كتبى ٱلمطبوعة تليها أعمال تبين ما وصل إليه تفكيرى ٱلدينىّ ٱلمسئول ٱلذى لا صلة له بٱلتاريخ ولا بما لدى جميع ٱلطوآئف على ٱختلاف منابعها. فٱلدين عند ٱللّه كما تعرّفت عليه وعلمت به من كتاب ٱللّه ٱلقرءان هو منهاج علوم ٱلحقّ ذاته وهداية للناس فيها جميعها. وليس لمن لا صلة له بعلوم ٱلحقّ صلة علمٍ بٱلدين وبهدايته.

حاجتى من هذه ٱلعودة كانت قآئمة فى نفسى ٱلتى خذلها ٱلناشرون وناصرها ٱلمتابعون على ٱلانترنيت. وٱلمأرب من ٱلعودة هو تعريف مَن يريد متابعة أعمالى ٱلأخرى بمآ أتبعت من منهاج ولسان ووسيلة فىَ أعمالى ٱلأولى. وتعريفه على تطور وسآئلى فيها وعلى مسئوليتى ٱلشخصية عن مفاهيم تشابهت لى بمآ أملك من علم. فقد تعلمت من كتاب ٱلدين كيف أفكر بعلم. وهذا ليس من وسآئل مَن يظن أنه من رجال ٱلدين وهو كاهن وكلّ ما يقوله فى ٱلدين تكهن مجنون. فٱلدين هو دين ٱلحقّ وٱلعلم فى ٱلحقّ له وسآئله.

ٱللاذقية ١٠/ أذار ٢٠١٠

سمير إبراهيم حسن

ٱلدين خرافة أم علم؟

مدخل إلى ٱلبحث

تبيّن كلمة «رسالة» مرسِلا ومرسَلا إليه. كما تبين أمرًا مخطوطًا علىَ ألواح أو قرطاس أو بوسيلة ٱلهاتف وٱلبرق أو ٱلبريد ٱلإلكترونى.

ورسالة ٱللَّه (ٱلقرءان) أُنزلت على قلب ٱلرسول محمد بما يشبه ٱلبريد ٱلإلكترونى. وأخرجت من قلبه ونُشِرت فى صحف على قرطاس لتبليغ ٱلناس جميعهم:

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ١٥٨ ٱلأعراف.

وتصدر ٱلرسالة عن مرسل يوجههآ إلى مرسَل إليه. فلا يجوز تبديلها ولا تلخيصها ولا شرحها من أحدٍ لأخر.

وتسلّم ٱلرسالة للمرسل إليه مغلقة محفوظة وهو وحـده ٱلذى يزيل غلافها. وهو وحده ٱلذى يتعامل معها وعلى مسئوليته.

وقد جعل ٱللَّه رسالته يسيرة سهلة لا خفآء فيها. ولا حجة للمرسَل إليه بٱلقول عن صعوبتهآ أو عسرهآ أو حاجته لمن يبيّنها له:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ١٧ ٱلقمر.

ويوكّد ٱللَّه على مسألة بيّنة فى رسالته. فهى مرسلة لجميع ٱلناس وأنّ على ٱلرسول ٱلبلاغ. أى نشر ٱلرسالة بحيث يستطيع كل إنسان أن يحصل عليها.

وجآء فى ٱلرسالة ما يبين منع ٱلتدخل بين ٱلمرسِل وٱلمرسَل إليه:

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ ٥٤ ٱلنور.

﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ ١٢ ٱلتغابن.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ ٥٦ ٱلقصص.

﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ ٨٠ ٱلنسآء.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ ١٢ هود.

﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ ٦ ٱلشورى.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ٣٧ ٱلنحل.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ ٨١ ٱلنمل.

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨٤ ٱلنسآء.

وبهذا ٱلقول يبين ٱلمرسل أنّه لم يترك للرسول ولا لغيره من ٱلناس حقّ ٱلادعآء بٱلتفويض أو ٱلوكالة أو ٱلحفظ على ٱلناس. وأنّ ٱلمرسل إليه له أن يتخذ من ٱلرسالة ٱلموقف ٱلذى يريده وعلى مسئوليته.

وفى ٱلرسالة ما يبين للمرسَل إليه مسئوليته وأنّه لن يجد شفيعًا إلاّ ٱللّه:

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ٤٤ الزمر.

ويوكّد ٱللّه فى رسالته على ٱلمسئولية ٱلفردية للمرسل إليه:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ٩٤ ٱلأنعام.

ويوكّد ويبين فردية ٱلحساب يوم ٱلقيامة:

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ ٩٥ مريم.

فٱلمسئولية فردية. وٱللّه يخلق ٱلناس أفرادًا ويحاسبهم أفرادًا. لا مذاهب ولا

مدارس ولاَ أحزاب. وٱلرسول يدعوّا إلى سبيل ٱللّه. وٱلمؤمنون حقاً كلّ يدعوّا إلى سبيل ٱللَّه حتى قيام ٱلساعة لا تتوقف ٱلدعوة. وٱلمسألة فى ٱلدعوة هو ٱلرسالة ذاتها. وتقوم ٱلدعوة بتحريض ٱلناس من دون إكراه ولا قتال:

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ﴾ ٨٤ النسآء.

ٱلدعوة هى فى تحريض ٱلناس للأخذ بٱلرسالة وٱلنظر فيها وٱلمطابقة بين أنبآئها وأنبآء ٱلعلم عن أشيآء الوجود. ما يظهر منها وما يغيب. وٱلعمل على وضع ٱلنظريات ٱلموجهة للبحوث هداية بها وبمنهاجها ٱلمبين.

لقد بين ٱللَّه أنه وحده ٱلذى يهدى للحقّ لا غيره:

﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ٣٥ يونس.

فمن يشآء أن يهتدى يبدأ بٱلنظر فى رسالة ٱللَّه إليه ويبدأ بٱلعمل علىَ إدراك ما فيها معتمدًا على توجيه ٱللَّه له:

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ ٤ ٱلمزّمل.

فيرتل عمله وفق ٱلكلمات ودليل كلٍّ منها. وهذا يحتاج للوقت وٱلصبر للعلم فىَ أى مسألة فى ٱلوجود. وله أن يستعين بعلوم زمانه. وأن يكون نصب عينيه أنّ ٱلنظر فى رسالة ٱللَّه لا يتوقف لأنها تحمل صفة مرسلها ٱلعلمية. فاللَّه عليم وعلمه مطلق. أمّا علم ٱلإنسان فهو علم نسبىّ. وكلما ٱزداد علمه ٱنكشفت له جوانب من ٱلرسالة لم يكن يملك ٱلعلم لبيانها فى زمان محدد. وفى كتاب ٱللّه ما يبين هذه ٱلحركة فى ٱلبيان:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٥٣ فصلت.

فى ٱلأفاق ٱلكثير من ٱلأيات. ٱلكون ٱلواسع بشموسه ونجومه ومجراته وألوانها ومساراتها ٱلفلكية. وأشيآء غيبية من ٱلشهور وٱلطاقة ٱلأولية (ٱلليبتونات

Liptons وٱلكواركات Quarks). ومعه ما يكتشفه علم ٱلناس من ألوان ٱلحياة وأزمانها.

أمّا ٱلأيات فىَ أنفسنا فهى شبيهة بٱلأيات فى ٱلأفاق. كثيرة ٱلألوان وٱلأفعال. منها ٱلأقسام ٱلظاهرة فى ٱلجسم. وٱلأقسام ٱلخفية كٱلقلب وٱلكلى وٱلمعى وٱلمعدة الخ.. وقد وصل علم ٱلناس إلىَ ءَايات غيبية فىَ أجسامهم. وهنا يبدأ ٱلعجب. هناك ٱلخلية وألوانها ونوىٰها وأفعالها. صنع ٱلبروتين وفق ساعة توقيت.. ٱستقبال.. إرسال.. صناعة منهاج (برمجة) لعمليات ٱلنمو وٱلانقسام.. الخ.

وعلم ٱلناس فى كتاب ٱللَّه يوعظهم ويهديهم فى ٱلنظر وٱلبحث فى ٱلأفاق وفىَ ٱلنفس. وٱكتشافاتهم ٱلعلمية تساعدهم فى ٱلعقل وٱلمطابقة بينها وبين كتاب ٱللَّه. وبٱلعقل وٱلمطابقة يتوصلون إلى ٱلهداية فى ٱلنظر وٱلبحث من دون ضياع فى ٱلوقت وفى ٱلمال.

لكن إن لم يحدث ٱلعقل وٱلمطابقة فستكون تلك ٱلمكتشفات وسيلة لاستنباط ٱلنظريات ٱلتى توجه ٱلبحث ٱلعلمى كنظريات ٱلتكوين من دون تلك ٱلهداية. فقد بقى ٱلظن بوجود سبعة كواكب حول ٱلشمس حتى بداية ٱلنصف ٱلثانى من ٱلقرن ٱلعشرين حيث ٱكتشف علمآء ٱلفلك كوكبين أخرين. وما يزال ٱلبحث يجرى عن كواكب أخرى.

ومن مسآئل ٱلهداية فى هذا ٱلأمر ما يبينه ٱلنظر فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَـٰجِدِينَ﴾ ٤ يوسف.

وفيه ما يدل علىَ أمرين ٱثنين:

ٱلأول أنّ ٱلرّوءيا ترمز عن إخوة يوسف ووالديه بٱلكواكب وٱلشمس وٱلقمر. وأن يوسف سيكون صاحب شأن علىَ إخوته ووالديه. وهذا يظهر فيما بعد بخضوع ٱلجميع له بسبب ما يملك من سلطة وعلم.

ٱلثانىَ إعلامنا عن حقٍّ فى ٱلوجود. وهو أن فى مجموعتنا الشمسية ٱثنا عشر كوكبًا (يوسف وإخوته). ويوسف هو من لون إخوته ٱلكواكب.

كما يبين مسألة علمية هامة. وهىَ أن واحدًا من كواكب ٱلمجموعة ٱلشمسية له سلطة علىَ إخوته ٱلكواكب وعلى وٱلديه ٱلشمس وٱلقمر. ويوسف هو ٱبن ٱلأرض. وٱسم يوسف يرمز إلى ٱلإنسان ٱلعالم ٱلمجدد فيها.

بهذا ٱلفهم أستنبط من بلاغ ٱلقرءان أن عدد ٱلكواكب ٱثنا عشر. وأنَّه ما زال هناك ثلاثة منها لم تُكتشف.

وإلى جانب هذا ٱلاستنباط أرىَ أنَّ دليل ٱسمآء ٱلكوكب ٱلمعروفة يساعد فى فهم ومعرفة مسألة ٱلتكوين فى مجموعتنا ٱلشمسية. فقد أطلق ٱلشاميون (جميع أهل بلاد ٱلشّام) أسمآء على ستة كواكب منهآ. أما ٱليونان وٱلرومان فقد جآء عندهم تسعة أسمآء.

وفيما يلى ٱسم ٱلكوكب ودليله:

١ – عطارد.

ٱسم عطرود هو ٱسم للعدة وٱلعتاد فى لسان ٱلشام. ويقابله فى لسان ٱليونان ٱلاسم Mercury ٱلذى يدل على ٱلفلز ٱلسآئل أو ٱلزئبق.

وأرىَ أنّ ٱلاكتساب ٱلعلمى يقوّى قدرة ٱلنظر فى ٱلدليل ويرفع فى مفهومه. فدليل ٱسم عطارد يشير إلى عدة وعتاد ٱلتحولات ٱللاحقة على ٱلفلز ٱلسآئل.

أما دليله فى لسان ٱليونان فيشير إلى أمرين:

ٱلأول أن ٱلمادة ٱلدخانية (ٱلغازية) تنحل إلى سآئل وتأخذ هيئة كروية.

وٱلثانى أن عدّة كوكب عطارد فلز سآئل.

وبما رأيته فى ٱلدليل وٱلاكتساب ٱلعلمى وٱلهداية ببلاغ ٱلقرءان يجعلنىَ أمام نظرية للتكوين داخل ٱلمجموعة ٱلشمسية تتوافق مع ٱلنظريات ٱلمستنبطة فى ٱلنظر ٱلعلمى من دون هداية وهى:

آ - نظرية ٱلانفجار ٱلأعظم (the big bang).

ب- نظرية ٱلتوسع وٱلانكماش.

ج - نظرية ٱلكون ٱلسكونى.

د - نظرية ٱلكون غير ٱلمتجانس.

وتخالفها فى طريقة ٱلتكوين.

هذه ٱلنظريات تُجمع علىَ أن جميع ٱلكواكب فى مجموعتنا ٱلشمسية تكوّنت فى زمن ما يقارب خمسة بلايين من ٱلسنين دفعة واحدة. ومن كتلة دخانية (غازية) كبيرة منتشرة فى ٱلفضآء إلى حدود ٱلمجموعة ٱلشمسية.

وأقول بٱلاستناد إلىَ ٱلهداية وإلى دليل أسمآء ٱلكواكب أن كلا من هذه ٱلكواكب ولد عن ٱلكتلة ٱلدخانية حول ٱلشمس بمفرده كما ولد يوسف وإخوته.

٢- ٱلزهرة.

ٱسم يدل فى لسان ٱلشام على ٱلفعلين لألأ وأنار. وهذا لا يحدث إلاّ من فعل إنكسار ضوء فى غلاف دخانى (غازى).

وٱلاسم ٱللاتينى للكوكب هو Venus ودليله يطابق ٱلدليل فى لسان ٱلشام.

وهذا يشير إلىَ أن كوكب ٱلزهرة هو طور جديد للمولود عطارد ٱلفلزى. وقد تحول إلى كوكب جديد له غلاف دخانى ينكسر ٱلضوء فيه ويجعل ٱلكوكب منيرًا.

وأرىَ أن تكوين ٱلغلاف ٱلدخانى يحدث بفعل ٱلانحلال وٱلترابط ٱلجاريين فى ٱلمادة ٱلفلزية فى كوكب عطارد. حيث تنتقل ٱلحرارة ٱلكبيرة إلى المركز بفعل قوَّة ٱلشَّدِّ (ٱلجاذبية). وبفعل تمايز ٱلمادة ٱلسآئلة ٱلمتكونة تنزاح ٱلجزيئات ٱلأثقل كٱلحديد لتكوّن نوى ٱلكوكب. وتطفو على سطحه ٱلمادة ٱلأخف وزنًا وذات ٱلمسامات ٱلكبيـرة ٱلتى سرعان ما تتخلى عن حرارتهآ إلى ٱلخارج على هيئة دخان.

يلزم لهذه ٱلأفعال ٢-٣ مليار سنة على تكوين كوكب عطارد حسب معطيات علم ٱلفيزيآء. حيث يكتمل حوله غلاف دخانى كثيف. وتبدأ فيه عمليات ٱنحلال وترابط فىَ أشراط جوية جديدة للكوكب.

أما ضوء ٱلشمس ٱلذى كان ينصبّ على سطح ٱلكوكب من دون عوق ويزيد فى حرارته. فصار لا يوصل إلى سطحه إلا بعد أن ينفذ من ٱلغلاف ٱلدخانى ٱلمحيط به.

هذا ٱلنفاذ لضوء ٱلشمس وٱنتشاره داخل ٱلغلاف ٱلدخانى يبعث ٱلنور فىَ أرجآئه محولاً ٱلكوكب من عطارد إلى ٱلزهرة. وهنا تبدأ أفعال جيوفيزيآئية جديدة فى الكوكب.

تتمّ أفعال تكوين كوكب عطارد مرة كل فترة تقارب /٢/ مليار سنة حسب ٱلفترة ٱلمقدرة لعمر ٱلكون من قبل علمآئه. وهذه ٱلفترة ظنية. ويمكن ٱلوصول إلى حسابها بما يوافق ٱلحق ٱلجارى بمتابعة ٱلنظر وٱلبحث فى كتاب ٱلحق (ٱلكون) وٱلعقل مع كتاب ٱللّه ٱلقرءان وفيه ٱلبلاغ عن جميع ٱلحقّ.

لكلمة ٱللّه فى ٱلوجود هيئة أو ظاهرة مادية. وٱلمادة تتفكك من لون مادى إلىَ أخر من دون فقدان. كما تعود وتترابط بعد ٱلفكّ لتكوّن لونًا ماديًا أخر. فٱلكواركات ٱلأكثر خفة (فوقى وتحتى) تتكوّن منها ٱلبروتونات وٱلنيوترونات وٱلكترونات. ومن هذه يتكوّن ٱلجدول ٱلدورى بأكمله.[1]

وتتفكك ٱلمادة إلى طاقة ثم تعود بٱلارتباط لتكوين ٱلأشيآء ٱلصغيرة وٱلأجزآء. ثمّ ٱلتكوينات ٱلسماوية بكلّ ألوانها. وهو ما أفهمه من ٱلأنبآء ٱلتالية:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ٢٧ ٱلروم.

---

(١) اكتشاف كوارك القمة (مجلة العلوم الأمريكية - المجلد ١٤ - العدد ٥ أيار ١٩٩٨).

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ١٠٤ ٱلأنبيآء.

ويسبب فعل ٱلفك ٱنطلاق ٱلمادة ٱلتى تتوزع إلى لونين أصليين فيرميونات Fermions وهى ٱلمكونات ٱلطاقية ٱلأساس للمادة. وبوزونات Bosons وهى ٱلطاقات ٱلوسيطة فى تفاعلات ٱلقوى ٱلتى تربط بين ٱلطاقات ٱلأساس ٱلمكونة للمادة. وهى ٱلكوراكات Qarks وٱلليبتونات Liptons.

ويعزّز قولى ٱلنظر فى ٱلبلاغات ٱلتالية من سورة ٱلفجر:

﴿وَٱلْفَجْرِ /١/ وَلَيَالٍ عَشْرٍ /٢/ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ /٣/ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ /٤/﴾.

فإلى ماذا تدل هذه ٱلبلاغات؟

وإذا وجهنا نظرنا إلى دليل ٱلكلمات فإلى ماذا يدلنا ٱلواو فى ٱلقول «وٱلفجر»؟

ما رأيته أنَّ ٱلواو هو واو ٱلتتابع أو ٱلعطف ٱلمرحلى أو ٱلطُّور. فهو ليس للقَسم كما يظن أصحاب ٱللغة. ولا يوجد أى مسيِّغ (مبرر) للقسم هنا. وهو ما يوكِّده ٱلنبأ:

﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ﴾ ١٠٤ ٱلأنبيآء.

ٱلعودة تبينها سورة ٱلفجر علىَ أنها تبدأ بٱلفجر ٱلذى يحدث بفعل تسلسل سبقه وليس بداية من لا شىء. وبٱلتالى لا مسيِّغ للقول بٱلقسم. ومع ٱلفجر تبدأ ٱلمادة بٱلانطلاق من ينبوع تحت تأثير ٱلقوى ٱلضعيفة كما تقول ٱلفيزيآء. وهو تفكك طاقى يحرر ٱلطاقة فى موقع ٱلفجر لتندفع منطلقة بعيدًا عنه. ومثله ما يحدث فى ٱلشمس.

كذلك ٱلقول «وليالٍ عشر» ٱلواو هى واو ٱلعطف ٱلمرحلى أو ٱلطُّور.

ٱلهداية تبين لىَ أنّه بٱلفجر تبدأ عمليات ٱلتفكك وٱنتشار ٱلطاقات ٱلمكونة للمادة وٱلطاقات ٱلوسيطة لتفاعل ٱلقوى.

كما تبين أنّه فى هذه ٱلمرحلة يكون كل شىء غارقًا فى ٱلظلام. وأنّ ٱلظلام

يستمر عبر مراحل عشر من عمليات ٱرتباط ٱلطاقات فى مواقع ٱلانتشار.

وعندما يوصل ٱلتفاعل وٱلارتباط بين ٱلطاقات ٱلمنتشرة (ٱلليبتونات وٱلكواركات) لتكوين (بفعل ٱلقوى ٱلكهرطيسية) أول ٱلسُّور (ٱلذرات) وهى سورة «ٱلهدروجين» Hydrogen تكون قد مرت ٱلمراحل ٱلعشر ٱلمظلمة منذ زمن ٱلفجر.

وٱلَّيالى ٱلعشر هى مراحل فى ٱلظلام تبقى فيها ٱلمادة غير ظاهرة.

ومثله ٱلقول «وٱلشفع وٱلوتر». ٱلواو واو ٱلعطف ٱلمرحلى أو ٱلطُّور.

ويبين ٱلقول أنّ ٱلمادة قد وصلت فى ترابطهآ إلى بنآء أول سورة (ذرة) يمثل سُورها (إلكترونها) وترًا ونوىٰها شفعًا وهى ما يعرفها علم ٱلفيزيآء بذرة «ٱلهدروجين».

كذلك هو ٱلأمر مع ٱلقول «وٱلّيل إذا يسرِ». ٱلواو واو ٱلعطف ٱلمرحلى أو ٱلطُّور. حيث أن وجود سورة «ٱلهدروجين» يكون ٱلسبب فى بداية ٱنتشار ٱلنور ويبدأ ٱلظلام بٱلانحسار شيئًا فشيئًا.

وبفعل ٱلقوى ٱلمغناطيسية ٱلمتبقية ترتبط سور (ذرات) «ٱلهدروجين» ببعضها لتبدأ عمليات تكوين ٱلأجزآء (ٱلجزيئات).

وتتابع ٱلمادة ترابطها حتى يظهر أول حزب (تجمع مادى) فى ٱلسمآء. وهو فى مجموعة ٱلشمس ٱلكوكب ٱلأول. ثم يليه تجمع جديد حتى يكتمل عدد ٱلكواكب فى ٱلمجموعة ٱلشمسية ٱثنا عشر كوكبًا. ولكل منها زمنه ٱلذى ولد فيه كما هو يوسف وإخوته.

وبٱلتالى لا تتساوى ٱلكواكب فىَ أعمارها. وجميعها تمر فى مرحلة عطارد ثم ٱلزهرة ثم ٱلأرض ثم ٱلمريخ... إلىَ أن تصل إلى ٱلكوكب ٱلثانى عشر. ومن بعده تبدأ عملية ٱلانكماش ٱلتى تبدأ بٱلتكوير كما جآء فى ٱلنبإ:

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ ١ ٱلتكوير.

هذا ٱلنبأ يبين أن ٱلشمس ستوصل إلى طُور ٱلتكوير بعد حالها ٱلتى نرىٰها عليه

ٱلأن. وهو فراغها من ٱلطاقة وتوقف شموسها وتحولهآ إلى كَورٍ جوفه فارغ يسحب ٱلطاقة إليه.

وإذا نظرنا فى ٱلنبإ ٱلتالى:

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ ٢ تكوير.

يبين أمرا يخرج عن حدود ٱلمجموعة ٱلشمسية ٱلتى نحيا فيها. فهى تشير إلى ٱنكدار ٱلنجوم وهو ذهاب نورها. وٱلنجوم لا توجد فى مجموعتنا الشمسية.

وكأن ٱلنبأ يبلغنآ أن توقيت ٱنكماش ٱلطاقة فى ٱلنجوم وٱلشموس توقيت واحد فى ٱلكون. وهو ما يبينه ٱلبلاغ:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٨٧ ٱلأعراف.

٣- ٱلأرض.

ٱسم أرض عربى ودليله يشير إلى صلاح ٱلكوكب للموت وللحياة.

إن كوكب ٱلزهرة بعد مرحلة طويلة للفعاليات ٱلجوية وٱلسطحية وٱلجوفية تحول إلى ٱلصلاح للحياة وأتخذ موقعًا أبعد عن ٱلشمس وتحول من ٱسم ٱلزهرة إلى ٱسم ٱلأرض وفيها ٱلموت وٱلحياة «كفاتا».[1]

ٱلعلم بما حدث للأرض فى ٱلأزمنة ٱلجيولوجية يمكن مراقبته ٱليوم على سطح كوكب ٱلزهرة. حيث أن ٱلحياة مرت بمراحل متعددة قبل أن يصبح ٱلزهرة أرضًا صالحة لحياتنا. وإن وجود حياة على سطح ٱلزهرة لا يدل أن حياتنا ممكنة فيه ٱلأن قبل ٱلصلاح. وهذا يدفعنى للقول أن حياة ٱلديناصورات كانت فى طور للحياة على كوكب ٱلزهرة قبل تحوله إلىَ أرض صالحة. وإن هذا ٱلتحول هو

(١) منه قول ٱلناس «كفتة» للحم ٱلمخلوط بٱلدهن.

ٱلذى سبب موت ٱلحياة ٱلديناصورية ٱلذى يعتبر بالنسبة لحياتها فسادًا (تلوثًا بيئيًا) يسبِّغ موتها جميعًا.

إن ٱسم Earth فى لسان ٱلانكليز يدل على تراب صالح للزراعـة وعلى ما يبقى من جثمان ميت. كما يدل على ٱلصلصال وٱلفخار. وهو ٱسم شامى ودليله فيه كما هو فى لسان ٱلانكليز. ويزيد فى ٱلطُّور ٱلعربىّ ٱلِّسان ٱلبيان فى ٱلدليل عمّا يتركه ٱلميت ليكون ميراثًا.

وما تقوم به حياتنا هو أفعال تحويل ٱلمادة فى ٱلأرض بألوان متعددة. ٱلأمر ٱلذى يوصل ٱلأرض إلى مرحلة ٱلموت ٱلمريخى ما لم نهتدِ.

٤- ٱلمريخ.

فى لسان ٱلشام من دليل ٱلفعل «مَرَخَ» ٱسم لشجر «ٱلمرخ» ٱلذى يكثر فيه ٱلدهن.

وفى لسان ٱليونان Mars يشير صوت نطقه إلىَ أصله ٱلشامى. ويدل فيه على ٱلسبخة وٱلملح.

وأفهم من هذا ٱلدليل أن كوكب ٱلمريخ لا يصلح للحياة. وأرى فى علمنا بما جرى على كوكب ٱلمريخ يعطينا تصورًا واقعيًا عن مستقبلنا مع كوكبنا ٱلصالح.

٥- ٱلمشترى.

يدل فى لسان ٱلشام على ٱلتمدد وٱلفرقة. وهو ٱلمعدوم ٱلفقير ٱلذى لا يملك شروى نقير.

يفتقر ٱلكوكب إلى ٱلتماسك وتظهر عليه بثور تدل على وجود مسامات كبيرة فى سطحه. وهذا بفعل تمدد ٱلكوكب وٱنتفاخه فيبدو ذو هيئة كبيرة. وٱلاسم فى لسان ٱلروم Jupiter. أى ٱلكبير ٱلهيئة.

وبفعل تفككه ينتشر حوله عدة أقمار أظن أنها ٱنفصلت عنه.

٦- زحل.

ٱسم يدل على ٱلازاحة وٱلتنحى. وٱسمه فى لسان ٱلروم Saturn ٱلذى يدل على ٱلإفراط وٱلتوزع.

فى نوى زحل وحلقاته شبه مع هيئة ٱلكون مع بدء ٱلفجر (ٱلانفجار ٱلأعظم). فٱلكوكب ٱلذى بدأ بٱسم عطارد وصل فى طور زحل إلى طور ٱلافراط فى ٱلانحلال وٱلتجزأة ٱلذى تبينه حلقات ٱلكوكب.

أنتهيت من دليل أسمآء ٱلكواكب فى لسان ٱلشام. وأتابع مع ٱلّسان ٱليونانى وفيه أسمآء لتسع كواكب حول ٱلشمس:

٧- أورانوس Uranus.

هذا ٱلاسم ٱختاره علمآء ٱلفيزيآء ليدلّ على ٱسم معدنٍ مشعٍ هو ٱليورانيوم.

وإذا كان هذا ٱلاسم يحمل هذا ٱلدليل فهذا ٱلكوكب هو ٱلطُّور ٱلذى يجعل من ٱفراط ٱنحلال زحل سببا لتحوله إلى مادة تنطلق على هيئة ضوئية وقد بدأ يفقد حلقاته.

٨- نبتون Neptun.

هذا ٱلاسم سمى به فلـز إشعاعـى شديد ٱلسطوع هو ٱلنبتونيوم. وهو أورانوس سابقًا.

٩- بلوتو Pluto.

هو عند ٱليونان ٱلجحيم. وهذا ما يدل عليه ٱسم ٱلبلوتونيوم ٱلفلز القوى ٱلإشعاع. فهو يمثل جحيمًا بسبب تحوله إلى طاقة منطلقة.

فى لسان ٱلشام أسمآء لستة كواكب من ٱلمجموعة ٱلشمسية. وفى لسان

ٱليونان تسعة أسمآء لتسعة كواكب. وقد صار عدد ٱلكوكب حول ٱلشمس إلى ٱليوم عشرة. وما يزال ٱلعاشر من دون تسمية.

أما عدة ٱلكواكب فى بلاغ ٱلقرءان فهى ٱثنا عشر كوكبًا.

بعد هذا ٱلعرض للدليل لى سؤال:

هل أعلمنا ٱلبلاغ فى ٱلقرءان عن عدتها كما هى ٱلأن ويلزمنا متابعة ٱلبحث عن ٱلكوكبين ٱلأخرين؟

أم أن عدتها لم تكتمل بعد وعلينا ٱنتظار ولادة عطارد مرتين؟

وإذا توجهنا وجهة ٱلشمس بين ٱلشمس وعطارد هل نجد كوكبًا لم تصل نشأته إلى مستوى ٱلفلز ٱلسآئل؟

* *

ما قدمته لآ أريد منه ٱستعراضًا لمعرفة فلكية أو فيزيآئية. لكن أريد ٱستدلالاً وٱستنباطًا يستندان علىَ أسمآء كواكب من ٱلمجموعة ٱلشمسية كان قد ٱستخدمه كل من ٱلشاميين وٱليونان القدمآء.

وما رأيته أنّ هذه ٱلأسمآء كانت وما زالت تدل على تسلسل فى ولادة هذه ٱلكواكب وصيرورتها وموتها.

وأنّ هذه ٱلأسمآء كانت قد جآءت من أحد أمرين:

ٱلأول هو ٱلوحى ٱلإلـٰهى.

وٱلثانى غزو ٱلأولين للفضآء.

وأرىَ أن ٱلأمرين محتملين معًا. وأن حضارتنا ٱلعلمية ٱلقآئمة ليست هى ٱلأولى على كوكبنا. كمآ أنها قد لا تكون ٱلأخيرة.

وأعود إلى ٱلرسالة وٱلمرسل إليه لأذكّر بأمر ٱللَّه:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ٣٦ ٱلإسرآء.

وهو أمر بٱلعلم يقوم على ٱشتراك وسآئل ٱلاشعار ٱلأساس مع ٱلفؤاد لإكمال عملية ٱلإدراك ٱللازمة للبدء بٱلعلم وٱلفقه وٱلحكم.

وعلينآ ألا نغفل ونحن ننظر ونعمل حتى لا نكون من ٱلذين جآء وصفهم فى ٱلبلاغ:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ ١٧٩ ٱلأعراف.

فٱلعلم يعتمد علىَ أفعال تشعر بها ٱلأذن وٱلعين وتنقل إلى ٱلفؤاد ليتعرّف عليها. وقد خلقها ٱللَّه مع كل فرد من ٱلناس.

ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين

تتكون مفردات ٱلّسان من ٱلكلمة وٱلكلمة ٱلزوج. أو حسب قول ٱلفيزيآء من ٱلكلمة وٱلكلمة ٱلمضادة. وبهذه ٱلزوجية يكون ٱلّسان جدلية يبلّغ بها عن ٱلحقّ بطرفيه.

وفى لسان ٱلقرءان بيان لهذه ٱلزوجية:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٩ ٱلذاريات.

ويتكون لسان ٱلقرءان وفق هذا ٱلأساس من كلمات أزواج:

كلمة ذكر ٱلزوج نسى

كلمة تكبّر ٱلزوج ركع

كلمة سبح ٱلزوج قرّ

كلمة عَجَمَ ٱلزوج عرب

. . الخ.

ومن ٱلزوجين تقوم جدلية فعل ٱلحلّ وفعل ٱلربط فى ٱلوجود ٱلمادى وتنعكس فى ٱلّسان ٱلذى يصنع ٱلبلاغ عنه. فكلمة سورة (ذرة) لها ضدها وكلاهما تتفكك إلى كلمتين إلكترون ونوى. وكذلك ٱلنوى تتفكك إلى بروتون ونترون. كمآ أن ٱلبروتون يتفكك إلى كوارك وكوارك مضاد الخ.

هذه ٱلكلمات فى ٱلوجود هى كلمات فى ٱلحقّ. وأنّ ٱلبلاغ عنها هو صورة فى ٱلخطّ وفى ٱلصوت معا.

كذلك هى مسألة ٱلارتباط بين كلمات ٱلحقّ. إلكترون ونوى يكوّنان سورة تستمد ٱسمها من ٱلسُّورِ ٱلذى يحدثه ٱلإلكترون حول ٱلنوى. وبٱرتباط ٱلاوكسجين وٱلهيدروجين تتكوّن كلمة جزء. وبٱرتباط ٱلكبريت وٱلهيدروجين تتكون كلمة جزء تدلّ على حمض. . الخ. ولكلٍّ منها زوج مضاد.

فكلمات ٱللَّه أزواج وهى ألوان ٱلوجود من دون ٱستثنآء. من ٱلذرة وأكبر منها وأصغر. وما جآء فى ٱلبلاغ يبين هذا ٱلفرق بين ٱلكبير وٱلصغير:

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ ٦١ يونس.

ويبين بلاغ ٱلقرءان أنّ قول ٱللَّه يتطابق مع كلامه:

﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ ٧٣ ٱلانعام.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ٨٢ يس.

قوله ٱلحقّ هو عين كلماته. وهو عين ٱلشىء ٱلموجود. أمّا قوله ٱلموجه للناس فهو كلامه فى رسالة منه ترشدهم وتهديهم إلى كلماته فى ٱلوجود (فى ٱلأفاق وفىَ أنفسهم).

وعندما يوصل كلام ٱللَّه ٱلموجه للناس إلى ٱلإدراك يُعرف ويعقل ويفقه يصبح قولاً للّه فى صدور ٱلناس. وهو عين ٱلبلاغة وٱلبيان عن ٱلوجود ٱلحقِّ:

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ ١٠٦ ٱلانبيآء.

كلمة «عبد» زوجها «فسق». وفى عبد دليل ٱلطاعة من بعد علمٍ. وفى فسق دليل ٱلتمرد وٱلعصيان.

وفى رسالة ٱللَّه بلاغ لقوم عابدين. وهم ٱلذين أدركوا وفقهوا ٱلبلاغ وٱلتزموا طاعته.

إن ٱلدارسين للسان ٱلقرءان ٱلعربى منذ بداية ٱلسلطة ٱلأموية ومن بعدها ٱلعباسية وقعوا تحت تأثير ٱلدراسات ٱلفارسية لهذا ٱلّسان. وتأثروا بأساليب

ووسآئل تفكير ٱلدارسين ٱلفرس. وكان هذا ٱلتأثير فى ٱلمظهر ٱلاسمى للمصدر وجعل ٱلفعل تابعًا له. فٱلاسم وفق ٱلتفكير ٱلفارسى هو أصل جميع ٱلكلمات فى ٱلّسان.

أمّا لسان ٱلقرءان فيتبع منهاجًا يبين أنَّ ٱلفعل ٱلوجودى وإن يكن يتبع أسمآء ٱللَّه الحسنى فإنَّه فى ٱلأشيآء هو ٱلمصدر لأسمآئها فى جميع ٱلتكوين ٱلزوجى. وقد جآء فى ٱلنبإ بيان ذلك:

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ٨٢ يس.

كن هو ٱلفعل وبجريانه ينشأ ٱلشىء وٱسمه.

لم يقتصر تأثير ٱلدارسين ٱلفرس على هذا ٱلمظهر وحده. بل ٱمتد إلى أساليب ٱلتفكير وٱلبحث فى ٱلوجود. فجآء ٱلفهم للقول فى ٱلقرءان بوسآئل فارسية. وجآء قول ٱلمفكرين بلسان فارسىّ.

لقد بين ٱللَّه فى كتابه أن ٱلشىء (ٱلكينونة) هو ما ينجم عن جريان ٱلفعل «كن». وبذلك وضع أساس ٱلبدء فى ٱلتعامل مع ٱلأشيآء علىَ أنها مفعولة ٱلأفعال. وٱلشىء له ٱسم يأخذه من فعله وهو سمته ٱلتى تميزه عن شىء أخر.

فى حين أن جميع دارسى ٱلّسان منذ بداية سلطة ٱلعباسيين وحتى يومنا هذا يقولون بعكس ٱلوجهة. ٱلاسم «ٱلشىء» أولاً ومصدرًا وٱلفعل يتبع ٱلاسم. وهذا قلب للحقِّ ٱلجارى. فهم يظنون أن أسمآء ٱلأشيآء مثل أسمآء ٱللَّه ويظنون أنّ وجودها يسبق فعلها. كما يظنون أنَّ وجود ٱللَّه يسبق فعله. أما ما يبينه ٱلبلاغ فإنَّ ٱللَّه ليس كمثله شىء.

هذا ٱلمنهاج ٱلمقلوب جآء من ٱلتأثير ٱلفارسى فلم ننظر فيه ولم نقبل ٱلنظر فيه بحجة ٱلتقديس لعمل ٱلقدمآء.

ٱلمنهاج ٱلفارسى يستند على ٱلظن بأسبقية ٱلاسم للفعل. وهذا ٱلظن أساسه عقآئدى. إذ أن ٱلفرس يعتقدون بٱلحلول وٱلتجسيد وٱلتقمص وٱلتناسخ. وكل ذلك مفاهيم ظنية عن ٱلحركة فى ٱلوجود تلبس صفة ٱلتعددية للشىء ٱلواحد. أىَ

أن ٱلشيء هو هو مهما ٱختلف ٱلبعد وٱلزمان وٱلهيئة. وهذا يتولد عنه مفهوم بقآء ٱلشيء مع ٱختلاف ألوان تجليه.

وهذا يسوق إلى مفهوم مماثلة ٱللّه للأشيآء وهو عين ٱلشرك بٱللّه. وهو عينه ٱلمولد للجهل وٱلتخلف سوآء كان فى ٱلعلوم أم فى وسيلة ٱلتعريب عن ٱلعلوم - ٱلّسان.

* *

ٱلعربىّ

إطلاق ٱسم عربى على ٱلإنسان ٱلذى ينتمىَ إلى مجموعة شعوب ٱلشرق ٱلأوسط لا تؤيده ٱلدراسات ٱلجدية لتاريخ شعوب هذه ٱلمنطقة.[١] فهناك تجمعات بشرية سكنت ٱلبلاد ٱلتى تقع فى غرب أسيا. وقد حملت هذه ٱلتجمعات أسمآء مختلفة. ولم يكن بين هذه ٱلتجمعات أى تجمع يحمل ٱسم عربى.

هناك ٱلآكادى وٱلبابلى وٱلكلدانى وٱلآشورى وٱلآرامى وٱلكنعانى وٱلسبأى وٱلمضرى وٱلاسرائيلى وٱلتدمرى وٱلمعينى وٱلقتبانى وٱلحبشى . . الخ. ولدى ٱلجميع أعراب بادون لا يستقرّون فى مكان. وكل هؤلآء يشتركون بأساس لسانى واحد هو ما ٱتفق ٱلدارسون على تسميته بعآئلة ٱلألسن ٱلسّامية نسبة إلى سام بن نوح.[٢]

وكان لكل تجمع من شعوب ٱلشرق ٱلأوسط ٱلقديم لسان يتميز عن ٱلألسن ٱلسّامية ٱلأخرى بما ٱكتسبه من علم ومعرفة. سوآء كان ذلك من سعيه أم من أعمال ٱلوحى وٱلرسالات ٱلدينية.

---

(١) ٱنظر «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» د. جواد على.

(٢) أرى تقسيم لسان هذه ٱلشعوب إلى لسانين «شام» وهو لجميع ٱلمذكورين من دون واحد منهم هو ٱلعبرى ٱلذى حمل لسانه ٱسم «سام» من بعد موسى بسبب زيادة «ٱلسين» فىَ أبجديّة لسانه من دون تلك ٱلشعوب.

وكان لعامل ٱلتنافس وٱلسلطة وٱلتوسع ٱلتى تناوبت على ٱلمنطقة بين أكاد وبابل وأشور وإسرائيل وسبأ وٱلفرس وٱلروم وتدمر تأثيره فى إلغآء ٱلكثير من ألوان ٱلتميز.

ثم جآء ٱلدور ٱلكبير لحملة لسان ٱلقرءان. فتوسع لسان حامليه. وهو لسان بشر ظن أصحابه أنه ولسان ٱلقرءان لسانا واحدًا. وكان ٱنتشار هذا ٱلّسان سريعا بفعل ٱلسلطة ٱلامبراطورية ٱلتى أسست ٱلمدارس لتعليم لسانها وقد ألبسته ثوبا دينيا.

وبفعل قرابته ٱلشامية مع ألسن شعوب بلاد غرب أسيا. فقد ساد على جميع طرآئق تعليم ٱلّسان ٱلسابقة عليه. وهيمن على جميع ٱلألسن ٱلشامية. وما يزال حتى يومنا هذا يفعل ذلك رغم ٱختلاطه بتلك ٱلألسن وتأثره بها كمآ أثر فيها.

ويرى ٱلدارسون أن لسان ٱلقرءان من أقدم ألسن ٱلشعوب ٱلشامية. وأرىَ أن ٱلبداية كانت مع تعليم ءادم ٱلأسمآء كلها. وبلاغ ٱلقرءان هو بلسان ٱلقوم ٱلساميين (ٱلشاميين):

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ ٩٧ مريم.

ويتميز لسان ٱلقرءان عن لسان ٱلقوم بأسلوب تطابق ٱلقول مع ٱلحقِّ ومع ٱلفعل. وهو أسلوب بلاغ ٱلبحث ٱلعلمى ٱلموكّد.

فى حين يتميز لسان ٱلقوم بٱلظن وٱلعجمة:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ ١٠٣ ٱلنحل.

لسان ٱلذى يلحدون إليه بلاغه أعجمى لأنه بلاغ بشر لا يبيّن ٱلحقّ كلّه. أمّا لسان ٱلوحى فهو عربى مبين لكلِّ شىء. وبلاغه عنه ظاهر ٱلدليل فصيحه لا لبس ولا عجمة ولا صعوبة ولا عسر ولا جهل فيه. وسبب ذلك أنّ مرسل ٱلبلاغ هو ٱللّه ٱلذى يعلم كلّ شىء ولا يعجم فى ٱلبلاغ عن أىّ شىء.

أمّا بلاغ لسان ٱلبشر فإن سبب عجمته هو جهله فى ٱلحقِّ جميعه.

وللفكر ٱلبشرى خاصتان جدليتان:

ٱلأولى موافقته مع ٱلحقّ بسبب علم فيه.

وٱلثانية ظن وتخريص (تخريف) بسبب نقص ٱلعلم.

وٱلّسان ٱلذى يوافق قولُ بلاغِهِ ٱلحقَّ جميعه هو ٱلّسان ٱلعربىّ ٱلذى وصل إلينا وحيًا وسجل فى صحف منشورة (ٱلقرءان). وهذا ٱلبلاغ حمله لسان شامىّ هو لسان ٱلرّسول.

لقد تفاعلت وتداخلت ٱلتجمعات ٱلبشرية فى ٱلشرق ٱلأوسط ٱلقديم عبر مراحل عديدة من تاريخ ٱلمنطقة ٱلتى حملت من ٱلبداية ٱسم بلاد ٱلشام. وهى ٱلتى تشمل سوريا ولبنان وٱلعراق وفلسطين وٱلأردن وٱلحجاز ونجد وٱليمن. وأرىَ أنها تتوغل فىَ أفريقياَ إلى ٱلحبشة.

وهذا ٱلاسم هو ٱسم ٱلأب ٱلأكبر لهذه ٱلتجمعات وهو شام ٱبن نوح. وقد تبدل هذا ٱلاسم فى مرحلة سيادة إسراءيل على تلك ٱلبلاد فصار ٱلاسم ساما بدلا من شام وأبدل ٱلشين بٱلسين. وبقى ٱلمكان متمسكًا بٱسم ٱلحقّ حتى يومنا هذا. وحق شعوب ٱلمنطقة أن تدعى بٱسمها ٱلأصل. وهو ٱلشعوب ٱلشامية/ ٱلسامية.

هذه ٱلشعوب بتفرعاتها وهجراتها وتفاعلها مع شعوب تداخلت معها جعلها تشرك فىَ أساليب لسانها من هنا ومن هناك. وتجمعت لديها خبرات علمية مع ظنية ساقت لسانها إلى طور لسان قَريشٍ منها جميعا حمل ٱلوحى ٱلإلـٰهى بلسان عربى مبين.

وقد سبق لهذه ٱلشعوب أن تلقّت وحيًا إلـٰهيًا بأطوار من لسانها مثل ٱلطور ٱلبابلى (هاروت وماروت) وٱلطور ٱلآرامى (إبرٰهيم وٱسحٰق ويعقوب) وٱلطور ٱلعبرىّ (موسى وهارون وعيسى).

وجآء ٱلوحى لهذه ٱلشعوب عبر أطوار من صيرورتها ٱلاجتماعية وٱلّسانية. ولعب ٱلمتخصصون من رجال فكر وعلم وشعر وكهنوت ٱلدور ٱلرئيس فى حمل

ٱلّسان فى وحدات كتابية مخطوطة. وقد ٱنتشرت أعمال هؤلآء فى جميع مناطق ٱنتشار ٱلشعوب ٱلشامية. وكان للكهنوت ٱلغلبة فى هذا ٱلانتشار وفى وضع مفاهيم عن ٱلدين ما زالت مصيطرة إلى ٱليوم.

ٱلفعل فى جميع ٱلألسن ٱلشامية هو مصدر ٱلاسم وسابق عليه. وكذلك هو ٱلأمر فى بلاغ ٱلقرءان ٱلموحى بلسان قَريشٍ[1] شامى ٱلأصل. فى حين تخالف دراسة ٱلدارسين لمنهاج لسان ٱلقرءان هذا ٱلأساس وتسير وفق أساس فارسى.

فٱلعربى وصف لما هو ظاهر فصيح بيّن لا خفآء فيه يسير من دون عوق. وٱلقول عن لسان أنه عربى يدل على صفة بلاغ فصيح ظاهر مبين لا خفآء ولا عجمة ولا جهل فيه ولا صعوبة فىَ إدراكه. وكلمة عربى هى صفة للسان كتاب ٱللَّه. كمآ أنها صفة لأى لسان يبيّن.

عَرب ٱلزوج عَجَمَ.

فى عرب ٱلفصح وٱلصفآء وٱلبيان وٱليسر.

وفى عجم ٱلخفآء وٱلإغلاق وٱلاستعصآء وٱلسَّد.

وإذا نظرت فى كتاب ٱللَّه متابعا كلمة عربى:

﴿إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٣ ٱلزخرف.

أرىَ أن ٱلفعل جعل يبيّن تغيّرًا فى صيرورة ٱلشىء[2]. فما هو ذلك ٱلشىء ٱلذى جعله قرءانا عربيّا؟

إنه ٱلتكوين وسنّته ٱلجارية فيه. وهذآ أمر أعجمىّ على ٱلناس حتّى ينظروا فيه ويتبيّن لهم ما يعلمون منه. وٱلقرءان هو جعل هذا ٱلأعجمىّ بيانا فى قول يظهره ويفصحه ويهدى فيه.

---

(١) ٱلقَريِشُ للقوم هو جمع مختلفين لا يزيل هوية ٱلواحد منهم. وٱلقريش للسان هو لسان يتكون من ألسن مختلفة. ومنه ٱسم ٱلقريش للون من ٱللبن.

(٢) «الكتاب والقرآن» د. محمد شحرور.

وٱلبيان فى ٱلأشيآء لا يكون للناس من دون سؤال ونظر فيها. وظهور ما فى ٱلأشيآء لهم يحدث من بعد سعيهم ونظرهم فى كل شىء. وهم إن لم يسعوا وينظروا سيبقى كل شىء أعجمى عليهم.

هذا ٱلعلم هو ما جعله ٱللّه لهم عربيًا مبينا قبل أن يسيروا وينظروا. وقد جعله يسيرا يدركه ويفهمه ويفقهه مَن ينظر ويعلم ويعقل:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٢ يوسف.

فى سورة ٱلزخرف جرى ٱلجعل ٱلقابل للعقل خارج إدراك ٱلناس. أما فى سورة يوسف فقد صار ٱلإدراك وٱلعقل ممكنين من بعد ٱلإنزال ٱلذىَ أوصل ٱلقرءان للناس.

وفيه ٱلحكم عربى هو ٱلأخر:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ ٣٧ ٱلرعد.

ٱلنزول يدل على ٱلورود وٱلدخول فى ٱلمكان.[1] فٱلذى جعله قرءانًا عربيا نُزِّل على قلب ٱلبشر ٱلرسول ومنه يُقرأ ويُنشر للناس. وعليهم مسئولية تنزيله بأنفسهم على قلوبهم.

أمّا ٱلحكم ٱلعربى فهو ٱلعلم بٱلشىء من دون نقص وٱلقضآء فيه ببينة لا ريب فيها.

وفى مقابلة بين ٱلأعجمىَ وٱلعربى يظهر مفهوم ٱلكلمة وضدها:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ ٤٤ فصلت.

فما يقوله ٱللّه عن ٱلقرءان أنه لو جعله أعجميًا لا يدركه ولا يعلمه ٱلناس.

(١) مفهوم ٱلنزول لدى ٱلدكتور محمد شحرور- الكتاب والقرآن.

ولولا ٱلفصل بين ٱلأيات كٱلشجر وٱلشمس وٱلظلّ وٱلنور لكان ٱلبيان مبهمًا مغلقا قوله عليهم. ولقالوا عن ٱلكتاب فيه ما هو أعجميّ لا يستطيعون ٱلعلم به وفيه ما هو عربيّ يعلمون به.

وفى هذا ٱلقول أن ٱلقرءان بيان يسير يهدى ٱلناس فيما لا يعلمون من ٱلحقّ وما زال عليهم أعجميّ. ولم يترك من ءايات ٱلحقّ ما هو مبهم ومغلق على ٱلنظر وٱلعلم وٱلعقل وٱلحكم. فهو بيان يهدى ويشفى ٱلذين ءامنوا ويبقى غيرهم من ٱلناس من دون هداية ولا شفآء.

وفى ٱلبلاغ بيان للمأرب من جعل ٱلقرءان عربيًّا:

﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ ٨٩ ٱلنحل.

﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ ١٣٨ ءال عمران.

وعن وسيلـة ٱلبيان ٱلّسانية وهى ٱلوسيلة ٱلوسيط ٱلناقل للبيان:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ ٩٧ مريم.

ولسانه هو لسان ٱلأميين من قومه ٱلشاميين:

﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ ٢ ٱلجمعة.

وٱلأميّون يجهلون ولا يعلمون ٱلحق ولم يأتهم بيان عنه ولم يسمعوا منه قولا ولا يتلون كتابا ولا يخطّون.

ويبين ذلك ٱلأمر ٱلعربى:

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ ٢٠ ءال عمران.

وبيّن أن ٱلأمّيّن هم ٱلذين لا يعلمون ٱلكتاب:

﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ٧٨ ٱلبقرة.

لم يذكر ٱللّه قوم ٱلرسول بٱسمهم. ولكن ذكر صفتهم ٱلعلمية. فٱلذين أوتوا

ٱلكتاب هم ٱلذين ينظرون ويعلمون ولا حجة لديهم بٱلأميّة. وٱلأمّيّون صار منهم رسول يعلمهم ٱلكتاب بلسان فطرتهم فلا حجة لهم بعد ذلك بٱلأميّة.

وقوم ٱلرسول هم قُرَيش ولسانهم قَرِيش شامى سامىّ. وجآء ٱلوحى بلسان ٱلأميين من قوم ٱلرسول وهو لسان فطرة لا تأثير للتعليم فيه ولا للشعر وٱلكهانة. ولسان ٱلأمىّ حمل ٱلقرءان ٱلعربى ٱلمبين.

ولو كان لسان ٱلرسول لاتينيًّا أو فارسيًّا لجآء ٱلوصف للسان ٱلقرءان علىَ أنّه عربى مبين. وٱلبلاغ يبين ذلك:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)﴾ ٱلشعرآء.

فعربية ٱلِّسان هى صفة ما حمله لسان ٱلرسول. وأفهم أن حمل لسان ٱلرسول فصيح مبين. وفصاحة ٱلِّسان غير مقتصرة على لسان واحد. وٱلِّسان ٱلفصيح هو لسان عربى سوآء ءكان ٱلِّسان شامى أم لاتينى أم فارسى أو غيره.

فٱلقول لسان عربى هو للتعريب بلسانٍ ما عن حقّ بيّنٍ لا خفآء فيه. وٱلّسان ٱلعربى هو كلّ لسان يعرب عن أشيآء وصفات ٱلحق. وفيه ٱلقدرة على توليد كلمات جديدة لكل مولود جديد يطابق دليلها هذا ٱلمولود. فٱلّسان ٱلإنكليزى يستعمل ٱليوم فى كل مسآئل ٱلتعريب عن ٱلأشيآء فى ٱلوجود ويوصّفها. وهو ينتشر بين ٱلدارسين للأشيآء فى كل بقاع ٱلأرض ويحتل ٱلصدارة فى ٱلتعريب عن ٱلوجود ٱلحق للأشيآء. وهو يحمل فى ذلك صفة ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين ٱلذى يمكِّن من ٱلعقل وٱلفقه وٱلعلم وٱلحكم.

فٱلأمىّ يتعلّم بلسانه ٱلكتاب وٱلحكمة. أما بلسان ٱلشاعر وٱلكاهن فيتعلم كيف يمرض ويجنّ.

لسان ٱلقرءان هو أعلا طور فى ٱلتعريب بواسطة لسان ٱلأميين ٱلشاميين عن حقوق ٱلوجود جميعها. وقد ٱحتفظ بقدرته على ٱلبيان بين دفتى ٱلمصحف.

أما ٱلشاميون فقد ٱنحرفوا عن عربية لسان ٱلقرءان وهو لسان فطرتهم بتأثير قول ٱلشاعر وقول ٱلكاهن وبأسس وأبجدية لسان أجنبىّ هو لسان ٱلفرس. وبذلك ٱبتدعوا لسانًا أعجميًّا على طول ٱلسنين بعد ٱلوحى وحتى يومنا هذا.

لقد جآء فى ٱلبلاغ:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ (١٩٩)﴾ ٱلشعرآء.

بعض ٱلأعجمين[١] بهآئم. وٱلبهيم مغلق على تعريف فؤادىّ لا يستطيع ٱستعماله ليعرب عن أمر. وما يفعله ٱلبهيم هو موسوم فيه بمنهاج تعريف مغلق سبيل ٱلعلم عليه. ولو نُزّل ٱلقرءان على بهيم وقرأه صوتا وخطًّا أمام ٱلكافرين ما كانوا به مؤمنين. وهؤلآء خُتم على سمعهم وعلى قلوبهم وعلىَ أبصارهم غشاوة.

وبهذآ أرىَ أن من ٱلناس مَن هو أعجمى أغلق منافذ ٱلمعرفة وٱلعلم وهو لا يريد أن يعلم شيئًا. وهو لا يكتفى بهذا ٱلموقف ٱلسلبى فى ٱكتساب ٱلعلم. بل يقاوم ٱلعلم ويعاديه حتى يصبح مجرمًا قاطعًا صلته مع ٱللَّه:

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٢٠١)﴾ ٱلشعرآء.

ومن ٱلناس مَن لا يستطيع ٱلإيمان بسبب بعده فى عيشه عن أسباب ٱلنظر وٱلعلم كٱلأعراب وهم أهل بادية فيدّعون ٱلإيمان:

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٤ ٱلحجرات.

فيظنون وفى ٱلقول ردّ على ما يظنون. ووعد لهم إن ٱلتزموا وأطاعوا ولم يفسقوا سيكون لهم مغفرة.

---

(١) يقول ٱلشاعر ٱلجاهلى ٱلملقب بذى ٱلخرق ٱلطهوى:

يقول الخَنى وأبغض العُجْمِ ناطقاً ... إلى ربّنا صوتُ الحمار اليُجَدَّعُ.

وفى كتاب ٱللَّه قول يبيّن أنّ من ٱلأعراب صادقون:

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٩٩ ٱلتوبة.

وفيه قول عن ٱلذين يدّعون ٱلإيمان نفاقًا وإخفآء لما يبطنوه:

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٩٨ ٱلتوبة.

ولكونهم يدّعون ٱلإيمان وحالهم هو ٱلنفاق جآء عنهم:

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٩٧ ٱلتوبة.

وجآء بيان موقفهم من ٱلالتزام:

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٩٠ ٱلتوبة.

كما بين نفاقهم:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ ١٠١ ٱلتوبة.

فٱلمدّعون ٱلإيمان ينتشرون حول ٱلرسول وفى صفوف ٱلمؤمنين. وهم لونان:

مدّعٍ ٱلإيمان وهو مسلم يحب ٱللَّه ورسوله.

ومدّعٍ ٱلإيمان وهو منافق ويخفى أمرًا مخالفًا لما يدعى به.

كما يوجد مثلهم من أهل ٱلمدينة ٱلذين لم يدّعوا ٱلإيمان ولكنهم ادّعوا ٱلنصر للرسول وٱلمؤمنين. وهؤلآء منهم منافقون ومنهم صادقون.

وزيادة فى بيان دليل ٱلاسم عربى أورد ٱلبلاغ ٱلذى وصف أزواج ٱلمتقين فى ٱلحياة ٱلأخرة:

﴿عُرُبًا أَتۡرَابًا﴾ ٣٧ ٱلواقعة.

كلمة «عُرُبًا» تبين أنَّ ما فى نفوسهن ظاهر فصيح لا خفآء فيه ولا باطن يخالفه.

أما ما جآء فى ٱلبلاغ:

﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ ١٠٣ ٱلنحل.

فٱلذى يلحدون إليه ٱلقس ورقة بن نوفل واحد منهم. ولسانه هو لسان كاهن من قوم ٱلنبى ولسانه لسانهم. وهذا ٱلبلاغ يظهر بجلآء أن ٱلعربى ليس ٱسمًا لجماعة بشرية. فٱلذى يلحدون إليه هو من قوم ٱلرسول ولسانه موصوف بكلمة أعجمى.

ٱلقس ورقة بن نوفل كاهن. ولسانه هو لسان قوم ٱلنبى وتربطه به قرابة من وجهة زوجه خديجة. ولسان ٱلكاهن أعجمىّ لأنه يكهن ولا يعلم فيعجم وفى لسانه خفآء وظنون وٱبتعاد عن ٱلحق.

وهكذا يتبين دليل ٱلقول «لسان عربى» وكذلك دليل ٱلقول «لسان أعجمى».

وأنتهىَ إلى ٱلقول أن ٱسم عربىّ ليس ٱسمًا لجماعة من ٱلناس بل صفة للسان كتاب ٱللّه. وبٱلتالى لسان كتاب ٱللّه عربى مبين. وهو ميّسر للدارس ٱلذى جآء عنه فى ٱلبلاغ:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمًّا وَعُمۡيَانًا﴾ ٧٣ ٱلفرقان.

وٱلدارس ٱلذى يذكر ءايات ٱللّه يتلقّاها بسمعه وبصره ويبدأ ٱلنظر فيها حتى يوصل إلى ٱليقين ٱلذى يدفعه للخضوع طوعًا. وهذا هو سلوك ٱلعلمآء ٱلذين جآء فى ٱلبلاغ عنهم:

﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ ٢٨ فاطر.

ولن يترك ٱللّه ٱلذين يقولون ءامنّا من دون ٱختبار:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ٢ ٱلعنكبوت.

كتاب ٱللَّه فيه كلامه ٱلحامل لقوله ٱلمبيّن للحقّ وقد جعله بلاغًا عربيًا مبينًا. وأنزله على قلب رسوله محمد ليقوم ٱلرسول ببلاغ ٱلناس كافة.

لقد ظنّ ٱلدارسون أن ٱسم أعجميّ هو عَلَم على ٱلفرس. وهذا ينطبق عليهم لوجهة عقآئدهم ٱلكهنوتية. ولكنه لا ينطبق عليهم كٱسم قوم بدليل ٱلاسم أجنبى. وٱسم أجنبى من جنب ويدل على ٱلمجاورة فى ٱلإقامة. أما ٱلعجمى فهو ٱلبهيم ٱلذى لا يفصح ولا يبين.

إنَّ وجود ٱلألف فى كلمة أعجمى تبين توجه ٱلفاعل فى قوله. فهو يتوجه ويتخذ موقف ٱلعجمة. وتقابلها فى لِسان عامّة ٱلشام كلمة «تحيّوَن».

وٱلكلام عندما يكون غير قابل للفصح عن قول بليغ بيّن لا خفآء فيه. سوآء ءكان مخطوطا أم كلاما منطوقا. يسمى أعجميًا. وهو من فعل إنسان. ونقول عن صاحب ٱلكلام أن أفكاره مشوشة أو يلفّها ٱلضباب. أىَ أن ما يريد قوله غير ظاهر وغير قابل للفهم. وهذا ينطبق على كل ٱلمكتوبات ٱلكهنوتية.

أما عن دراسة ٱلقرءان فقد جآء ٱلأمر ٱلتالى:

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ ١١٤ طه.

فدراسة كلمات ٱلوجود يلزمها ٱلنظر وٱلبحث وٱلصبر على ٱلعلم فيها وٱلامتناع عن ٱلعجلة فى ٱلحكم من قبل ٱلكشف ٱلبيّن عن نواميس (قوانين) أفعال ٱلصيرورة للأشيآء. وهذا يدفع لزيادة ٱلعلم. وٱلعالم هو ٱلذى يطلب ٱلزيادة فى ٱلنظر وٱلعلم. وكلما زاد علمه زاد إدراكه للنقص. وهنا يتجلى ٱللَّه وعلمه وعظمته «ٱلملك ٱلحقّ».

لقد علّم ٱللَّهُ ٱلإنسانَ من علمه. وطلب إليه أن يسمع ويبصر ويفكر ويعقل

ويفقه ويعلم ويحكم. وٱلإنسان ٱلذى يعبد ٱللّه يتبع ٱلطلب. وهذا يدفع إلى تطورٍ فى ٱلعلم يصعد ويزيد بٱستمرار.

أما ٱلتفكير ٱلفارسى ٱلذى ينطلق من أنّ ٱلاسم هو مصدر للفعل فىَ أشيآء ٱلوجود فيسير إلى خلف. وفى ٱلسير إلى خلف ٱلتخلف وٱلمتاهة وٱلضياع وٱلظنون. وهذا عين واقع جميع ٱلشعوب ٱلإسلامية ٱلتى تتبع ٱلمفاهيم ٱلفارسية فى فهم ٱلقرءان وفى دراسة لسانه ٱلعربىّ. وتتخذ موقف ٱلأعجميين فى محاربة ٱلعلم وٱلقول.

وبسبب ذلك ٱلموقف ٱلأعجمى تحوَّل لسان ٱلشام إلى لسان أعجمى صعب ثقيل يدور فى حلقة ٱلماضى ٱلسحيق بحثا عن ٱلسبب من دون جدوى.

ليس هذا فحسب بل إن دراسة لسان ٱلقرءان أصبحت وفق هذه ٱلمناهج غير ممكنة لقوم ٱلرسول إلاّ بٱلاستعانة بقواميس لسان. كما يحدث لدارسى ٱلألسن ٱلأجنبية ٱلجدد.

إن هيمنة وسآئل ٱلتفكير ٱلفارسية ومنهاجها فى دراسة لسان ٱلقرءان وأسسه وشرحه جعل أبنآء لسان ٱلشام غربآء عن لسان ٱلقرءان ٱلعربىّ ويتهربون من دراسته بزعم ٱلصعوبة وٱلمتاهـة وٱلإبهام فى كثير من كلماته وأقواله.

فى حين نرى على ٱلجانب ٱلأخر تطور مستمر فى لسان ٱلأميين (ٱلعامّة) وسهولـة فى ٱلاستعمال وٱلتعريب.

لقد رأى ٱلدارسون صعوبات فى لسان ٱلقرءان. ومنهم من قال عن ٱلترادف أنه سبب لتلك ٱلصعوبة. وأخر رأى فى قاعدة ٱلمثنى تلك ٱلصعوبة. وغيرهما تحدث عن صعوبة فى مطابقة ٱلفعل للفاعل. وكل هؤلآء لم يروٓا أن ٱلصعوبة ليست من أسلوب ومنهاج ٱلقرءان بل من أسلوب ومنهاج ٱلدراسات ٱلّسانية وٱلتقعيدية.

فٱلترادف مثلاً سببه مفهوم ٱلتقمص وٱلتناسخ. وجآء مفهوم ٱلأضداد للكلمة ٱلواحدة من خلال مفهوم ٱلتجلى وٱلحلول.

وهكذا طغى ٱلأسلوب ٱلأعجمى فى مناهج ٱلدراسات ٱلّسانية وضاع ٱلبيان وحلّ محله ٱلضياع وٱلمتاهة.

فحلت كلمة ضرب محل وكز. وكلمة قرأ محل تلو. وكلمة كتب محل نسخ. وكلمة نسخ محل محى. وكلمة حنف محل ٱستقام. وكلمة طعم محل أكل. وكلمة جهد محل قتل. وكلمة لزم محل فرض. وكلمة سبح محل عام. . الخ.

وأصبح دارس هـذا ٱلّسان كأنه يغوص فى بحر من ٱلرمال ٱلمتحركة أو فى متاهة لا علامة فيها تهدىَ إلى نجاة. ولقد وضعت قواعد لهذا ٱلّسان ٱلمتاهة ومؤسسات تحرس هذه ٱلقواعد وتلزم ٱلناس بإتباعها وتحارب من يوقف وقفة عربية ويحاول ٱلأخذ بمنهاج ٱللَّه ٱلمنشور فى كتابه.

لقد حلّ ٱلصعب محل ٱليسر. وٱلإبهام محل ٱلبيان. وظهر ٱلمتكلم بهذا ٱلّسان لا يعرف بما يتكلم. وٱلسامع لا يفهم ما هو ٱلمراد بهذا ٱلكلام. فطال ٱلخطاب ٱلأعجمى وضاعت ٱلمادة وتغلّفت ٱلأشيآء بغمام فٱختفت ٱلعلوم وضاع ٱلتقدم وساد ٱلتخلف وٱلجهل.

ولساننا ٱليوم لا يعرب عن حقوق ٱلوجود. لا كيميآء ولا فيزيآء ولا علم أحيآء ولا جيولوجيا ولا فلك ولا مقدار (رياضيات) ولا علم وراثة ولا علم ٱستنساخ ولا برمجة إلكترونية ولا برمجة حيوية. . الخ.

لا يوجد أى تعريب عن ٱلوجود وألوانه فى لساننا ٱليوم. وهو لسان أعجمى مبهم يعجز عن ٱلتعريب حتى عن حاجات ٱلطعام وٱللباس وٱلمسكن. وكل ذلك ليس من صفة لسان ٱلقرءان ٱلعربى ٱلمبين.

إن ٱلتصور ٱلسآئد أن شعبًا ٱسمه عربى كان يسكن ٱلبقعة ٱلجنوبية من بلاد ٱلشام قد ٱكتسح ٱلبلاد جنوبًا وشمالاً وأزال أسمآء تلك ٱلشعوب وحوّلها إلى ٱلعربية تصور فاعله ٱلظن وهو لا يطابق ٱلحق.

فلقد بقى ٱلعثمانيون ٱلأتراك أربعمآئة عام. ومن وقبلهم ٱلمماليك من كرد وترك وتركمان ومغول وصليبيين أوربيين مثلهم. وما ضاع لسان شعوب تلك ٱلبقعة.

فى حين أن حكم أبنآء شبه ٱلجزيرة لم يبقَ إلا /١٣٢/ سنة حتى جآء ٱلمدّ ٱلفارسى مع أول ٱلسلطة ٱلعباسية. فلو كان لسان هذه ٱلشعوب يخالف لسان ٱلقرءان ما كان بقى من لسان ٱلقرءان إلاّ ما يتلونه فيما يزعمون من صلوٰة كما فى تركيا وإيران وباكستان وأفغانستان وغيرها من ٱلبلدان ٱلتى ٱنتشرت فيها ٱلسلطة ٱلتى زعمت وٱشتهرت بزعمها ٱسم ٱلإسلام ودامت قرونا عديدة.

لقد ضمّ لسان ٱلقرءان ميزات وخصآئص جميع ألسن فطرة ٱلشاميين وأفضل وسآئل ٱلقول وٱلتعريب ٱلذى تظهر فيه مطابقة ٱلقول للحق. وٱلألسن ٱلشامية مثل ٱلسومرية وٱلبابلية وٱلأشورية وٱلكنعانية وٱلأرامية وٱلعبرية وٱلمضرية وٱلحبشية وغيرها فهى جميعها ألسن تحتية لبنآء أعلى. وهى مراحل وأطوار لنمو لسان ٱلشام ووصوله إلى طور لسان ٱلقرءان ٱلعربى ٱلمبين.

وأوكّد على قولى بعربية لسان ٱلقرءان لا عربية لسان ٱلناس بقول ٱللّه:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ٧ ٱلشورى.

أى لا عجمة فى بلاغه.

ٱلإيمان وٱلمؤمن

فى كتاب ٱللَّه لونان من ٱلمؤمنين:

أكثرية تشرك بٱللَّه.

وأقلية لا تشرك به.

ويظهر كتاب ٱللَّه أن ٱلأكثرية تبقىَ أكثرية وأن ٱلأقلية تبقىَ أقلية فى كل زمان ومكان:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ ١٧٩ ٱلأعراف.

ويتبين من ٱلقول أن ٱلسبب هو فىَ إلغآء أفعال ٱلعين وٱلأذن وٱلقلب وهى وسآئل ٱلحس وٱلفقه لدى ٱلإنسان.

كما يبين قول ٱللَّه وسيلة ٱلإيمان:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ١٠٠ يونس.

إذن ٱللَّه فى ٱلوجود هو سنَّة أو ناموس (قوانين) ٱلوجود ٱلتى تحكم علاقات وحركة وصيرورة ٱلوجود وظواهره. فٱلنفس ٱلتى تعمل نظرها فىَ أذون ٱللَّه فى ٱلوجود تعلم بها وتفقه ٱلوجود ٱلحقّ وظواهره وتؤمن بٱللَّه يقينا.

أمّا ٱلرجس فهو ٱلاختلاط وٱلتشوش وٱلضياع. وهذا هو حال ٱلذين لا يعقلون كٱلشاعر وٱلكاهن. وهم ٱلذين لا ينظرون فىَ أذون ٱللّه فى ٱلوجود ولا يعلمون. وهؤلآء تختلط عليهم ٱلحقوق بٱلظنون ويصبح عملهم وقولهم ظنّيا تخمينيا.

ولما كانت ٱلأكثرية لا تعمل نظرها فىَ أذون ٱللّه فى ٱلوجود وظواهره قال ٱللّه عنهم وعن إيمانهم:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ ١٠٦ يوسف.

فأكثر ٱلمؤمنين بٱللّه مشركون. وٱلسبب هو منهاج ٱلظن ٱلذى يجعلهم يشركون أخرين فيما يقولون عن إيمانهم وفيما يعملون. وقد بين ٱلبلاغ أنّ طاعة هؤلآء تُضل عن ٱلسبيل:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ١١٦ ٱلأنعام.

كلمة خرص تدل على قول خرف يخمّن ويحَزرَ. وإن طاعة وإتباع ٱلأكثرية يسوق إلى ضلال. لأن ٱلأكثرية لا تعلم ولكنها تظنُّ فتشرك قول كاهن فى مسئوليتها عن إيمانها. وبذلك منهاجها ظنى لا يقين فيه ولا مسئولية.

ويبيّن ٱلبلاغ ٱلعربى أن ٱلإيمان لا يحصل بٱلإدعآء وٱلظن:

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ ١٤ ٱلحجرات.

وقد سبق قولنا عن ٱلادعآء.

هذا عن ٱلأكثرية ٱلمؤمنة.

فماذا عن ٱلأقلية ٱلمؤمنة؟

جآء فى ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلأمر ٱلتالى:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

ٱلنظر فى ٱلشىء هو ٱلبحث فيه ودرسه وٱلعلم بما فيه. وٱلأمر ٱلإلهى يطلب ٱلنظر فى بداية ٱلخلق. وإنّ ٱلذى يتبع هذا ٱلأمر هو ٱلذى ينظر فى ٱلوجود وظواهره. يستقرأ ويكشف عن سنَّة ودين (قوانين) ٱلأشيآء ويبينهما ويتخذ فى نظره من ٱلأمر ٱلعربى ٱلتالى منهاجا له:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ٣٦ ٱلإسرآء.

فأساس ٱلعلم بٱلشىء حسيته وإدراكه. ومن ٱلإحساس بٱلشىء وإدراكه تنطلق عملية ٱلنظر فى ٱلوجود وظواهره لتوصل إلى ٱلعلم وٱلحكم فيه على بينة. ومثل هذا ٱلمؤمن يوضع أمامه دائما ٱلنبأ ٱلتالى:

﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ﴾ ٨٨ ٱلقصص.

ويصدق أنَّه نبأ محكم يشمل كل شىء بما فى ذلك ٱلأفكار وٱلمفاهيم. فكل شىء عنده صآئر إلى تغيّر من ولادة إلى موت. وأنَّ ٱللَّه وحده ٱلباقى ٱلذى لا يشمله حكم هذا ٱلنبإ. وإنّ ٱلأخذ بسنَّة هلاك ٱلأشيآء يجعل ٱلمؤمن من «ملة إبرٰهيم حنيفاً» ٱلتى بيَّن ٱللَّه أنَّ ٱلذى يتبعها يتبع ٱلدين ٱلحسن:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ ١٢٥ ٱلنسآء.

«ملة إبرٰهيم حنيفاً» هى ٱلفئة ٱلمؤمنة من ٱلناس ٱلتى توصف بٱلحركة وٱلميل عن ٱلموقف إلىَ أخر من بعد طول بحث وطول نظر بفعل سنَّة ٱلهلاك للأشيآء.

دليل كلمة ملة من دليل ٱلفعل ملَّ. وملَّ ٱلشىء قلّبه حتى ضجر منه. وذلك من كثرة ٱلتقليب وٱلنظر فيه حتىَ أصبح هذا ٱلشىء مكشوفا بكليته له فلا جديد فيه يلاحقه.

ودليل ٱسم إبرٰهيم من دليل ٱلفعل برهم. أىَ أدام ٱلنظر مع سكون ٱلطّرف. وهى صفة ٱلباحث ٱلناظر فى ٱلشىء حتى ٱلملال منه.

أما ٱلاسم «حنيفا» فدليله من دليل ٱلفعل حنف وهو فعل ٱلميل عن ٱلشىء أو ٱلسبيل.

وهكذا يدل ٱلقول «ملة إبرٰهيم حنيفًا» على ٱلمنهاج ٱلذى يقوم على ٱلبحث وٱلنظر فى ٱلوجود وظواهره ٱستناداً إلى سنَّة «كل شىء هالك إلاّ وجهه».

فٱلإنسان ٱلمؤمن ٱلذى يبحث فى ٱلوجود وظواهره ويكشف عن سنّته ودينه (قوانينه) سيجد دآئما عند كل كشف جديد أنّ ما ٱستقر لديه من علم غير كامل وقد يكون خطأ. وبٱلتالى فإن تصديقه لا يكون ثابتًا بل يكون نسبيًا. وهو قادر على ٱلميل عن موقفه ٱلسابق إلى ٱلكشف ٱلجديد الذى سيكون عنده محل شك هو ٱلأخر ومتابعة فى ٱلبحث مع كشف جديد وميل جديد. وهذا لا يتوقف حتى قيام ٱلساعة.

هذا هو ٱلمؤمن حقا. ٱلعالم ٱلذى يصدق ويثق ويطمئن لإيمانه بٱللَّه ٱلحى ٱلباقى. وإيمانه بٱلمقابل أن ٱلوجود وظواهره فى حالة حركة وتغير دآئمين. وهو ٱلذى يعلم أنّ ٱلشرك بٱللَّه يتكون من ٱلخلط بين ما هو باق وبين ما هو هالك.

لقد جآء ٱلأمر ٱلإلٰهى للناس:

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ ١٥١ ٱلأنعام.

ٱللَّه هو ٱلباقى وٱلأشيآء هالكة. وأنّ ٱلذى يخلط بين هذا وذاك هو مشرك بٱللَّه. وهذا هو حال ٱلأكثرية ٱلتى جآء عنها فى ٱلبلاغ:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ ١٠٦ يوسف.

فى ٱلكتاب أن ٱلمؤمن حقا وهو ٱلعالم بسنّة ٱلأشيآء يسقط هو ٱلأخر فى ٱلظن ويظلم نفسه ويظلم ٱلناس:

﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ ٣١ ٱلرعد.

فإنّ هداية ٱلناس من قبل ٱلمؤمن حقا غير ممكنة. ولو جرت ٱلمحاولة فهى محاولة فاشلة. وأساس هذه ٱلمحاولة هو ٱلظن.

وسبب ذلك أن ٱلإيمان ٱلحق لا يقوم إلاّ بٱلجهد ٱلفردى ولا يحصل إلاّ بٱلعمل فى مجال أذون ٱللَّه فى ٱلوجود وظواهره. وهو مجال ٱلعلم فى ٱلحقّ حصرًا.

وعن هذه ٱلمحاولة ٱلفاشلة جآء فى ٱلبلاغ بيان حال صاحبها:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ ٣٥ ٱلأنعام.

أىَ أن ٱلمحاولة هى مؤشر على جهل. فحتى يتحقق حصول ٱلعلم لدى ٱلفرد يلزمه جهد منه ومتابعة فى ٱلنظر وٱلبحث حتى ٱلملال.

فإذا كان هذا غير محقق عند إنسان فلا يمكن أن يهتدى. وإن ءامن يكون إيمانه ظنيا.

فى سورة ٱلمزّمل عرض لطريقة وزمن بحث ٱلمؤمن وبيانه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ / ١/ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا / ٢/ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا / ٣/ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا / ٤/ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا / ٥/ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا / ٦/ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا / ٧/﴾.

دليل ٱسم ٱلمزّمل من دليل ٱلفعل زَمَلَ. وهو فعل يبين أمورا من ٱلشىء ويبقى ٱلكثير منه مغفلا. ومنه ٱسم ٱلزميل للذى لم تبلغ ٱلعلاقة معه حدَّ ٱلصديق.

وٱسم ٱلمزّمل فى ٱلسورة ليس ٱسمًا للذى غطى جسمه كما يظنّ. بل هو ٱسم للذى يغطى بصره وسمعه وقلبه. ويبين لنا ذلك طلب قيام ٱلّيل من أجل ترتيل ٱلقرءان وتلقى ٱلقول ٱلثقيل.. ٱلخ.

ٱلإنسان هو ٱلمسئول عن تغطية سمعه وبصره وقلبه وهو ٱلمزّمّل. ومن غطى هذه ٱلوسآئل صار كٱلأنعام كما تبين ٱلأية ١٧٩ ٱلأعراف.

وأرىَ أنّ ٱلخطاب فى ٱلسورة عام وفيه توجيه للإنسان إلى ٱلعلم وبيان له أنّه غافل. وفيه توجيه إلى وسيلة إسقاط ٱلغفل لديه. وذلك بقيام أقسام هامة من ٱلّيل وترتيل ٱلقرءان.

وترتيل ٱلقرءان هو عمل دراسى وبحث فىَ أحد أشيآء ٱلوجود وظواهره. ومثل هذا ٱلعمل يحتاج لتفرغٍ وٱنقطاع عن ٱلناس وضجيجهم. وٱلّيل بسكونه يحقق ذلك ٱلانقطاع. وتكونُ حصيلة هذا ٱلتفرغ وٱلانقطاع عن ٱلناس من أجل ٱلنظر وٱلبحث وٱلاستقرآء هامة وعظيمة. وينشأ عنها قولاً قيّما. ويسقط ٱلغفلـ من ٱلقول ٱلناشئ من أحد جوانب ٱلوجود.

لقد بين ٱلقول فى سورة ٱلمزمّل أن هذا ٱلبحث لا يمكن فعله فى ٱلنهار. وبين أن ٱلسبب هو ٱلحركة فى طلب ٱلمعاش وفى ضجيج ٱلناس. وكل ذلك يمنع ٱلدراسة وٱلبحث وٱلعلم.

وأتابع مع ٱسم مؤمن فى ٱلبلاغ:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ ١٥ ٱلحجرات.

جآء هذا ٱلقول بعد بيان حال ٱلأعراب ٱلذين يدّعون ٱلإيمان. ويظهر منه حال ٱلمؤمن ٱلحقّ ٱلذى صدّق ووثق وٱطمأن للّه ولرسوله من بعد ٱلتحقق وٱلبيان ٱلذى يوصل بٱلإنسان إلى طور ٱليقين. وهو ٱلعلم ٱلذى لا ريب فيه الذى تطمأن له ٱلنفس فى حكمها مستندة إلى بينة.

مثل هذا ٱلمؤمن لا يوقع فى ٱلريب ٱلذىَ أساسه ٱلظن وٱلشك وٱلاتهام. وٱلريب لا يزول إلاّ من يقين. وٱليقين لا يحدث إلاّ من علم فى ٱلحقّ.

وٱلمؤمن ٱلذى لا يرتاب يجاهد فى سبيل ٱللّه تطوعًا وتلقائيّا. وينفق فى سبيل ٱللّه وهو سبيل نور ٱلعلم وٱلمعرفة وبه تكون كلمة ٱللّه هى ٱلعليا. ويبعد نفسه عن أفعال ٱلإكراه وٱلظلم للغير. وهو ٱلذى يجيب على ٱلسؤال:

هل ٱلإيمان ملزم للناس؟

ويترك لقول ٱلكتاب بيان ذلك:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٥٦ ٱلبقرة.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٩٩ يونس.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ ٢٩ ٱلكهف.

فيظهر أن كلاً من ٱلإيمان وٱلكفر موقف يتخذه ٱلإنسان كفردٍ وعلى مسئوليته من دون إكراه له من أحد.

ويقابل موقف ٱلإنسان فى هذه ٱلحياة ٱلدنيا حسابُ رب ٱلعالمين له يوم يقوم ٱلحساب:

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ /٧٤/ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ /٧٥/﴾ طه.

ويظهر لنا ٱللَّه أنه لا يوجد فرق بين مؤمن يتبع ٱلقرءان ومؤمن يتبع أحد ٱلكتب ٱلسابقة شرط تقديم ٱلبينة علىَ إيمانه بٱلعمل ٱلصالح. وقد جآء بيان ذلك فى ٱلبلاغ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٢ ٱلبقرة.

ويظهر ٱلقول أنّ أجر ٱلفرد من ٱلمعدودين قآئم إن كان يؤمن بٱللَّه وٱليوم ٱلأخر ويعمل صالحا. ولم يُستثنَ أحد منهم شرط ٱلبرهان على صدق إيمانه بٱلعمل ٱلصالح.

وهكذا يتبين أن ٱلأجر من عند ٱللَّه. وأن ٱلعقاب من عند ٱللَّه. وأنَّ ٱلناس أحرار لا سلطة عليهم من أحد بما فى ذلك ٱلرسول ذاته:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ ١٠٧ ٱلانعام.

قولىَ أن ٱلمؤمن عالم لا يجعل من كل عالم مؤمنًا. فتحصيل ٱلعالم لعلمه

جرى ويجرى من خلال ٱلنظر وٱلبحث وٱلاستقرآء فى مسآئل ٱلوجود وظواهره. ومن خلال ٱلنظر وٱلبحث وٱلاستدلال يتوصل إلى يقين فى ٱلمسألة ٱلتى يتناولها وتتكون لديه ٱلنظرية وٱلقول وٱلإيمان بما علم.

أمّا ٱلأفكار ٱلمتعلقة بٱللَّه وٱلدين ٱلتى حملها معه من نشأته ٱلمنزلية أو ما تعلمه من ٱلمدرسة أو من ٱلمجتمع فإذا لم يطبق عليهآ أساليب ووسآئل ٱلنظر وٱلبحث ٱلتى يتبعها فى مسآئل ٱلوجود فهو عندما يفكر فيها سيكون أمامه أحد ٱلمواقف ٱلتالية:

ٱلأول قبولها من دون نظر أو بحث. وبذلك يكون إيمانه ظنيا. ويخالف فيه أسلوب تفكيره وعمله فى مسآئل ٱلوجود. وتمثل نفسه حالة مرضية يبينها عليها علمآء ٱلنفس بكلمة «ٱنفصام».

ٱلثانى رفضها من دون نظر ولا بحث. ويكون بذلك قد قطع صلته بها مستندا إلى ٱلشّكّ وٱلريب. ويخالف بموقفه هذآ أسلوب تفكيره وعمله فى مسآئل ٱلوجود.

مثل هذا ٱلعالم فى قلبه نقص ونفسه لا ٱستقرار فيها وهو يخاف ٱلموت ويشعر بٱلاغتراب وٱلقنوط.

هذا فى ٱلحياة ٱلدنيا. أما فى ٱلحياة ٱلأخرة فإنه مجرم «له جهنم لا يموت فيها ولا يَحيَىٰ».

ٱلثالث هو ٱلذى ينتقل من ٱلنظر وٱلعلم إلى كتاب ٱللَّه لينظر فيه وفق ٱلتوجيه «ورتل ٱلقرءان ترتيلاً» ليعقل ما علم به مع قوله. وبٱلعقل يوصل إلى ٱلحكم وٱلإيمان وٱلتصديق أنَّ ٱللَّه هو خالق ٱلوجود. وهو ٱلعليم بما فيه لا يغيب عنه أمر منه.

كتاب ٱللَّه مرسل للناس ويجب أن يعلمهم بحقوق ٱلوجود جميعها ويهديهم فى كيف يعلمون. وإلاّ فإنه ليس من عند خالقٍ للوجود أبدًا. وهذا ما جآء فى ٱلكتاب ٱلبلاغ عنه:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ٨٩ ٱلنحل.

ٱلتبيان لكل شىء هو حركة فى بيانه من دون ٱستثنآء ولا توقف. وٱلتبيان هو إظهار لجميع ٱلحقِّ فى جميع أطواره.

زواج ٱلمؤمنين

أمر ٱللّه ٱلإنسانَ ٱلمؤمن أن يتزوج من مؤمنة محصنة. وهى ٱلتى تعمل ولديها ما يحصنها من ٱلحاجة فى عيشها.

وهى ٱلمحصنة لفرجها ٱلممتنعة ٱمتناعًا ذاتيّا عن متعة ٱلنكاح وٱلقرب. وضرب ٱللّه مثلاً على مثل هذه ٱلمحصن فى ٱلبلاغ:

﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ ١٢ ٱلتحريم.

مثل هذه ٱلمؤمنة لا يحقق وجودها بٱلإيمان ٱلظنى. لأن ٱلعفة تنجم عن علم ويقين. فهذه ٱلمؤمنة ٱلمحصنة هى مؤمنة عالمة. وٱلمؤمن ٱلمخاطب فى ٱلقرءان هو ٱلعالم ٱلذى لا يستسلم للشك وٱلريب. وهو ٱلذى يُخاطَب بٱلتوجيه:

﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٍۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ ٢٥ ٱلنسآء.

إذا تعذر على ٱلمؤمن ٱلعالم ٱللقآء وٱلزواج من مؤمنة عالمة وكان يخشى ٱلعنت[١] (صعوبة كبح ٱلنفس) فله أن يلتقى ويتزوج من مؤمنة ظنا من ٱلعاملات لديه (ما ملكت يمينه).

---

(١) عنت يدل على ٱلعسر والصعوبة ومنه القول: تعنت فى رأيه.

وٱشترط عليه ٱلتوجيه أن يكون ٱلزواج برضى ٱلأهل ومدفوع ٱلأجر وعلنى.

وفى ٱلتوجيه نصيحة للمؤمن بٱلصبر حتى يلتقى مؤمنة عالمة.

وبيّن ٱلتوجيه أن ٱلمؤمنة ظنا ليست محصنة لفرجها بذاتها. وهذه إن أتت بٱلفاحشة من بعد ٱلزواج تعاقب بنصف ٱلعقوبة ٱلتى توقع على مؤمنة محصنة لفرجها بذاتهآ أتت بٱلفاحشة من بعد ٱلزواج.

وسبب ذلك أن ٱلمؤمنة ٱلمحصنة لفرجها بذاتها ٱلتى تأتى بٱلفاحشة من بعد حصن عفة وحصن زواج تستحق عقابا أشدّ بسبب علمها.

وتخفف ٱلعقوبة عن ٱلأخرى بسبب جهلها وعدم عفتها فى ٱلأصل.

ٱلفآئدة من هذا ٱلتوجيه هى فى ٱلحفاظ على خط ٱرتقآء ٱلإنسانية ٱلتى تعقل وتذكر وتتقى من خلال علمها وٱلتزامها بٱلأوامر ٱلإلهية. لأن زواج ٱلمؤمن ٱلعالم من مؤمنة عالمة يهىء لأولادهما بيئة عالمة مؤمنة تعمل دائما علىَ إزالة غفلها عن أشيآء ٱلوجود. ويأخذ ٱلأولاد عن ٱلوالدين منهاج ٱلتقدم وٱلارتقآء ٱلإنسانى ٱلمطلوب ٱلمتمثل فى «ملة إبرٰهيم حنيفا».

أما ٱلزواج من مؤمنة غير محصنة. مؤمنة ظنا. فيجعل نشأة ٱلأولاد غير صالحة. حيث تختلط ٱلحقوق[1] بٱلظنون ويتخلّف ٱلأولاد بعضهم أو جميعهم عن وٱلدهم ٱلعالم. وهذا يدفع بٱلإنسانية إلى ورآء.

هذا فى مجال ٱختيار ٱلزوجة ومستواها ٱلعلمى.

هناك أوامر إلـٰهية تتعلق بٱلزواج فىَ أماكن متعددة من كتاب ٱللَّه. فٱلذين يريدون ٱلهداية من كتاب ٱللَّه يستندون إلـى ٱلنبإ ٱلتالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ ٩ ٱلإسرآء.

وجآء ٱلتوجيه ٱلإلـٰهى ٱلمتعلق بٱلزواج علىَ أساس حرام/ حلال كما يبين ٱلبلاغ:

---

(١) حقوق جمع حقّ. وفى ٱللغة ٱلفصحى حقيقة.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ٢٣ ٱلنسآء.

هذا هو حرام ٱلنكاح.

ونسأل لماذا حرّم ٱللّه ذلك؟

فى مجلة ٱلعلوم ٱلأمريكية ٱلمجلد/١٣/ ٱلعدد/١٢/ كانون ثانى ١٩٩٧. وتحت عنوان «البحث عن الجينات المقاومة للإيدز»[١] ورد ٱلقول ٱلتالى:

(كما أثبتت بعض التجارب على الحيوان وجود دور للجينات فى الأمراض المُعدية، إذ تبدو الفئران والجرذان والدواجن والمواشى الناتجة عن تزواج الأقارب (التهجين الداخلى) Inbred حساسة بشكل واضح للأمراض السارية. ولعل ذلك يعود بشكل رئيسى إلى أن تزاوج الأقارب لا يترك لها سوى ذخيرة محدودة من الألائل المقاومة للمرض. أما المجموعات الناتجة عن تزواج الأباعد (التهجين الخارجى) Outbred، فمن المحتمل أن يوجد فى بعضها أليل يحصّنها تجاه عامل مُمرض ما، ويمكن لمن يحمل مثل هذا الأليل، الصمود والبقآء فى مواجهة الوبآء وتأمين الاستمرارية للمجموعة. ولما كان البشر مختلفين جينياً (وراثياً)، فقد افترضنا أنهم - مثل الأنواع الأخرى الناتجة من تزاوج الأباعد - لديهم كثير من الألائل القوية المقاومة للمرض، وربما يكون من بين هذه الألائل مقاومات للفيروس HIV، تنتظر بكل بساطة من يكتشفها).

وفى مكان أخر من ٱلمقال ورد ٱلقول ٱلتالى:

(فالفرد يرث نسختين من كل جين، ما عدا الصبغيين الجنسيين (نسخة من الأم ونسخة من الأب)، ويتشكل النمط الجينى من زوج من الألائل فى موضع محدد من

---

(١) J.S أوبرين و M دين.

الصبغى، أو العنوان الجينى. فمن يرث أليلين متماثلين لجين ما، يطلق عليه متماثل الزيجوت Honozygote، ومن يرث أليلين مختلفين لجينٍ ما، يطلق عليه متغاير الزيجوت Heterozygote).

وأصبح ٱليوم من وجهة نظر علم ٱلوراثة عموما أن زواج ٱلأقارب يزيد من ٱحتمالات ظهور ٱلانحرافات وٱلأمراض ٱلوراثية.

فما هو ٱلحلال فى ٱلنكاح؟

لقد جآء ٱلبيان من بعد بلاغ ٱلتحريم:

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ ٢٤ ٱلنسآء.

أىَ أن كل ٱلنسآء حلال بعد إخراج ٱلمعدودات فى ٱلبلاغ /٢٣/ ٱلنسآء. وهذا بٱلنسبة للمسألة ٱلوراثية ومتعلقاتها ٱلمُمرضة. وهو أمر عام يتعلق بصالح ٱلبشر من دون ٱلنظر إلى مسألة ٱلإيمان.

أما ٱلمؤمن فعليه مسئولية ٱلالتزام بٱلحلال مع ٱلاقتران بٱلإيمان وٱلحصن ٱلذى بيّنه له ٱللَّه فى ٱلبلاغ /٢٥/ ٱلنسآء. وٱلذى يأتى ترتيبه فى سورة ٱلنسآء من بعد بلاغ ٱلتحريم وبلاغ ٱلحلال ٱلعام مباشرة.

أما ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ٥ ٱلمآئدة.

فأهميته خاصة بٱلنسبة للمؤمنين حقا (علمآء ٱلحقِّ) سوآء ءكانوا من أتباع ٱلقرءان أم من أتباع كتب ٱللَّه ٱلسابقة. وتوجيه للمؤمنين (من كل ٱلوجهات) لإقامة علاقات ٱجتماعية ودية فيما بينهم (ٱلطعام) وأن يتصاهروا. وقرن ذلك بٱلحلال فى مطلع ٱلبلاغ.

وحذّر ٱلذين يكفرون بهذا ٱلحلال حيث تسوء علاقاتهم ببعض فى ٱلحياة ٱلدنيا وتزرع بينهم ٱلفرقة وٱلضعف ونقص ٱلثقة. وهم فى ٱلأخرة من ٱلخاسرين.

وقد وكّد ٱللّه للمؤمنين من أتباع ٱلقرءان أن توجيهاته لهم ٱلمتعلقة بٱلنكاح هى ذاتها عند ٱلمؤمنين من ٱلذين أوتوا ٱلكتاب من قبلهم وذلك بٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٢٦ ٱلنسآء.

فيه توكيد على ما جآء فى ٱلبلاغ /٢٥/ ٱلنسآء. وبيان أنَّ سنَّة ٱللّه فى زواج ٱلمؤمنين واحدة. وأنه لا يوجد ما يمنع إقامة ٱلعلاقات ٱلاجتماعية ٱلوديّة فيما بينهم وتقويتها بٱلنكاح. وبها تبنى وحدة ٱلمؤمنين بٱللّه وٱليوم ٱلأخر يقينا.

أما ٱلحلال ٱلذى جآء فى ٱلبلاغ /٥٠/ ٱلأحزاب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

فهو حلال نكاح حصرىّ بٱلنبى من دون ٱلمؤمنين. وفيه بيان وتوجيه فى مسألة حلال وحرام ٱلمؤمنين من بعد ٱلنبىّ إلى قيام ٱلساعة.

لقد بيّن ٱلبلاغ أن حلال ٱلنبى مختلف عن حلال ٱلمؤمنين. كما بيّن أن ٱللّه غفور رحيم للنبى فى هذا ٱلأمر. وبين ٱلسبب لهذا ٱلحلال بقوله «لكيلا يكون عليك حرج».

فما هو ٱلحرج ٱلذىّ أراد ٱللّه رفعه عن ٱلنبىّ أمام ٱلمؤمنين؟

ٱلنبى هو رسول ٱللّه وعليه بلاغ رسالته للناس. ومن مسآئل ٱلبلاغ حرام ٱلنكاح /٢٣/ ٱلنسآء.

ولما كان زواج ٱلنبى يخالف حكم هذا ٱلبلاغ وقع ٱلحرج عليه أمام ٱلمؤمنين.

ولما كان لا يستطيع بيان سبب مخالفته لما يبلغه للناس جآء ٱلبيان من ٱللَّه مباشرة.

فما هى ٱلمخالفات ٱلتى حللَّها ٱللَّه للنبى لإزالة ٱلحرج عنه؟

لقد ضمّ حلال نكاح ٱلنبى ما يلى:

١- أزواجه ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتاهن أجورهن مهما كانت درجة ٱلقربى بينه وبينهن. وبين إحداهن وٱلأخرى. وٱشترط عليه دفع أجر من لم يدفع لهآ أجرها.

أى لم يُعفَ ٱلنبى من دفع ٱلأجر.

٢- جميع ٱلمؤمنات ظنا ٱلَّـٰتى فى دآئرة سلطته (ملك ٱليمين).

٣- بنات ٱلعم وبنات ٱلعمة وبنات ٱلخال وبنات ٱلخالة ٱلَّـٰتى هاجرن معه.

أمآ أمثالهن من غير ٱلمهاجرات فلسن حلالاً له.

٤- مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى (من دون أجر) إن أراد هو ذلك.

وللتوكيد على خصوصية نكاح ٱلنبى وعلى رفع ٱلحرج عنه جآء فى ٱلبلاغ:

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ ٣٨ ٱلأحزاب.

جآءت هداية ٱللَّه للمؤمنين فى حلال وحرام ٱلنكاح وفق «سنن ٱلذين من قبلكم». وهى سنن «ٱلذين أوتواْ ٱلكتـٰب من قبل».

أما حلال ٱلنبى فهو وفق «سنّة ٱللَّه فى ٱلذين خلواْ من قبل». وٱلذين خَلَوَا مضوا وذهبوا من دون عودة. أى ٱنقرضوَا.

أمّا ٱلذين من قبل فهم ٱلسابقون عليكم وأنتم ومن معكم من ذريتهم. وهم ٱلذين أوتوا ٱلكتاب من قبل.

فسنن ٱلمؤمنين هى سنن ٱلذين من قبلهم. وهذا مآ أظهره ٱلبلاغ / ٥/ ٱلمآئدة. وورد فيه توجيه إلى ٱلعلاقة ٱلوديّة وٱلمصاهرة فيما بينهم. كذلك فى ٱلبلاغ / ٢٦/ ٱلنسآء.

وإذا عدناَ إلى حياة ٱلنبى نجد أن جميع أولاده من جميع أزواجه قد شملتهم سنّة ٱلذين خلوّا. أى ٱنقرضوا. لقد ماتوا وجميعهم ذكور. ولم يسلم منهم أحد. لأنهم تهجين داخلى. بإستثنآء زوجه خديجة بنت خويلد ٱلتى لم يكن بينها وبينه قرابة وبناته منها تهجين خارجى.

لقد بين ٱلبلاغ أنّ ٱلنَّسب يتبع ٱلذَكر:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ٥٤ ٱلفرقان.

ٱلذى بقىَ من أولاد ٱلنبى هو ٱلصهر من زوجه خديجة. ولآ أدرىَ إذا كان حلال ٱلنبىَ أراد ذلك. أى قطع ٱلنسب.

وإذا نظرنا فى توجيه ٱللَّه للمؤمن ٱلعالم للزواج من مؤمنة عالمة. وقد نصحه بٱلصبر فلا يتزوج من مؤمنة ظنّية حتى يلتقى مؤمنة عالمة. وعلاقة ذلك بتربية ٱلأولاد وٱلارتقآء بٱلإنسانية. فما نجده أن ٱللَّه لم يخصّ ٱلنبى بهذه ٱلنصيحة ٱلتى غايتها ٱلأولاد.

فهل كان قطع نسب ٱلنبىَ إرادة إلٰهية؟

من بعد عرض حلال نكاح ٱلنبى أستنبط منه أن كلمة «أخت» ٱلمحرمة فى ٱلبلاغ / ٢٣/ ٱلنسآء تدخل فيه بنت ٱلعم وبنت ٱلعمة وبنت ٱلخال وبنت ٱلخالة مثل ٱلأخت من ٱلوالدين.

وبين علم ٱلوراثة أن ٱلأولاد من مثل هذا ٱلزواج هو من ٱلتهجين ٱلداخلى Inbred ٱلذى يورث ٱلأمراض وٱلانحرافات ٱلخلقية وٱلتشوهات وٱلبلاهة. وجميع ٱلدراسات ٱلمتعلقة بٱلسرطانات وٱلإيدز وتصلب ٱلشرايين وٱلسكرى تذكر

عامل ٱلوراثة كسبب مشترك فى جميع هذه ٱلأعراض مع عوامل مسببة أخرى.

وأرى فى عامل ٱلوراثة ٱلسبب ٱلأول بين جميع تلك ٱلعوامل ٱستنادا إلى بلاغ ٱلتحريم / ٢٣/ ٱلنسآء وفيه ٱلتوجه إلى هذه ٱلمسألة حصرًا.

وأرىَ أن أورد ٱلأمر ٱلتالى:

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٣ ٱلنمل.

ءايات ٱللَّه لا حصر لها فى ٱلوجود ومنها ٱلجينوم وٱلذكر وٱلأنثى.

فلماذا خلق ٱللَّه ذكر وأنثى؟

فى ٱلحياة ٱلأولى لا يوجد ذكر وأنثى. وكان لفعل ٱلتكاثر وسيلته فى ٱنقسام ٱلنفس ٱلواحدة (وحيدة ٱلخلية) إلى نفسين متماثلتين فى جميع ٱلكآئنات ٱلحية. وهذا ٱلتكاثر هو نسخ للأصل من دون تغيير. ومن أجل ٱلبدء بفعل سنّة ٱلاصطفآء فى ٱللون ٱلحى أتى ٱللَّه بفصل ٱلنفس ٱلواحدة (وحيدة ٱلخلية) وجعلها ذكرًا وأنثى. وهو ما فهمته من ٱلبلاغ:

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ٦ ٱلزمر.

وحتى لا يوقع ٱلناس (ٱلمؤمنون ٱلعلمآء منهم) فى ٱلنسخ ٱلوراثى. بما فى ذلك نسخ ٱلأمراض. أمر ٱللَّه بٱلزواج بعيدًا عن ٱلقربى. لأن ٱلولد من زواج ٱلقربى هو هجين داخلى Inbred يتركز فيه ٱلنسخ ٱلوراثى ومنه عوامل ٱلانقراض.

أما إذا ٱبتعد ٱلوالدين عن بعضهما وراثيا فيأتى ٱلولد من هجين خارجى Outbred. وبهذا ٱلزواج فإن ٱلولد يرى ٱلنور وفق خلق (تصميم) جينى جديد. وإذا ما كان ذلك ٱلخلق جيدًا فإن كل ما فيه من جديد وقيّم سينتشر ويحسّن ٱللون.

كما نصح بٱلنكاح من مؤمنات محصنـات (عالمات) للمحافظة على سوية تربوية عالية.

وأحّل ٱلنكاح بين ٱلمؤمنين أتباع ٱلقرءان وٱلمؤمنين من ٱلذين أوتوا ٱلكتاب

من قبل لكى تتوسع دآئرة نكاح ٱلمؤمن ٱلعالم من مؤمنة عالمة. حيث قد لا تتوفر فى دآئرة حياته مؤمنة عالمة تتبع ما يتبع سوآء كان هذا ٱلمؤمن ٱلعالم من ٱلذين أوتوا ٱلكتاب أم من ٱلذين يتبعون ٱلقرءان.

وأرى أنَّ ٱلامتناع عن تبادل ٱلزواج وفق ما جآء فى ٱلبلاغ /٥/ ٱلمآئدة يدفع ٱلمؤمن ٱلعالم من أى دآئرة كانت لأن ينكح مؤمنة ظنا. ويكون بذلك قد وقع فى ٱلإحباط ٱلذى حذر منه فى ٱلبلاغ. وٱلاحباط هو فى مستوى ٱلأولاد ٱلعلمى.

وطاعة أوامر ٱللّه ومنهآ أوامره ٱلمتعلقة بٱلنكاح هى مسئولية ٱلمؤمن وحده ومن دون إكراه عليه.

❊ ❊

عرضت حتى ٱلأن حلال وحرام نكاح ٱلمؤمنين. ويبقى أن أعرض أسلوب وشروط مباشرة أفعال ٱلنكاح.

فما هى شروط مباشرة تلك ٱلأفعال؟

ننظر فى ٱلتوجيه ٱلتالى:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ ٢٣٥ ٱلبقرة.

كذلك ننظر فى ٱلتوجيه ٱلتالى:

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا /٢٠/ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا /٢١/﴾ ٱلنسآء.

ٱلبلاغات /٥/ مآئدة و/٢٥/ نسآء و/٥٠/ ٱلأحزاب ٱلتى حددت حلال وحرام ٱلنكاح أوردت جميعها شرط ٱلأجر. وبعضها شرط موافقة ٱلأهل وعلنية ٱلنكاح.

أما ٱلبلاغ / ٢٣٥/ ٱلبقرة فبين أمورًا أخرى كٱلخطبة وٱلامتناع عن ٱللقآء سرًّا قبل بلوغ ٱلكتاب أجله.

أما ٱلبلاغان / ٢٠/ و/ ٢١/ ٱلنسآء فقد بينآ أن ٱلأجر مهما كان كبيـرًا لا يُردّ. وبيّن ٱلبلاغ / ٢١/ وجود ميثاق شديد قوى بين ٱلزوجين.

ومن هذه ٱلبلاغات أستطيع تحديد أشراط ٱلمباشرة بأفعال ٱلنكاح فيما يلى:

١- ٱلخطبة وهى ٱلخطاب ٱلموجّه بطلب ٱلنكاح من مؤمنة محصّنة أو مؤمنة ظنا غير حرام نكاحها على ٱلمخاطب.

٢- ٱلجواب على ٱلخطبة بٱلقبول ٱلمقترن بموافقة ٱلأهل حتى لا تتفكك ٱلرابطة ٱلاجتماعية.

٣- ٱلاتفاق على ٱلأجر وطريقة دفعه وفق ٱلأعراف ٱلاجتماعية ٱلسآئدة وٱلقابلة للحنف.

٤- قبول ٱلعهد بين ٱلزوجين ٱلذى يبين أشراط ٱلثقة بينهمـا. ويجرى ٱلتواثق بٱللّه على ٱلإلتزام بجميع أشراطه من قبل ٱلطرفين وفى وسط علنى لا يقل عن ٱثنين.

وعندما يتحقق ٱلشرط ٱلرابع (ٱلعهد ٱلعلنى) يكون ٱلكتاب قد بلغ أجله ويستطيع ٱلزوجين مباشرة أفعال ٱلنكاح كٱلرفث وٱلقرب وٱلمسّ.

ولما كان ٱلميثاق هو ٱلمسألة ٱلتى بقيت من دون بينة حتى ٱلأن. رأيت ٱستنباطه من بعد عرض ٱلبلاغات ٱلتالية:

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ / ١٥١/ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ

فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ /١٥٢/ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ /١٥٣/﴾ ٱلانعام.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ /١٧/ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ /١٨/ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ /١٩/﴾ لقمان.

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ ٢٧٥ ٱلبقرة.

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ ١٨٠ ٱلبقرة.

﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ /٩/ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ /١٠/ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ /١١/﴾ ٱلضحى.

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ ٢٢٤ ٱلبقرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ ٢٨٢ ٱلبقرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ ٥٨ ٱلنسآء.

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ ١٥ ٱلنسآء.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ﴾ ١٦ ٱلنسآء.

﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا /٣٦/ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ

عَذَابًا مُّهِينًا /٣٧/ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا /٣٨/ ﴾ ٱلنساء.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ ١ ٱلمآئدة.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ﴾ ٣ ٱلمآئدة.

﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ٨٥ هود.

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ ٢٩ ٱلإسرآء.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ /٢٧/ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ /٢٨/ ﴾ ٱلنور.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ١١ ٱلمجادلة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ /١١/ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ /١٢/ ﴾ ٱلحجرات.

من هذه ٱلبلاغات ٱلتى تخاطب جميعها ٱلمؤمنين أجتهد وأستنبط عهدا وميثاقا لزواج ٱلمؤمنين وأعدده فيما يلى:

١- يتعهد ٱلزوجان بتبادل ٱلحب وقول ٱلصدق وٱلإمتناع عن ٱلكذب أبيضه وأسوده.

٢- يتعهد ٱلزوجان بٱلعمل بإحسان مع ٱلوالدين وٱلأولاد وٱلأقربآء وٱليتامى وٱلمساكين وٱلجار وٱلصاحب وٱبن ٱلسبيل ومن يعمل تحت أمرتهما وٱلسآئلين.

٣- يتعهد ٱلزوجان بٱلامتناع عن قتل ٱلولد ٱلمخلّق فى ٱلرحم ولا ٱلولد ٱلذى خرج إلى ٱلنور مهما كانت معيشتهما ضيقة.

٤- يتعهد ٱلزوجان بٱلامتناع عن ٱلزنى فلا يشتهى ٱلزوج زوجة رجل أخر ولا تشتهى ٱلزوجة رجلا أخر ولا يسمحان لنفسيهما بٱلفاحشة بين رجل ورجل وٱمرأة وٱمرأة.

٥- يتعهد ٱلزوجان بٱلامتناع عن قتل أحد ولا يظاهران على قتله إلا دفاعًا عن ٱلنفس.

٦- لا يقربان مال يتيم ويحرسانه له ويحسّنون فيه حتى يشتد ويأخذ ماله.

٧- لا يخسران كيلاً ولا ميزانًا ويتقيدان بٱلمواصفة ٱلقياسية ٱلمعلومة فى مجتمعهم.

٨- لا يقولان إلا ٱلحق مهما كانت درجة ٱلقربى.

٩- لا يبطلان عهدًا بٱللَّه.

١٠- يُقيمان ٱلصّلوٰة ويأتيان ٱلزكوٰة ويصومان كمآ أمرهما ٱللَّه ويعوّدان نفسيهما على ٱلصبر عند ٱلمصآئب.

١١- يرحّبان بٱلناس ويتواضعان فى علاقتهما معهم ولا يختالان ولا يتفاخران.

١٢- لا يحلفان بٱللَّه إلا على عهد.

١٣- يلتزمان بوصيّة ٱلميت لأنها حق على ٱلمتقين. ولا يقتسمان بقرعة.

١٤- لا يقترضان ولا يقرضان بربا ويكتبان ٱلدين لدى كاتب بٱلعدل.

١٥- يردّان ٱلأمانة لصاحبها عند طلبه ويحكمان بين ٱلناس بٱلعدل.

١٦- لا يبخلان ولا يشجعان على بخل ولا ينكران ما رزقهما ٱللَّه من زرق ولا يبذّران.

١٧- ينفقان فى سبيل ٱللَّه. وسبيل ٱللَّه هو سبيل ٱلعلم ووسآئله. ولا ينفقان ليرئٰهما ٱلناس.

١٨- إذا تعاقدا مع جماعة أوَ أحد يلتزمان ٱلوفآء بٱلعقد.

١٩- لا يتناولان طعامًا خبيثا إلا مضطرين ولا يطعمان منه.

٢٠- لا يفسدان فى ٱلحرث ولا فى ٱلنسل ولا فى ٱلمنشآت ٱلخاصة وٱلعامة. ويعملان جاهدين لوقف ٱلفساد ٱلجارى فى ٱلأرض.

٢١- لا يدخلان بيتا إلا بدعوة وترحيب من أهله.

٢٢- يفسحان فى ٱلمجالس للشيوخ وٱلمرضى. وإذا كان ٱلمكان لا يتسع بٱلإفساح يقومان ويقدمان مكانهما للأخرين.

٢٣- لا يسخران من أحد ولا يتغامزان عليه ولا يعايرانه. ولا يظنّان. ولا يتجسسان. ولا يغتابان.

٢٤- يتعهد ٱلزوجان بٱلمحافظة على حياة بعضهما ومالهما وسمعتهما وٱلصبر فى ٱلسرآء وٱلضرآء وٱلصحة وٱلمرض.

٢٥- يتعهد ٱلزوجان برعاية أنفسهما وٱلعمل على تطور أفكارهما ومفاهيمهما وخاصة ٱلدينية وٱلعلمية منها. ورعاية أولادهما رعاية أمٍّ وأب ويفتحآ أمامهم سبيل ٱلتطور وٱلحصول على ٱلعلم ٱلحسى دون إكراه.

٢٦- يتعهد ٱلزوجان بٱحترام أرآء وأفكار بعضهما حتى ولو كانت مختلفة ولا يلمزا بعضهما ولا يكره أحدهما ٱلأخر فيما يؤمن به من دين أو فكر.

٢٧- يتعهد ٱلزوجان بٱحترام ٱلحياة ٱلشخصية لبعضهما وٱلحفاظ علىٰ أسرارهما وعدم ٱلثرثرة بهآ أمام ٱلأخرين.

٢٨- يتعهد ٱلزوجان بٱلحوار فى مشاكلهما فلا يرفعان صوتيهما فى ٱلحديث مع بعضهما.

٢٩- يتعهد ٱلزوجان بٱلامتناع عن أعمال ٱلنهب وٱلسرقة.

وبعد تلاوة أشراط ٱلعهد أمام ٱلحاضرين من ٱلأهل وٱلأصدقآء. وبعد إعلانهما توثيقه بقبولهما لأشراطه يبلغ ٱلكتاب أجله.

وببلوغ ٱلكتاب أجله يعلن أمام ٱلحضور أنهما زوجان أمام ٱللّه وٱلنّاس. ويبقى لهمآ أن يبارك ٱللّه فى زواجهما ويهديهمآ إلى ٱلحياة ٱلصالحة ٱلصادقة.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢١ ٱلرُّوم.

هذا ما رأيته من بعض بلاغات كتاب ٱللّه لأن يكون عهد وميثاق زواج للمؤمنين.

مثل هذا ٱلعهد يعطى للزوجين لتلاوته وفهمه ومعرفة كل منهما قدرته على ٱلإلتزام به قبل ٱلتواثق عليه أمام ٱللّه وفى وسط علنى.

ثم يحضران أمام هيئة عامة برفقة حضور لا يقل عن ٱثنين ليتعهد بٱللّه كلّ منهما عليه. وبعد تعاهدهما عليه يصير ٱلعهد ميثاقا بينهما فيبلغ ٱلكتاب أجله وتبدأ حياتهما ٱلزوجية.

وفى ٱلبلاغ تحذير للذين ينقضون عهد ٱللّه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٧٧ ءال عمران.

* *

إن ٱلدعوة إلى سبيل ٱللَّه تستند إلى ٱلأمر ٱلتالى:
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ ١٢٥ ٱلنحل.
فلآ إكراه فى ٱلدين ولآ إكراه فى ٱلدعوة. وسبيل ٱلرب مبين فى ٱلبلاغ:
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ ٢٩ ٱلإنسان.
ٱلناس أحرار. لهم أن يتزوجوا كمآ أمر ٱللَّه. كما لهم أن يتزوجوا كما يشاؤون.

سورة ٱلفلق

بسم ٱللَّه ٱلرَّحمٰن ٱلرَّحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ /١/ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ /٢/ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ /٣/ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ /٤/ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ /٥/﴾.

غَيَّب ظَنُّ ٱلكاهن أهمية هذه ٱلسورة. وسأحاول أن أقدم فهمى لها وكلنىَ أمل أن يعود من يتلوا كتابىَ إلى ٱلنظر فيه مرات ومرات قبل أن يصدر حكمه على هذا ٱلفهم.

وحتى يكون عملىَ أظهرُ أرتل معها ٱلنبأ ٱلتالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ /٩٥/ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ /٩٦/﴾ ٱلأنعام.

فى ٱلنبأ /٩٥ و٩٦/ ٱلأنعام يبيّن لنا ٱللَّه أن سنّة ٱلفلق (ٱلفصل وٱلانقسام) تحكم ٱلوجود ٱلحى (ٱلحبَّ) وٱلوجود ٱلميت (ٱلنوى) على ٱلسوآء.

كما يبين لنا ظواهر ٱلوجودين (ٱلإصباح). ويوكّد لنآ أن هذه ٱلسنّة هى من فعل ٱللَّه.

ربُّ ٱلفلق فى سورة ٱلفلق هو ٱللَّه بدليل ٱلنبإ /٩٥ و٩٦/ ٱلأنعام.

وٱلأمر ٱلمبيّن فى سورة ٱلفلق هو تقدُّمَنا ٱلعلمى وٱكتشافنا لسنّة ٱلفلق فى ٱلوجودين ٱلحى وٱلميت وظواهرهما.

ويبين أنّ تسخيرنا للقوة ٱلكامنة لا يكفى لوحده. وٱلذى تبيّنه لنا ٱلسورة أن ٱلعلم بسنّة ٱلفلق يلزمه ٱللجوء من دون ٱنقطاع إلى ربّ هذه ٱلسنّة ٱلذى هو ٱللّه فنعلم بما وعظ وهدى حتى لا نقع فى شرور أعمالنا.

ٱلشر فى ٱلوجود ظاهرة إنسانية يبينها ٱلبلاغ:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا / ٧/ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا / ٨/ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا / ٩/ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا / ١٠/﴾ ٱلشمس.

فٱلنفس ٱلبشرية تحكمها سنة ٱلفلق فى مجال ٱلظواهر (ٱلاصباح). وهى تفصل بين ٱلفجور وٱلتقوى.

وينبثق عن فعل هذه ٱلسنّة فعل إنسانى يقوم على جدلية (ٱلفجور - ٱلتقوى) بدليل ٱلنبإ ٱلتالى:

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ ٥٤ ٱلكهف.

وأنّ ٱلتحكم فى سير هذه ٱلجدلية يأتى من وجهتين:

١- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾. ويتم ذلك بتذكّرهآ لأوامر ٱللّه ووصاياه وموعظته وعدم نسيانها وٱلطاعة.

٢- ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾. وهو لنفس أهملت أوامر ووصايا وموعظة ٱللّه فلا تذكرها وهى خفية عليها. فلا تستطيع ٱلسيطرة على هذه ٱلجدلية وتغلب عليهآ أفعال ٱلفجور وتصبح هى ٱلأقوى بسبب فقدان عامل ٱلتحكم وٱلسيطرة ٱلذىٓ أرسله لنا ٱللّه فى رسالته.

ويستطيع ٱلإنسان أن يعمل بسنة ٱلفلق فى وجهتين. إمّا وجهة ٱلخير وإمّا وجهة ٱلشر. مثل ٱلانقسام ٱلنـووى فيه خير وفيه شرّ. وٱلإنسان مخيّر ومسئول عن ٱختياره.

فى مقال لـ (F.W أندرسون)[١] ٱلقول ٱلتالى:

«لقد دخل مجتمعنا عهد الطاقة النووية معصوب العينين، كما أننا سرنا في عصر الـ دي دي تي DDT والمبيدات الحشرية الأخرى على نحو أعمى. إلا أننا لن نستطيع دفع ثمن الانغماس الأعمى فى عصر الهندسة الجينية (الوراثية) Genetic engineering. ولهذا يجب أن ندخل هذه المرحلة المثيرة ونحن على وعي تام بأن المعالجة الجينية قد تستخدم للشرّ كما قد تستخدم للخير. وعندما نجني ثمار هذه التقانة، علينا أن نتذكر أخطارها الكامنة، وأن نبقى متيقظين دوما».

فيه إشارة بينة إلى وجهتين فى علم ٱلمعالجة ٱلجينية (شرّ- خير). وهى إمكانية كامنة وتنتظر توجيهها.

وٱلعوذ برب ٱلفلق أى ٱللجوء إلى ٱللَّه وأوامره ووصاياه ٱلظاهرة ٱلبينة هو ٱلمنقذ ٱلوحيد لنا من ٱلشرور سوآء كان ذلك فى ٱلانقسام ٱلنووى أم فى ٱلهندسة ٱلجينية أم فى ٱلاستنساخ الخ..

لقد بين لنا ٱللَّه فى ٱلتوجيه / ٢/ ٱلفلق أن ٱلشرّ من خلقه. وذلك من خلال خلق ٱلنفس ٱلإنسانية ذات ٱلجدلية (خير - شرّ).

كما بيّن فى ٱلتوجيه / ٣/ أن ٱلعمل وفق سنّة ٱلفلق فى وجهة ٱلشر يسبب ٱنتشار ٱلظلام سوآء كان فى حياة ٱلناس أم فى ٱلأرض (ٱلبيئة). ولهذه ٱلوجهة أثارها ٱلشريرة فى ٱلحياة ٱلاجتماعية.

كما بيّن فى ٱلتوجيه / ٤/ أنّ ٱلشرّ بفعل ٱلنفث فى ٱلأزمات ٱلاجتماعية أو ٱلعآئلية أو ٱلمذهبية أو ٱلدولية يزيد فى تعقيدها وتأزيمها ويجعلها غير قابلة للحل.

وبين فى ٱلتوجيه / ٥/ أن فعل ٱلشرّ يستمر فى توليد ٱلشرور. فبعد تأجيج ٱلأزمات تقوى ٱلنفوس ٱلحاسدة ٱلطامعة بٱلكسب من خلال تلك ٱلأزمات كتجار ٱلحروب على ٱختلاف بضاعتهم. ويزداد إقدامها على فعل ما يحقق أطماعها من دون ٱهتمام بما ينجم عنها فى حياة ٱلناس.

---

(١) «المعالجة الجينية». مجلة العلوم الأمريكية - المجلد ١٤ - العدد ٤ - نيسان ١٩٩٨.

سورة ٱلناس

بسم ٱللَّه ٱلرَّحمٰن ٱلرَّحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ /١/ مَلِكِ ٱلنَّاسِ /٢/ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ /٣/ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ /٤/ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ /٥/ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ /٦/﴾.

فى هذه ٱلسورة وفى نور ما جآء من فهم لسورة ٱلفلق أنظر إلى قولها ٱلذى يبدأ بٱللجوء (أعوذ) إلى ٱللّه بثلاث حالات:

ٱلأولى لجوء إلى ربّ سنّة ٱلوجود وٱلناس من ٱلوجود.

ٱلثانية لجوء إلى ملك ٱلناس وهو ٱللّه ٱلمالك لكل شىء وٱلناس أشيآء.

ٱلثالثة لجوء إلىَ إلٰه ٱلناس وهو لمن يعلم ويقر بٱلألوهة ويحصرها بٱللّه.

وأفهم من هذا ٱلعوذ أنّ ٱلمؤمن ٱلعالم يلجأ إلى ربّ ٱلفلق حتى لا يعمل بسنّة ٱلفلق فى وجهة ٱلشرور. ويلجأ إلى ٱللّه وهو نور ٱلسمٰوٰت وٱلأرض وٱلعليم بكلِّ شىء فى ٱلحالات ٱلثلاث عند تطبيق سورة ٱلناس فى ٱلحياة ٱلاجتماعية ٱلتى تحتاج إلى مؤسسات وإدارات تشرف على حياة ٱلمجتمع.

وأرىَ أن ٱلعوذ فى هذه ٱلسورة ينحصر فى مسألة على قدر كبير من ٱلأهمية وقد بينها ٱللّه بقوله: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾.

ٱلوسواس مرض فى ٱلنفس ينشأ عن ٱختلاط ٱلأحلام وٱلظنون مع ٱلحقِّ. وبهذا ٱلمرض يفقد ٱلمصاب ٱلقدرة على ٱلتفريق بين أحلامه وظنونه وبين ٱلحق.

ٱلخنّاس ٱسم يستمدّ دليله من دليل ٱلفعل خَنَسَ. وهو فعل فى دليله دليل ٱلأفعال (أخّر وخلّف ووارى).

فٱللجوء إلى ٱللَّه هنا هو لجوء إلى ٱلعلم بما فى نفس ٱلمرشح إلى منصب فى صدر ٱلمجتمع حتى لا يوقع ٱلمجتمع فى ٱلشرور ٱلتى يسببها وصول مرضى بٱلوسواس ٱلخنّاس إلى مواقع ٱلصدر فيه. ومن أجل إعفآء من أصيب بهذا ٱلمرض وهو فى موقع من مواقع ٱلصدر من منصبه.

وٱلنفع ٱلمطلوب فى هذه ٱلسورة ينحصر فى توجيه ٱهتمام ٱلناس إلى ٱلعلم بحال نفس كلّ فرد يتقدم لموقع من مواقع ٱلصدر وٱلتأكد من خلوها من ٱلأمراض ٱلنفسية. ووضع ٱلأسس ٱلتى تتبع للكشف عنها.

سورة ٱلعصر

بسم ٱللَّه ٱلرَّحمٰن ٱلرَّحيم

﴿وَٱلْعَصْرِ /١/ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ /٢/ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ /٣/﴾.

فى هذه ٱلسورة تصوير تمثيلى لسنّة ٱلرب فى ٱلوجود «كل شىء هالك..»

«وٱلعصر» ٱلواو هو واو ٱلطُّور. وعَصَرَ ٱلشىءَ أخرج ما فيه من مآء. فٱلإنسان من بعد قوّة وشدّة يُعصر فيخسر جسمه ٱلمآء. ويمثّل عليه بصورة عصر فاكهة يخرج ما فيها من عصير ولا يُترك فيهآ إلا ٱلألياف ٱلجافة. وعصرُ ٱلشىء يؤول به إلى جفاف وتفتت وهلاك.

ٱلإنسان ٱلمولود فى جسمه ٨٠٪ من وزنه مآء. وتبقى هذه ٱلنسبة فى جسمه إلىَ أن يبلغ ٱلثلاثين من ٱلعمر. فيبدأ طُور يخسر فيه ٱلمآء من جسمه إلىَ أن توصل خسارته إلى حدّ لا يتركه حيّا من بعده. وهذا هو عصره وخسره.

وفى ٱلنبا /٢/ يبين ٱلشّبه بين عملية ٱلعصر وحياة ٱلإنسان ويوكّده. فهو فى حال خسر مستمر يشبه عملية ٱلعصر حتى هلاكه.

هذا فى ٱلحياة ٱلدنيا. أما فى ٱلحياة ٱلأخرة فإنّ خسارة ٱلذين لا يعلمون بهذا ٱلحقّ كاملة.

أما ٱلذين ءامنوا وقدموا ٱلبينة علىَ إيمانهم بأعمالهم ٱلصالحة فى ٱلحياة ٱلدنيا فتعود خسارتهم إليهم فى ٱلحياة ٱلأخرة.

ٱلاستنساخ



ٱلإهدآء

إلى زوجتىَ إيمان. ٱلإنسانة ٱلّتى تفيض بٱلصدق وٱلإحسان وٱلأمل وٱلمحبة. وٱلتى تدفع إلى ٱلقيام وٱلعزم وٱلانطلاق إلى ٱلأمام بحثًا عن ٱلحقّ فى ٱلحياة ٱلخيّرة ٱلمتجددة دائمًا.

وإلىَ أولادى زياد وزاريا وعماد وزين وجاد. أسأل ٱللّه ٱلهداية لكم إلىَ سبيل ٱلإيمان ٱلحقّ ٱلمتطهر من ٱلوهم. وأن تكونوا نسبًا وصهرًا صالحين.

كلمة أولى

إن ٱلمأرب من ٱلبحث هو ٱلدعوة إلى سبيل ٱللّه. وهو ممرّ يخلو من ٱلعسرات وٱلتضييق يبينه لنا ٱلبلاغ بٱلقول ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾. فٱلناس أحرار فى مواقفهم لهم أن يؤمنوا بٱللّه ولهم أن يكفروا من دون عدوان. وحرية ٱلناس مسئولية فردية عليهم كما يرى «جان بول سارتر». وفى ٱلحرية تجد ٱلنفس طهارتها من أفعال ٱلوحش.

ٱلدعوة إلى سبيل ٱللّه هى دعوة إلى حرية ٱلناس فلآ إكراه فى ٱلدين. وليس فى ٱلدعوة إلا تحريض كما يبين ٱلأمر ٱلإلـٰهى:

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ ٨٤ ٱلنساء.

وٱلمؤمن ٱلحقّ يكلِّفُ نفسهُ ولا يكلِّفُ غيره. وهو يعلم أنّ فى تكليف ٱلغير إكراه.

مدخل إلى ٱلبحث

يتقاسم ٱليوم ٱلاستنساخ ٱلبشرى وٱلهندسة ٱلجينية ٱلصدارة فى بحوث ٱلعلم. وكل منهما من أعمق وأصعب ٱلبحوث ٱلعلمية ٱلتى توصل إليها وعمل عليها ٱلإنسان فى مسيرته ٱلمعلوماتية ٱلتى بدأت مع ٱلإنسان ٱلأول وما زالت تتطور وتزداد حتى يومنا هٰذا.

لقد ثار جدل كبير حول ٱلاستنساخ ٱلبشرى. ونُشرت بيانات تستنكر مثل هٰذا ٱلتوجه فى ٱلعلم وتطالب بمنعه. ومن ٱلمستنكرين رجال دين وسياسيون ومنهم رئيس ٱلولايات ٱلمتحدة ٱلأمريكية «وليم جفرسون كلينتون».

وفى أواخر عام ١٩٩٨ قام علمآء من كوريا ٱلجنوبية بإجرآء تجربة على ٱستنساخ بشر. وبعد ٱنقسام ٱلنسخة إلىٓ أربعة خلاياً أوقفوا ٱلتجربة. بٱنتظار ٱلموافقات ٱلدينية وٱلتشريعية (ٱلقانونية).

لقد قال رجال ٱلدين كلمتهم وطالبوا بمنع هذا ٱلعلم. وتأسست فى بريطانيا جمعيـة طبية إسلامية لمكافحة ٱلاستنساخ. وأَزرهم رئيس أكبر دولة علمية فى ٱلأرض. فمن أين ستكون ٱلموافقات ٱلدينية وٱلقانونية ٱلتى ينتظرها علمآء ٱلاستنساخ؟

ولخطورة هذه ٱلمسألة وجدت نفسىَ أنظر فى كتاب ٱللَّه (ٱلقرءان). ومأربى هو فى معرفة حدود ٱلعلم بٱلنسبة للإنسان.

ورأيت فيه ٱلأمر:

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

وفيه مسألتان:

ٱلأولىَ أمر بٱلبحث ٱلعلمى. نوصل به إلى ٱلعلم بكيف بدأ ٱلخلق. وفيه بلاغ يبين حتمية علمنا بكيف نشأ:

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ٱلواقعة.

وفى ٱلبلاغ أن علمنا بٱلمسألة محتوم «لقد علمتم» وهو قول يظهر توكيد ٱنتهآء علمنا بها بدليل فعل مضى.

وٱلمسألة ٱلثانية هىَ إعلامناَ أن ٱلنَّشأة ٱلأخِرة لا يدخل ٱلعلم بنشأتها فى دآئرة قوتنا ٱلعلمية. وأن ٱلعلم بٱلنشأة الأخرة هو من علم ٱللَّه وحده.

ٱلاستنساخ ٱلبشرى هو علم فى وسيلة للتناسل من موقع تطورٍ محدد من دون ٱعتماد على ٱلاتصال بين ذكر وأنثى. وهذا ٱلعلم يدخل فى دآئرة ٱلأمر «فٱنظروا كيف بدأ ٱلخلق» ولا يخرج عنه. وهذا ٱلعلم لا يزال بعيدًا عن كمال ٱلطلب ٱلسآئل «كيف بدأ ٱلخلق».

فإذا كان ٱلأمر ٱلإلـٰهى للإنسان يطلب منه ٱلسير وٱلنظر وٱلوصول إلى ٱلعلم بكيف بدأ ٱلخلق. وأنّ فى ٱستنساخ ٱلبشر وغيره من ٱلكآئنات ٱلحية سبيله إلى هذا ٱلعلم. فلماذا يعارض رجال ٱلدين هذا ٱلأمر كلما وصل ٱلإنسان إلى منعطف علمى جديد يسوق إلى تحقق هذا ٱلطلب؟!!

وما هو سندهم فى ٱلمعارضة وٱلاستنكار؟

فى كتاب ٱللَّه ٱلقرءان مسألتان رئيستان:

ٱلأولى بلاغه عن بداية ونهاية ٱلكون وعن خلقنا وخلق كل ألوان ٱلحىّ وٱلميت وتسويتها.

وٱلثانية مواعظه وأوامره ومنها ٱلأمر بٱلسير وٱلنظر وٱلعلم كيف بدأ ٱلخلق.

ويبين كتاب ٱللّه أننآ أحرار فى طاعة الأوامر وفى ٱلفسق عليها «لآ إكراه فى ٱلدين». وإنّ طاعتنا تمثل ركوعا وعبادة للّه. كمآ أنّ إهمالنا وتركنا لها هو فسق وعبادة لأهوآئنا. ولكل من ٱلموقفين ما يقابله من مكافأة أو عقاب عند ٱللّه يوم ٱلحساب.

إذا ٱقترن فهمنا للمسألة ٱلأولى بتصديق ٱلنبإ بفعل ٱلعقل بينه وبين أعمالنا ٱلعلمية يسوقنآ إلى ٱلالتزام بٱلمسألة ٱلثانية. حيث أن أوامر ٱللّه يطيعها ٱلناس فى نور فهمهم ٱلأنبآء ٱلتى تثيرها ٱلمسألة ٱلأولى.

لماذا ربط ٱللّه أوامره بٱلأنبآء؟

فى ٱلنبإ ٱلدليل وٱلإرشاد إلى ٱلحسى فى ٱلوجود وفىَ أنفسنا. وٱلإنسان من بعد زيادة علومه ٱلحسية عن ٱلوجود وعن ٱلنفس ٱلحية يستطيع إدراك ٱلنبإ وتصديقه بوسيلة ٱلعقل بينهما.

وٱلنبأ فى ٱلقرءان هو عن ٱلوجود وٱلنفس معًا. وعلم ٱلإنسان إمّآ أن يكون مصدقًا للنبأ أوَ أن يكون مكذبًا له. فإذا صدّق علم ٱلإنسان ٱلنبأ دفعه تصديقه إلى ٱلالتزام بٱلأمر ٱلإلـٰهى. وإذا كـذبـه طرح أوامر ٱللّه جانبًا ولا يعود إليها.

هذا ٱلتصديق وٱلتكذيب لا يخرج أىّ منهما عن سنّة ٱللّه فى ٱلخلق ٱلتى يبينها ٱلبلاغ:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا / ٧/ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا / ٨/ ﴾ ٱلشمس.

فتوجّه ٱلنفس وجهة ٱلفجور أو وجهة ٱلتقوى لا يبدّل سنّة ٱللّه فى ٱلخلق. ولا يدعوَا أحدًا للمعارضة وٱلاستنكار لأن توجّه ٱلنفس يحتمل ٱلوجهتين بٱلخلق.

وهنآ أجد نفسىَ أسأل: هل يوجد علم إنسانى يكذب ٱلنبأ فى ٱلقرءان؟

وأرتل ٱلقول ٱلمتعلق بٱلجواب:

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ٨٨ ٱلنمل.

ما يقوله لنا علم ٱلإنسان أن ٱلأرض تتحرك حول نفسها وكذلك تجرى فى فلك حول ٱلشمس. وفى حركتها وجريها هل تبقى ٱلجبال جامدة؟ وهل تمرُّ مرَّ السحاب؟

وفى ٱلأنبآء ٱلتالية بيان لزوجية ٱلأشيآء:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٩ ٱلذاريات.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٦ يس.

وتقول ٱلفيزيآء ٱلجزئية أنَّ هذه ٱلزوجية سمة أساس فى ٱلوجود (كوارك وكوارك مضاد) له ٱلهيئة (ٱلكتلة) ذاتها وخواص كهربآئية معاكسة.

ويقول علمآء ٱلحياة أنَّ ٱلمآء أساس ٱلحياة. وقد جآء فى ٱلنبإ:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ٣٠ ٱلأنبياء.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ ٤٥ ٱلنور.

وتجمع نظريات ٱلتطور علىٰ أن جميع ٱلكائنات ٱلحية نشأت من ٱلتراب (عناصر ٱلطبيعة) بما فى ذلك ٱلإنسان. وأنّ ٱلحياة بدأت من ٱلنفس ٱلواحدة (وحيدات ٱلخلية) ثم تشعبت عبر مراحل تطور إلىٰ أن وصلت إلى متعددات ٱلخلايا ثم إلى ٱلذكر وٱلأنثى. وقد جآء فى ٱلنبإ:

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ١٧ نوح.

وٱلنّبت هو نشوء ٱلمادة ٱلحية ٱلأولى ومصدرها ٱلأرض وليس مكانًا أخر. وبين ٱلمادة ٱلحية ٱلنابتة وٱلكآئن ٱلبشرى أزمنة متعددة وأطوار متعددة يوكّدها ٱلنبأ فى ٱلقرءان:

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ١٤ نوح.

من هذه ٱلأمثلة وجدت أن ٱلعلم ٱلإنسانى يصدّق ٱلنبأ فى ٱلقرءان ولا يخرج عنه. بل أجد أن النبأ فى ٱلقرءان أكثر بيانًا مما توصلت إليه نظريات ٱلنشوء

خصوصًا نشوء ٱلإنسان ذاته. فقد جآء فى ٱلقرءان أنبآء تفصّل فىَ أطوار نشأة ٱلإنسان:

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ ٥ ٱلحج.

وفيه تحديد ٱلمكوّن ٱلأساس ٱلذى يدخل فى تسوية خلق ٱلبشر وهو أساس ميّت (تراب).

وجآء فى نبإٍ أخر:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ ٥٤ ٱلفرقان.

يبين أساسًا أخر هو أساس كل شىء حىّ.

وفى ٱلنبإ ٱلتالى:

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ ٧ ٱلسجدة.

يبين علاقة ٱلمآء بٱلتراب وجعله طينًا. حيث أن أسس تسوية ٱلخلق هى من ٱلتراب وٱلمآء وأن تسوية خلق ٱلإنسان تبدأ من مكون ترابى مآئى هو ٱلطين. وهو تكوين تجرى فيه أفعال ٱلفيزيآء وينجم عنها شىء حىّ يبينه ٱلنبإِ ٱلتالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ١٢ ٱلمؤمنون.

«من سلٰلة» مصدرها ٱلطين. وٱلسلالة هى ما يُستَلّ ويُنتزع كٱلنبات ٱلفطرى[1] ٱلذى ٱستُلّ من ٱلطين من دون بذور. وهو ما يمثل منطلق ٱلحياة ٱلأول.

ويزداد ٱلنبأ ٱلقرءانى تحديدًا:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ ٢٦ ٱلحجر.

﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ هو نوع من ٱلطين ٱلأسود ٱلساخن ٱلجارى. فٱلصلصال لون من ٱلتراب. وٱلحمأ لون من ٱلكربون ٱلساخن. وقد ٱختلط

---

(١) إن ٱلفطور وكماة ٱلرعد ليست بذورًا. إنهآ أحماض أمينية وسكر وبورفين (أساس ٱليخضور). حرّض ٱلبرق وٱلرعد على تكوينها من ٱلطين. وما زال هذا ٱلفعل ٱلفيزيآئى يحدث.

ٱلاثنين بفعل ٱلمآء ٱلمسنون. وهو ٱلطين ٱلساخن ٱلمندفع من جوف ٱلأرض. مكونًا ٱلتركيب ٱلفيزيآئى ٱلشبيه بتكوين «ٱلسِّيان».

من هذه ٱلأمثلة للأنبآء وٱلبلاغات ٱلمرتلة لهذه ٱلمسألة نجد أن ٱلنبأ ٱلقرءانى يُعلمنا عن ٱلنشأة ٱلأولى للإنسان وأصلها ٱلأرضى. أمّا متابعة ٱلخلق بدءًا من وحيدات ٱلخلية إلى متعددات ٱلخلايا ثم إلى ٱلذكر وٱلأنثى فقد جآءنا ٱلبلاغ بما يلى:

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ٦ ٱلزمر.

وٱلنفس ٱلواحدة هى كل ٱلكآئنات وحيدات ٱلخلية. وتسميتها بٱلنفس جآء من ٱلفعل ٱلفيزيآئى ٱلجارى فيها بتبادل ٱلأجزآء ٱلدخانية (ٱلغازات) مع هوآء ٱلجو. هذه ٱلنفس ٱلواحدة ٱلتى نشأت من سلالة من طين. جرى تغيير فيها يدلّ عليه ٱلفعل جعل وبه صارت «زوج» نفسان كل منهما زوج ٱلأخرى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ١٨٩ ٱلأعراف.

لقد ٱنفلقت ٱلنفس ٱلواحدة إلى نفسين وصار لها من بعد ٱلفلق خلق جديد:

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ ٤٥ ٱلنجم.

وعن ٱلمراحل ٱلتى مرت فيها حياة ٱلزوجين حتى ٱكتملت تسوية خلق ٱلبشر ثم ٱلمراحل ٱلتى تحوّل فيهآ إلىٓ إنسان جآءنا ٱلبلاغ ببيانه:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ ٢ ٱلأنعام.

وفى هذا ٱلبلاغ إعلامنا عن أجلين. ٱلأول يتعلق فىٓ إكمال أفعال تسوية ٱلخلق ٱلفيزيولوجى للبشر. وٱلثانى يتعلق بتحوله إلى مكتسب للمعلومات وخازن لها فى ذاكرة. وبفعل ٱلذاكرة يتخذ موقف ٱلمتر ٱلذى يدل على موقف ٱلامتناع عن الالتزام بٱلأمر وٱلفسق عليه.

لقد بين علم ٱلإنسان أن أفعال ٱلتكوين ٱلفيزيولوجى للإنسان ٱستمرت أزمنة

طويلة جدًا حتى ٱكتملت وصارت بشرًا. وهو ما نجده فى ٱلبلاغ ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾.

وحتى لا تعود تسوية ٱلخلق فى كل مرة إلى ٱلبدء ثم يقضىَ أجل طويل حتى تكتمل مرة أخرى جرى خلق (تصميم) جديد لا يحتاج إلى عودة إلى ٱلبدء من طين. فقد جعل ٱللَّه جميع أفعال ٱلأجل ٱلأول منهاجًا حيًّا مسجلا فى كتاب كما هو ٱلتسجيل علىَ ألواح ليزرية. وهو ما يظهره ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ /١٢/ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ /١٣/﴾ ٱلمؤمنون.

ٱلخلق (ٱلتصميم) بدأ من طين ثم من سلالة من طين. ولكنه لم ينته عند هذه ٱلبداية. بل مرّ فى مراحل عديدة ثم تحوّل ٱلخلق بفعل ٱلجعل (ٱلطفرة) إلى منهاج حيوى فى نطفة سجلت فيه جميع مناهج وأفعال ٱلخلق بدءًا من تراب. وبٱلتسجيل يتابع ٱلخلق ٱلحىّ أطواره حتى يوصل إلى طُور بشر:

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ ١٤ ٱلمؤمنون.

ٱلنطفة تضمّ كل مناهج وأفعال تسوية ٱلخلق وٱلأطورا ٱلتى تسبقها بدءًا من ٱلتراب. كما تضمّ مناهج وأفعال تسوية ٱلخلق للأطوار ٱللاحقة على ٱلنطفة.

ويوكّد ٱللَّه على ٱلربط بين طُور ٱلتراب وطُور ٱلنطفة ثم متابعة أفعال تسوية ٱلخلق إلىَ أطوارها ٱلعليا وفيها طُور كمال تسوية ٱلبشر:

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ ٥ ٱلحج.

ويوكّد اللَّه تعدد ٱلخلق (ٱلتصميم) وتسلسله وفق منهاج حىٍّ مسجل:

﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ ٦ ٱلزمر.

فى البلاغ /٥/ ٱلحج تقسيم بيّن لمناهج وأفعال تسوية ٱلخلق ٱلتى يرتبط بعضها ببعض فمآ أن يكتمل طُور حتى يبدأ طُور تالٍ.

ما تقدم من ترتيل لبلاغات وأنبآء من ٱلقرءان يبين أنّ علم ٱلإنسان يجعله قادرًا على تحريض أفعال تسوية ٱلخلق ٱلمبيّنة له فى كتاب ٱللّه بدءاً من ٱلنطفة. سوآء ءكان بوسيلة نكاح ذكر وأنثىٰ. أم بوسيلة توسيط صناعى كما هو فى ٱلأنبوب.

كمآ أنّه يستطيع ٱلعلم وٱلانتقال فى تحريضه إلى ٱلطُّور ٱلتالى على ٱلنطفة وهو طُور ٱلعلقة (ٱلزيجوت zygote). وهنا لا يلزمه مسُّ ذكر لأنثى وبذلك يكون قد تجاوز طُورَ خلقٍ كامل. وبعمل ٱلإنسان هنا لا يوجد أى خروج عن ٱلعلم ٱلذىَ أحطنا به من قبل ٱللّه.

وأستطيع ٱلقول أن نظريات ٱلنشوء ٱلتى وضعها علمآء أحيآء جميعها تصدّق ٱلأنبآء وٱلبلاغات ٱلقرءانية ٱلتى رتلتها. وهى لا تخرج عنها فى شىء. وكان ٱللّه قد أعلمنا فى بلاغه أننا سنتوصل بعلمنآ إلى كل ذلك ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾.

وأقول إن نظريات ٱلنشوء لم تستطع أن تكشف عن ٱلوسيلة ٱلتى ٱنتقل بها ٱلبشر إلىَ إنسان. أما ٱلبلاغ فأجد فيه بيان ذلك:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ ٧٢ ص.

ٱلتسوية هى ٱلتنفيذ ٱلمساوى للخلق. وتسوية ٱلخلق هى كماله من دون نقص. هذا من ٱلجانب ٱلفزيولوجى. أما من ٱلجانب ٱلمرتبط بٱلفكر وٱلعلم فقد جآء عنها فى ٱلقول ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ وبيّن ٱلمسألة فى بلاغ أخر:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ٣١ ٱلبقرة.

فى ٱلقول ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ ما يدلّ على تزويد ءادم بٱلقوة ٱلحركية ٱلمتعلقة بٱلمعلومات. فٱلرّوح هو فتح منهاج ٱلتعريف ٱلملهم فى ٱلنفس (فجور

وتقوى) وبثّ ٱلحركة فيه لاكتساب ٱلعلم بٱلشىء وإخراج تعريفه إلى ساحة ٱلدراية وٱلعلم. وبٱكتساب ٱلعلم فى ٱلشىء تنشأ ٱلخبرة فيه وتحفظ (ذاكرة). وتأتى ٱلزيادة فى ٱلعلم وٱلخبرة بٱكتساب متواصل. فٱلنفس قبل نفخ ٱلروح كانت بما فيها من منهاج تعريف ملهم فيها تفجر لتدفع عنها خطرا وتتقيه بٱلهروب منه. وكان فعلها هذا يحدث بما فى ٱلمنهاج ٱلملهم من تعريف على جميع ٱلأشيآء ومن منسك[1] لسلوك ٱلفجور وسلوك ٱلتقوى يفعل من دون إرادة. وبنفخ ٱلروح فتح منسكها على ٱلعلم وٱلخبرة وٱلإرادة فيما تفعل وتعمل.

فى ٱلبلاغ بيان عن ٱلرّوح:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا﴾ ٨٥ ٱلإسراء.

وفيه أن ٱلرّوح هو بعض أمر ٱلرَّبّ. وٱلأمر معلومات وله منسك. وبهذه ٱلمعلومات حدث فتح للنفس على منسك جديد فيه ٱلقدرة على ٱكتساب ٱلعلم وٱلخبرة بما هو معرّف فى ٱلنفس وحفظهما فى ذاكرة.

ولبيان ٱلدليل علىَ أنّ ٱلرّوح هو بعض علم. أى علم قليل جآء فى ٱلبلاغ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا﴾. وكَيلُ ٱلقلّة هنا بٱلنسبة إلى علم ٱللّه ذاته ٱلذى جآء عنه فى ٱلبلاغ أنّه:

﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ ٩٨ طه.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيـمٌ﴾ ١٦ ٱلحجرات.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ ١٢ ٱلطلاق.

وجآء فى ٱلبلاغ عن علمنا ٱلقليل:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ ٢٢٥ ٱلبقرة.

---

(١) ٱلمنسك هو ما يعرف بٱلكلمة ٱلأورديّة «نظام» وبكلمة سيستم system.

وهكذآ أجد أن ٱلرّوح يفتح ٱلنفس على ٱلعلم بمقدار ٱلمعلومات ٱلتى شآء ٱللَّه أن نحصل عليه بدءًا من ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ وحتى قيام ٱلساعة. وبه نعلم أنّ سلوك ٱلإنسان يبتعد عن سلوك ٱلبشر كلما ٱزداد وسع منسك ٱلرّوح فى نفسه وإلىَ أن يوصل إلى مقدار «بما شآء».

لقد أبلغنا ٱللَّه أنّ سنّة ٱلخلق بكل ألوانه لا تبديل لها:

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ٤٣ فاطر.

كمآ أبلغنا عن ٱلسبب:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ ١٦ ٱلأنبياء.

فخَلقُ ٱللَّه لا يبدَّل ولا يُحّول لأنه ليس لعبًا. وٱللعب هو ٱللّهو وٱلسخرية وٱلعبث. وتبديل أىّ سنّة فى ٱلوجود يغيّر مناهج تكوينه. ويغرق كل شىء فى ٱلعبث وٱلضياع. ولذلك وكّد ٱللَّه على ثبات وحزم فى سنّته:

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ ٢٧ ٱلكهف.

ٱلأنبآء فى كتاب ٱللَّه كثيرة. وجميعها تدخل فى دليل ٱلقول ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

ويمكن للإنسان أن يعلم بجميع أنبآء ٱلكتاب ويبيّنها بٱلنظر وٱلبحث. وهذا لا يكون دفعة واحدة من قبل ٱلناس. بل يخضع لربوّ علم ٱلإنسان وتطور نظره وبحثه. وعن هذا ٱلأمر جآء ٱلنبأ:

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧ ٱلأنعام.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٨٨ ص.

وأنتهىَ إلى ٱلقول أنّ ٱلأنبآء ٱلموجودة فى كتاب ٱللَّه جميعها وٱلمتعلقة بٱلكون وتسويته وٱلإنسان وتطوره وعلمه يحتاج فهمهآ إلى طاعة ٱلأمر ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ وهو أمر بٱلبحث ٱلعلمى يطيعه ٱليوم علمآء ٱلبيولوجيا وٱلفيزيآء وغيرهم.

ٱلاستنساخ

لكلّ علم سنّته ٱلخاصة به. وٱلاستنساخ علم فى ٱلحقّ ٱلحىّ وله سنته وبيّناته ٱلحسيّة. وبٱلعلم بسنّته يمكن تكثير ٱلبشر وغيرهم من ٱلكائنات ٱلحية من دون ٱللجوء إلى فعل قربٍ وفعل مسٍّ.

ويستند علم ٱلاستنساخ على ٱلعلم وٱلمعرفة بأطوار تسوية ٱلخلق ٱلمبينة فى ٱلبلاغ / ٥/ ٱلحج. حيث يبدأ ٱلتكاثر من ٱلعلقة أو ٱلمضغة بدلاً من ٱلنطفة.

فى كتاب اللّه أنبآء عن تسوية خَلقِ إنسانٍ وفق سنّة لا يألفها ٱلناس فى حياتهم ولكنها لا تخالف البلاغ ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾. وهناك ثلاث عمليات تسوية خلق خالفت ما يألفه ٱلناس:

ٱلأولى ولادة إسحٰق من ٱمرأة عقيم.

وٱلثانية ولادة يحيىٰ من ٱمرأة عاقر.

وٱلثالثة ولادة عيسى من ٱمرأة عذرآء.

ونبدأ بٱلأولى ونرتل ٱلأيات ٱلتى حملت إلينا ٱلنبأ:

﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ ٥٣ ٱلحجر.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ ٢٩ ٱلذاريات.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ /٧١/ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ /٧٢/﴾ هود.

فى هذه ٱلأنبآء ٱمرأة عجوز عقيم. ومن كان عقيما لا بذور حياة لديه. وفى ٱلتعقيم إبادة للكآئنات ٱلحية ٱلصغيرة. ومع ذلك هناك بشـارة «بغلٰم عليم» ٱسمه إسحٰق.

فى النبإ / ٧٢ هود/ تعجب ٱمرأة إبرٰهيم من ٱلبشارة بسبب معرفتهآ أن ٱلعقيم لا تلد وكذلك ٱلعجوز. فكيف ستلد من كانت عجوزًا عقيمًا؟!

هو عجب مشروع بٱلنسبة لامرأة إبرٰهيم بسبب علمهآ أن ٱلعقيم وٱلعجوز لا تلد.

فهل يستطيع رجال ٱلدين وٱلسياسيون ٱلذين يعارضون ٱلاستنساخ أن يقولوا لنا كيف يمكن للعقيم وٱلعجوز أن تلد فى يومنا هذا؟

لقد أنبأنا ٱللَّه عن تسوية ٱلخلق ٱلأول وحدّد عدّته من ٱلتراب ومن ٱلمآء. ومنهما يتكون ٱلطين. وهو ليس مآءً ولا ترابًا. إنه كينونة جديدة تجرى فيهآ أفعال ٱلفيزيآء ويتولد عنها «**اللبنات الجزيئية الأولى للحياة العضوية**»[1].

وبيّن لنآ أنه «قضى أجـلاً» تَتَابع وتَسَلسَلَ من بعده فى تسوية ٱلخلق حتى وصل إلى ٱلحال ٱلفيزيولوجى ٱلتى عليها ٱلبشر.

ثم بيّن أنه سجّل كل ٱلأفعال ٱلتى جرت بدءًا من طين إلى ٱلبشر فى سجلٍّ حيٍّ داخل ٱلنطفة. وبذلك بيّن أنه لا حاجة للعودة فى كل مرة إلى ٱلبدء من ٱلطين لتسوية ٱلخلق.

ثم بين أن تسوية ٱلخلق من بعد ٱلنطفة تنطلق من ٱلعلقة (ٱلزيجوت zygote) وهو لقآء نطفة ٱلمنىّ بٱلبويضة ومسّها.

وبيّن أن تسوية خلقنا بعد ذلك تبدأ من ٱلعلقة:

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ ٢ ٱلعلق.

---

(١) مقال «هندسة معمارية» أنكبر (مجلة العلوم الأمريكية- مجلد ١٤- ٱلعددان ٦/ ٧ - ١٩٩٨).

ما رتلت من قول عن ٱلبشارة «بغلٰـم عليم» يبين أنه يمكن ٱلتوالد فى حال «عجوز عقيم». وبذلك يتابع ٱللون ٱلحىّ سبيله فى ٱلحياة من دون ٱنقراض بسبب ٱلعجز وٱلعقم.

وهذا ٱلأمر يتوقف على طاعتنا للتوجيه ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ وٱلوصول إلى ٱلمعرفة وٱلعلم بٱلسنّة ٱلمتعلقة بالتوالد من دون مسٍّ. وقد جآء ٱلدليل ٱلذى يبيّن أنّ ٱلعقم لا يكون سببًا لانقراض ٱللون ٱلحىّ من بعد ٱلعلم بسنة تسوية ٱلخلق من علق ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾. وفيه نبأ عن مواصلة ٱلتوالد من دون توقف.

كيف حدث ذلك؟

يقول ٱللّٰه أنّ ذلك سنعلمه فى ٱلمستقبل:

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ ٨٨ ص.

ونحن ٱليـوم أصبحنا نعلم أنّ نطفة ٱلمنىّ ٱلبشرى تضمّ كتابًا كبيرًا مكونًا من ٢٢+X سجلا من لون أنثوىّ. أو ٢٢+Y سجلا من لون ذكرىّ. أمّا ٱلبويضة فتضم لونًا واحدًا من ٱلسجلات ٱلأنثوية ٢٢+X. وتسمّى هذه ٱلسجلات كروموسومات. وتبدأ تسوية خلق ٱلإنسان من بعد لقآء ٱلنطفة وسجلاتها بٱلبويضة وسجلاتها ومسّها. ويتكون من هذا ٱلمسِّ علق (زيجوت zygote) وعدد ٱلسجلات فيه هو ٤٦ سجلا أو كروموسومًا. وبتكوّن ٱلعلق تبدأ تسوية خلق كل فرد من ٱلناس. ٱلأنثى سجلاتها من لون ٤٤+XX وٱلذكر من لون ٤٤+XY. وٱلإنسان ٱلمتكوّن من هذا ٱلزيجوت تضمّ كلّ علقة (خلية) من جسمه ٤٤+XX سجلا أو ٤٤+YX سجلا (كروموسومًا) وفق لونه ذكر كان أم أنثى.[1] ومن جسم ٱلإنسان يؤخذ علق وبتحريضه يسوّى ولد من دون إلقاح. فبعد أن علم ٱلإنسان ما فى ٱلعلقة (ٱلخلية) من سجلات لتسوية ٱلخلق صار يستطيع ٱلتوالد من دون مسٍّ بوسيلة ٱلقرب. ويمكنه أن يجرى فعل ٱلتسوية من دون أن يكون ذلك

---

(١) «مبادئ ٱلبيولوجيا» أرينا كارونينا / دار مير – ١٩٦٧.

فسقًا على قول ٱللَّه «لا مبدل لكلمٰته». بل إنَّ فى عمله هذا توكيد لقول ٱللَّه تسنده ٱلبيّنة ٱلعلميّة ٱلحسيّة ٱلتى توصل إلى ٱلعلم أنّ وسيلة تسوية ٱلخلق ٱلمبلغة فى ٱلبلاغ /٥/ ٱلحج لا مبدل لها. وٱلبيّنة ٱلعلمية هىَ أقوىَ أساليب ٱلبينة.

هكذآ أصدّق أن ٱلعجوز ٱلعقيم يلد. وحدث ذلك بواسطة علقة (خلية) من جسم ٱلذى بُشّر بٱلغلام ٱلعليم. وهذا ما يفعله علمآء ٱلاستنساخ ٱليوم. وفى فعلهم هذا ٱلعلمُ وٱلتّصديقُ لنبإ عن عجوز عقيم ولدت. وهذا ٱلعلم وٱلتصديق يحدث ٱليوم وهو بعد حين ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾.

إذن ٱلاستنساخ هو علم وعمل ينجمان عن طاعة ٱلأمر:

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

وهو عمل يوصل ٱلناس إلى ٱلعلم كيف بدأ ٱلخلق. ومن دون هذا ٱلعمل لا يعلم ٱلناس كيف بدأ ٱلخلق ويكون كلّ قول لهم فيه ظنّ ورجم بٱلغيب.

وعليه أرىَ أنَّ ٱلاستنساخ عمل يوافق سنّة ٱللّـه ٱلمتعلقة بٱلعلم كيف بدأ ٱلخلق. وهو ٱلوسيلة لتوالد من كان عجوزا عقيمًا وٱلوسيلة لتصديق ٱلنبإ فى كتاب ٱللَّه.

وقد يسأل سآئل مَن قام بفعل ٱلاستنساخ لكى يولد ٱلغلٰـم ٱلعليم إسحٰق؟

وأجد فى النبـإ أنّ ملآئكة نقلت ٱلبشارة إلىَ إبرٰهيم وٱمرأته. وهم ٱلذين قاموا بٱلفعل بخبرة مسجلة فيهم بأمر من ٱللَّه. وفعلهم يشبه فعل روبوت.

أنتقل إلى ولادة ٱلنبى يحيى وأرتل ٱلأيات ٱلتى تبلغ عن ولادته. وقد وجدت أنه ولد بعد إصلاح عطل يمنع ٱلمسَّ (ٱلزيجوت) لدى والدته.

جآء فى البلاغ:

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ﴾ ٣٩ ءال عمران.

ولما كانت ٱلبشارة تخالف علم زكريا وما هو مألوف بين ٱلناس سأل زكريًّا مستغربًا:

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾ ٤٠ ءال عمران.

وجآءه ٱلجواب:

﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ ٤٠ ءال عمران.

ويظهر لنا ٱللَّه ماذا فعل فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ ٩٠ ٱلأنبيآء.

كانت ٱمرأة زكريا عاقرا. وإصلاح ٱلعقر جديد على علم ٱلإنسان ٱليوم. وما جآء فى ٱلبلاغ عنه هو نبأ علمنا به بعد حين.

ٱلعقر هو ٱلجرح أو ٱلقرح ٱلذى يمنع ويحبس فعل ٱلمسّ (ٱلزيجوت) على ٱلرغم من توفر طرفيه.

وقد تمّ إصلاح والدة يحيى بأمر من ٱللَّه فولدت يحيى بمسٍّ مألوف من ٱلزوج زكريا. وٱلغلام يحيى هو ولد زكريا بٱلوسيلة ٱلتى يتبعها ٱلناس بفطرتهم.

أما ولادة عيسى فكانت من ٱمرأة عذرآء. وٱلعذرآء لا تلد بذاتها كما يعرف ٱلناس حتى يومنا هذا. كذلك هى مريم ٱلعذرآء تعلم مثل ٱلناس أن ٱلولادة لا تحدث إلاّ بفعل مسٍّ. ولذلك أظهرت ٱستنكارها:

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ٢٠ مريم.

ويأتيها ٱلجواب:

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ ٢١ مريم.

ولما كانت مؤمنة محصنة وصدّيقة صدّقت وتوقف ٱستنكارها.

لقد وكّد ٱلنبأ فى ٱلقرءان أنها حملت وولدت من دون مسّ:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ ٤٥ ءال عمران.

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا /١٧/ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا /١٨/ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا /١٩/﴾ مريم.

ٱلبشارة بكلمة من ٱللَّه. وكلمة ٱللَّه كما يبيّنها كتابه هى شىء حقّ:

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ ٨٢ يونس.

هذا ٱلحقّ هو عيسى ٱبن ٱلعذرآء مريم وقد تمّ تحقيق هذه ٱلكلمة بواسطة ٱلرّوح ٱلذى تمثّل أمامها بشرًا كاملاً وقام بإعلامها عن ٱلأمر ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾.

فكيف حدث ذلك؟

ويأتى ٱلجواب فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ٥٩ ءال عمران.

وفى هذا ٱلبلاغ أنّ خلق عيسى لا يخالف خلق ءادم وهو مثله وخاضع لذات ٱلسنّة ٱلتى لا تبديل لها. من تراب ثم وفق أطوار ٱلخلق ٱلمتعدد حتى طور ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾.

ولما كان خلق عيسى لا يرتبط بنطفة فما هى وسيلة هذا ٱلخلق؟

كما وجدنا فى ولادة إسحٰق من عجوز عقيم فإن ٱلعلقة هى ٱلوسيلة لدى ٱلعذرآء مريم. وأىّ عذرآء ٱليوم يمكن أن تلد ٱنطلاقًا من ٱلعلقة من دون مسٍّ. وأنّ فعل علم ٱلاستنساخ هو ٱلذى يبين كيف حدثت ءاية ولادة ٱلعذرآء مريم ويصدقها.

ولما كان هذا ٱلنبأ يصعب تصديقه على كثير من ٱلناس راحوا يرمون ٱلعذرآء مريم بكل ألوان ٱلبهتان. وقد أبلغنا ٱللَّه عن ٱلأمر فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ ١٥٦ ٱلنسآء.

وٱلكفر هو غطآء للسمع وٱلبصر وٱلقلب وٱمتناع عن تصديق ٱلأية ٱلتى جآءتهم وٱلتى يكشف عنها ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ ٩١ ٱلأنبيآء.

وٱلأية شيء يحدث وله أشراط لا يمكن معرفتها وٱلعلم بهآ إلاّ بٱلنظر وٱلعلم فى مسألة ﴿كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ وٱلعمل على ٱلتصديق لاستقرار ٱلنبإ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾.

وعلم ٱلاستنساخ ٱلذى وفّر لنا معلومات كافية لتأويل أية ٱلعذرآء مريم وٱبنها يقطع ٱلشّك وٱلريب بهذه ٱلولادة ويدفعنا لتصديقها. كما يساعدنا على فهم ٱلأيات ٱلعظيمة ٱلتى تمثلها ولادة كلٍّ من إسحٰق ويحيى وعيسى.

إنّ ءاية ٱلاستنساخ بين أيدى ٱلناس منذ وقت بعيد عن يومنا هذا. وهم يأخذون خلية نباتية (برعم) ويزرعونها فى لحآء غصن شجرة أو نبتة. وبفعلهم هذا يسوّى خلق ٱلبرعم وينشأ عنه غصن جديد يحمل مواصفات موروثة من ٱلنبتة أو ٱلشجرة ٱلمنقول منها ٱلبرعم. كمآ أنهم يقومون بعمليات نقل وزرع أجزآء (أعضآء) عن طريق زرع قلم يؤخذ من شجرة ويزرع فى شجرة أخرى. فينمو ٱلقلم وتتكون أغصان جديدة تحمل مورث ٱلشجرة ٱلمنقول منها. وٱستنساخ ٱلبشر هو مثل ٱستنساخ ٱلبرعم.

* *

علوم أخرى

فى ٱلبلاغ / ٥٣ ٱلحجر/ جآءت ٱلبشارة «بغلام عليم». وٱلغلام هو ٱلمراهق ٱلهائج ٱلقوى ٱلجسم. وٱلمألوف بين ٱلناس من علم إلى يومنا هذا لا يقبل ولا يصدّق بٱجتماع ٱلوصف غلام مع ٱلوصف عليم. لأن صفة عليم لا يحصل عليها

ٱلإنسان إلاّ من بعد كسب وفير للعلوم وفى سنّ ٱلرّشد. وٱلبشارة تقول أن إسحٰق عندما يكون فى سن ٱلمراهقة سيكون مختلفًا عن أقرانه بسبب علمه. وبه يكبح قوى ٱلغلام ويوجهها كما يفعل ٱلعالم ٱلرّاشد.

وفى ٱلبلاغ / ١٢ مريم/ ﴿يَـٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍۖ وَءَاتَيۡنَـٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيًّا﴾. فيها بلاغ عن صبىّ حكيم. وٱلصبىّ هو ٱلصغير ٱلرضيع. وٱلحكمة يعرفها الناس عند ٱلشيوخ من ٱلعلمآء وهى غير مألوفة عند ٱلصبيان.

أمآ ءاية عيسى فهى مسآئل علمية متعددة. حيث جآء عنه فى ٱلنبإ:

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ ٤٦ ءال عمران.

وفيه بلاغ عن طفل يولد ومن وقت ولادته يتكلم. وأوّلُ كلامهِ كان لوالدته:

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي﴾ ٢٤ مريم.

وأرشدها بما تفعل وهى حآئرة مربكة:

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَـٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبًا جَنِيًّا /٢٥/ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَـٰنِ صَوۡمًا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيًّا /٢٦/﴾ مريم.

وعندما ٱجتمع عليها قومها يستنكرون ما جآءت به أشارت إلى ٱلطفل فقالوا لها متعجبين ومستنكرين:

﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيًّا﴾ ٢٩ مريم.

فقطع ٱلصبى عجبهم وٱستنكارهم:

﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ٣٠ مريم.

ضمّت بشارة ٱلعذرآء مريم صفة للمولود جآءت بقوله ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا﴾. وهذا يبيّن أن جسمه ونفسه يخلوان من ٱلمرض وٱلموروث ٱلجينىّ. ونفسه فى سن ٱلغلام (ٱلمراهقة) لا تدفعه تحت تأثير قوى جسمه ولا يوقع فى ٱلفاحشة ولا فىَ أذى ٱلناس. بل يكون صالحًا فىَ أقواله وأعماله ونفسه ممتلئة

بٱلحكمة. وهذا بسبب تأييده بٱلروح ٱلقدس وٱلعلم وٱلحكمة وهو جنين. وهو ما يبينه لنا ٱلبلاغ:

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ ١١٠ ٱلمآئدة.

ٱلروح ٱلقدس[1] هو نسخة أصليّة لا باطل فيها ولا لغو ولا تحريف موروث. وفيه نسخة أصلية من ٱلكتاب وٱلحكمة وٱلتورىٰة وٱلإنجيل. وحدث ذلك وخلقه يُسوَّى «خلقًا من بعد خلقٍ» فى رحم والدته ٱلعذرآء. وٱلدليل على وقت هذا ٱلكسب أنه «يكلّم ٱلناس فى ٱلمهد».

ومن أمثلة ٱلعلوم ٱلتى تعلّمها ما جآء عنه فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ ١١٠ ٱلمآئدة.

ٱلخلق هو ٱلتصميم. وٱلمخلوق هنا «كهيئة ٱلطير» أى على صورته. وأشار إلى مصدر ٱلخلق وهو «ٱلطين» وهو مصدر للمعادن وخاصة ٱلألمنيوم ٱلذى يدخل فى ٱلألوان ٱلصناعية ٱلطآئرة. وقد ربط ذلك بٱلقول «بإذنى». وإذنُ ٱللّه فى ٱلوجود هو دينه وسنّته ٱلتى لا تبديل لها ولا تحويل عنها. وٱلإنسان بعلمه وبمعرفته بٱلدين وٱلسنّة وٱلإذن له أن يفعل ذلك. وقد ٱستطاع ٱلإنسان أن يتوصل إلى تأويل هذه ٱلأية بكل ٱلألوان ٱلطآئرة ٱليوم.

أمّا قوله ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ فهو يشير إلى تعليمه سنّة ٱلطب ٱلبشرى ٱلمتقدم على علمنا حتى يومنا هذا. وإلى ٱليوم لم يستطع ٱلطب أن يبرئ ٱلأكمه وٱلأبرص. والنبأ فى ٱلقرءان يبين أنّ ذلك ممكن من بعد معرفة وعلم بسنّة وإذون ٱللّه ٱلمتعلقة بهذين ٱلمرضين. ويحثّنآ إلى ٱلسعى فى ٱلبحث عن هذه

(١) ٱلقدس مفهوم عن شىء أو مكان معقّم ومطهّر بكامله.

ٱلأذون ٱستنادًا للأمر ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾.

أمّا ٱلقول ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ فأجد فيه نبأ عن وجود إذن يتعلق بٱلقدرة علىٰ إخراج ٱلموتى. وما زال علمنا حتى ٱلأن لم يتوصل إلى هذا ٱلإذن.

ومن ٱلناس حتى يومنا هذا لا يصدّق هذه ٱلأنبآء ويرى فيها سحرًا كما جآء فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ١١٠ ٱلمآئدة.

* *

بين أيدينا ٱليوم إذون متعددة نعلم بها وبوسيلتها نسوى ٱلخلق. ومن هذه ٱلأذون هو علم ٱلاستنساخ. وعلى علمآء هذا ٱلإذن ٱلاستمرار فىَ أعمالهم ٱلتى خلقها ٱللّه فيهم كما جآء ٱلبيان فى ٱلنبإ:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ ٱلصافات.

لقد خلقنا ٱللّه من تراب ثم تابع تسلسل ٱلخلق ٱلذى يضمّ منهاجًا لعملنا لا يبدأ فعله إلاّ من بعد كسب للعلم ٱلذى يتراكم من خلال طاعة ٱلأمر ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ وبه تبدأ سلسلة خلق أعمال ٱلإنسان.

وكل منها بعد أن يكتمل يكون بداية لخلق عمل جديد أعلى من ٱلسابق وصولاً إلىَ أحسن ٱلأعمال كما فىَ ءاية عيسى.

وكل ٱلأعمال ٱلتى يخلقها ٱلإنسان هى من منهاج ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ وما على ٱلإنسان ٱلعالم إلاّ أن يعوذ «برب ٱلفلق من شرّ ما خلق» وأن يكون مَثَلُهُ فى عمله هو عيسى ٱلذىَ أعلمنا ٱللّه عن صفاته فى ٱلبلاغ:

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ ٣٢ مريم.

لقد سُوِّى خلق عيسى فى رحم عذرآء مؤمنة محصنة وصدّيقة. وصفات هذه ٱلوالدة وٱلأم تبيّن أهمية ٱلعلاقة بين ٱلمولود وٱلوالدة وكذلك ٱلأمّ. وهى ٱلتى

تظهر ٱلبّر عند ٱلولد وٱلابن. وٱلبرّ هو ٱلوفآء وٱلصدق وٱلإحسان وٱلصلاح وٱلخير.

وٱلإنسان فى تقدمه للحصول على ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قد يتوصل إلى صناعة رحم. وٱلطفل ٱلذى يُسوَّى خلقه فيه إذا لم يكن له أمّ مؤمنة محصنة وصدّيقة ترعى مسألة ٱلبرِّ فى نفسه. لن يكون أكثر من إنسان صنعى روبوتى.

وٱلنبأ فى ٱلقرءان موجَّه ٱليوم إلىَ أولـٰئك ٱلعلمآء ٱلذين يؤولون ءاية ٱلعذرآء وولدها وكذلك ءاية ٱلعقيم للانتباه إلى صفات أم ٱلمستنسخ فى حال توصلهم إلىَ إذن تزويده بٱلمعلومات وهو جنين. حتى تتولى رعايته وتربيته وتعمل على تثبيت وتطوير ٱلعلم ٱلذى تزوّد به.

وٱلمستنسخ ٱلمطلوب من ٱلإنسانية ٱلصالحة يجب أن يكون كمثل عيسى ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾. وٱلجبّار هو ٱلذى يُصلح بخبرة وعلم. فإن كان شقيًّا تسلط وتكبر وسعى لتوجيه ما لديه من خبرة وعلم لبسط سلطته وجمع ٱلثروات وتكديسها. فمن يتصف بٱلجبار ٱلشقىّ تكون خبرته وعلمه مسخرين للتسلط وجمع ٱلثروات ويلهيه تسلطه عن ٱلبرّ ولا ينتبه إليه حتى تتوقف حياته بٱلموت. وقد جآء فى ٱلبلاغ بيان عن لهو هذا ٱلشقى:

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ /١/ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ /٢/﴾ ٱلتكاثر.

فإذآ أرادوا ٱليوم وقبل وصولهم إلىَ إذن تزويد ٱلمستنسخ بٱلمعلومات فليكن عملهم محصورًا على حالات ٱلعقم كما فى مثل ولادة إسحـٰق بأنتظار ٱكتشاف أذون كسب ٱلمعلومات فى ٱلحال ٱلجنينىّ.

وإذآ أخذ علمآء ٱلاستنساخ من ٱلتوجيه ٱلإلـٰهى هاديًا لهم فى مثل عيسى يمكنهم أن يخلقوا لونًا بشريًا عيسويًا راقيًا فى تكوينه ٱلجسمى وٱلنفسى. ويكون ٱلمستنسخ بعلمه وصلاحه وبرّه وبعده عن ٱلشقآء قد فتح ٱلباب لخلق إنسان جديد رحمانى عالى ٱلتطور. كما يلبى حاجة ٱلتوالد من دون فعل ٱلمسِّ ٱلذى يمكن ٱلتخلى عنه للمرحلة ٱلبشرية فى حياة ٱلإنسان. وبه يكون ٱلإنسان ٱلجديد لا

تسوقه ٱلدوافع ٱلبهيمة بسبب علمه وطهارته وصلاحه. وبه يتخلص من معظم وأخطر سلوكه ٱلوحشى ٱلذى يتمثل بٱلشقآء. ويوجه ٱهتمامه إلى ٱلعلم ٱلصالح وٱلارتقاء به إلىٰ أقصى ما خوّله ٱللّه فيه.

أمّا إذا طرح علمآء ٱلاستنساخ ٱلتوجيه ٱلإلهى جانبًا وسارت أعمالهم فى طريقها فهم قادرون على ٱستنساخ بشر وتزويده بٱلعلم. ولكن قد يكون معظمه لحاجات ٱلجبار ٱلشقى حيث يتولد ٱلشرّ وٱلفساد. وإنسان عالى ٱلعلم من دون إيمان وصلاح قوته ٱلتدميرية كبيرة فى ٱلمجتمع ٱلبشرى وٱلأرض على ٱلسوآء.

لقد أعلمنا ٱللّه أن كسب ٱلعلم يحدث عن طريق ٱلسمع وٱلبصر وٱلفؤاد. وهى ٱلوسآئط ٱلأساس للإدراك ٱلحسى. وهذا يجرى من بعد ٱلولادة مباشرة. وهو ٱلوسيلة ٱلمألوفة عند ٱلناس إلى يومنا هذا. ويوكّد ٱللّه ذلك فى ٱلنبإ:

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٧٨ ٱلنحل.

وفىٰ ءاية عيسىٰ تبيّن لىٰ أنه يمكن كسب ٱلعلم قبل ٱلخروج من رحم ٱلوالدة. وبعد ٱلولادة تتابع وسآئط ٱلإدراك ٱلحسّى ٱلكسب وتتقوى بٱلخبرة.

إن تقدمنا ٱلعلمى يوصلنا ٱليوم وسنوصل فى ٱلمستقبل إلى ٱلعلم فى كيف بدأ ٱلخلق ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾. كماَ أن تقدمنا ٱلعلمى يجعلنا نتعرف علىٰ أية عيسى من خلال تأويلنا لها ٱستنادًا للنبإ:

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٣ ٱلنمل.

يقول ديتفورت:

[«فى هذا العالم لا يضيع أي شيء. ما من شيء حصل في أي وقت من الأوقات إلا وترك بعد انقضائه آثاراً ما تدل عليه. والمطلوب هو فقط كشف وإيجاد هذه الآثار وتعلم طريقة قراءتها». لقد «اكتشف العلماء في السنين الأخيرة الآثار الأولى لتطور الحياة المبكر قبل ثلاثة ونصف مليار سنة. علاوة على ذلك فقد نجحوا في أن يشتقوا من هذه الآثار المعلومات الأولى التى تبين كيف سارت الأمور في هذه الخطوة الهامة

من التطور. إن الصدى الأول الذي بدأنا نسمعه بفضل هذه الدراسات الحديثة حول ذلك الماضي البعيد هو جدال عارم لا رحمة فيه. أمّا التكنيك الذي استخدمه العلماء لالتقاط هذا الصدى فإنه مذهل لكن ما يبعث أكثر على الذهول هو المكان الذي اكتشف فيه هذا الأثر إنه الإنسان ذاته. كل منا وكذلك جميع الكائنات الحية الموجودة اليوم بدون استثناء يحمل في داخله آثار ما حصل على الأرض آنذاك قبل حوالي /٤/ مليار سنة»]. [(١)]

ٱلذى يوصفه «ديتفورت» جآء ليكشف عن مقدار تقدم ٱلعلم ٱلإنسانى. ومجال ٱلتقدم ما زال مفتوحًا ولآ إغلاق له إلاّ بٱنتهآء حياة ٱلإنسان ذاته. وقد جآء ما وصفه «ديتفورت» فيما يضمّه ٱلنبأ ٩٣ ٱلنمل.

وكان «ديتفورت» قد قال قبل هذا ٱلوصف أنّ:

[«على المتدينين أولاً أن لا ينزعجوا بمقدار شعرة واحدة إذا ما حصل التقدم العلمي ضمن الخليقة وإلاّ أين سيحصل؟ إذا كان الخالق الذي تتحدث عنه الأديان موجوداً فإن وجوده لا يمكن أن يتأثر بالمستوى الذي بلغته علوم الأحياء على الأرض في هذه اللحظة من التاريخ»] [(٢)].

وهو محقّ فيما قاله عن موقف ٱلمتدينين ٱلذين لا يعلمون أن علمآء ٱلأحيآء يعبدون أمر ٱلخالق ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾.

ولكن على «ديتفورت» أن يعلم أن ٱلبحث فى «كيف بدأ ٱلخلق» هو أمر من ٱلخالق ذاته ٱلذىَ أبلغنا فى ٱلنبإ ٩٣ ٱلنمل عمّا جآء به ٱلعلم فى وصف «ديتفورت». كمآ أبلغنآ أن علمنا بٱلنشأة ٱلأولى حتمىّ:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ٱلواقعة.

لقد توصل علمآء ٱلفيزيآء وعلمآء الأحيآء إلى مسألة هامة وهىَ أنه يوجد فى ٱلوجود (ٱلطبيعة) علم وذاكرة (ذكـآء) منذ ٱلبداية وقبل وجود ٱلفؤاد (ٱلدماغ)

---

(١) تاريخ النشوء - ديتفورث/ ص ١٠٠-١٠١.

(٢) ٱلمرجع ٱلسابق.

ٱلإنسانى. وهذا ٱلأمر هو حقّ. إذ كيف ٱتفق للطاقات ٱلأولية (ٱلكواركات) أن تكوّن ٱلبروتونات وٱلنيترونات وٱلإلكترونات؟!.. ثم كيف ٱتفق أن تكوّنت ٱلسورة (ٱلذَّرة) وٱلجزيئات؟

هذا فى عالم ٱلمادة ٱلميتة.

ثم كيف ٱتفق للمادة ٱلميتة أن تتحول إلى حيّة؟!..

كل هذه ٱلأسئلة تبقى بلا جواب لدى جميع هؤلآء ٱلعلمآء رغم أنَّ ما توصّلوٓا إليه حقّ وهو تأويل للنبإ:

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ٥٠ طه.

فٱللَّه هو ٱلذىٓ أعطى ٱلخلق لكلّ شىء وزوّده بٱلهداية ٱلتى تمثل منهاجًا لفعل وسلوك هذا ٱلشىء من دون أخطآء.

وعلى ٱلرغم من توصّل هؤلآء ٱلعلمآء إلى ٱلعلم بهذا ٱلحقّ فهم ما يزالون على قولهم أنّ «الطبيعة طوَّرت وأنها كيّفت وأنها اصطفت وهكذا..».

وهم يتوقفون عن متابعة ٱلقول عن ٱلوسيلة ٱلتى جعلت «ٱلطبيعة» بهذه ٱلقدرة على ٱلتطوير وٱلتكيف وٱلاصطفآء.

وفى ذات ٱلوقت يحيلون كل هذا «ٱلذكاء» إلى «ٱلطبيعة» من دون ٱلتصديق بٱلفعل ٱلإلٰهى ٱلذى جآءت بحوثهم وأقوالهم مصدقة له.

ويقولون أن «ٱلطبيعة» ٱلتى تملك كل هذا «ٱلذكاء» لا يلزمها خالق!.

وهذا يدل على غفلة يولدها جهل فى ٱلحقّ. وهذا ليس من علم كامل.

وقد جآء فى ٱلبلاغ عن أصحاب هذه ٱلغفلة ٱلجاهلة:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ٧ ءال عمران.

أمّا ٱلعلمآء ٱلذين يصدّقون ٱلنبأ فقد جآء عنهم ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ٧ ءال عمران.

وعن ٱلذين يتبعون ٱلأية ٱلتى جآء بها عيسى بن مريم ومنهم ٱلراسخون فى ٱلعلم جآء فى ٱلنبإ:

﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ ٥٥ ءال عمران.

وٱلإتبـاع لا يكـون إلاّ لمنهاج. وهذا ٱلمنهاج جآء فى ٱلبلاغ ٱلتـالى:

﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ /٤٩/ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ /٥٠/﴾ ءال عمران.

ومآ أجده فى هذا ٱلبلاغ أنّ منهاج عيسى هو من عند ٱللّه. وهو موجه للاهتمام بٱلخلق (ٱلتصميم) وٱلتسوية (ٱلتنفيذ ٱلدقيق) وعلوم ٱلطب (بما فى ذلك إخراج ٱلموتى) وعلم ٱلتغذية (بما فى ذلك ٱلسماح بما كان ممنوعًا من بعد ٱلكشف عن أسباب ٱلمنع وٱلتغلب ٱلعلمى عليه) وعلوم ٱلاقتصاد.

كما يبين أنّ تصديق وٱتباع ٱلمنهاج يأتى من ٱلصراط ٱلمستقيم ٱلذى يبيّنه قول عيسى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ ٥١ ءال عمران.

أى وجّهوا ٱتباعكم لهذا ٱلمنهاج وفق أوامر ٱللّه وحده من دون غيره.

وأجد ٱليوم شعوبًا تقدمت فى مجالات ٱلخلق وٱلتسوية وٱلطب وٱلتغذية وٱلاقتصاد. وهى بتقدمها هذا تتبع منهاج عيسى ولكن من دون تصديق. وهذه ٱلشعوب ما زالت تسير وفق منهاج ٱلذيـن «فى قلوبهم زيغ».

أمّا ٱلشعوب ٱلتى لم تتبع منهاج عيسى فلا خلق لديها ولا تسوية ولا علوم طب ولا علوم تغذية ولا علوم ٱقتصاد فهى شعوب كفرت بمنهاج عيسى وقد جآء عنها فى ٱلبلاغ:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ٥٦ ءال عمران.

وعذابهم فى ٱلدنيا يأتى بسبب تفوّق ٱلذين ٱتبعوا منهاج عيسى على ٱلذين كفروا ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ﴾.

وهذا ٱلعذاب يستمر إلى يوم ٱلقيامة ليبدأ عذاب شديد جديد هو عذاب ٱلأخرة.

كسب ٱلمعلومات

يختلط عملى ٱلمتعلق بكسب ٱلمعلومات مع بحث ٱلاستنساخ ويقترن بأيات يجرى تأويلها بأعمال ٱلاستنساخ. ولكن يوجد فى كتاب ٱللّه (ٱلقرءان) أنبآء أخرى عن ٱلوسائل ٱلمختلفة ٱلتى كانت متسلسلة فى كسب ٱلإنسان للمعلومات. ٱبتدآء من ءادم ٱلذى يمثل ٱلإنسان ٱلأول.

وما وجدته أنّ كسب ٱلمعلومات ٱبتدأ بعد ٱلتسوية مباشرة كما يبين ٱلنبأ ٱلتالى:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ / ٧٣/ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ / ٧٤/﴾ ص.

«فإذا سوّيته» أىَ أكملت تنفيذ ٱلخلق للبشر من دون نقص. و«نفخت فيه من روحى» فصار بٱلروح قادرًا على كسب ٱلمعلومات وحفظها وٱستخدامها فى ٱلتأويل. وهو إعادة ٱلنظرية إلىَ أصلها فى ٱلوجود وتصديقها.

لقد كان ٱلبشر قبل «ونفخت فيه من روحى» يسلك فى ٱلحياة وفق هداية ملهمة فى نفسه (فجور تقوى) تحكم وتوجه سلوكه تلقائيًا. أمّا من بعدها فصار قلبه يتلقى ٱلمعلومات ويقلبها ويعقل بين ٱلمفاهيم ويكشف عن ٱلتناقض فيها ويجرى ٱلمطابقة ثم يصدر ٱلحكم ٱلذى يوجّه سلوكه.

وهذه ٱلعملية لا تحدث وتكتمل عند ٱلإنسان ٱلأول دفعة واحدة بعد «ونفخت فيه من روحى» من دون تعلّم ٱلخوض وٱلخبرة فيه. وهو ما قام به خبرآء مهديون (ملآئكة). فٱلإنسان ٱلأول لم يكتشف ٱلمحراث ولم يحرث ٱلتربة

ولا زرع ٱلحبوب ولا قام بحصادها ولا قام بتأهيل ٱلدّوآبّ وٱلطيور ولا بصنع ٱلطين وٱلفخار ولا بٱستخراج ٱلمعادن وصهرها ولا بغزل ٱلخيوط ولا بنسجها ولا بٱستنساخ ٱلنبات بمفرده. وكل ذلك جرى بمرافقة خبـرآء ملآئكة. ومثله حدث مع نطق ٱلكلام وخطّه حيث ٱقترن مع كل كلمة صوت وخطّ.

لقد ٱستمر هذا ٱلعمل ٱلتعليمى منذ «ونفخت فيه من روحى» وحتى ٱلرسول وٱلنبى نوح. ٱلذى كان أول إنسان يُسند إليه عمل ٱلمعلم للبشر.

لم يستطع قوم نوح ٱلتصديق أنّ نوح رسول ٱللَّه إليهم بسبب تعوّدهم على رسل من ٱلملآئكة. وقد جآء موقفهم من ٱلرسول نوح فى قولهم:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ٢٤ ٱلمؤمنون.

كان نوح أول متلق للمعلومات ٱلنظرية عن طريق ٱلوحى كما يبين ٱلبلاغ:

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ ١٦٣ ٱلنسآء.

فكسب ٱلمعلومات عن طريق ٱلوحى بدأ مع نوح.

أما من قبله فكان كسب ٱلمعلومات يحدث بتعليم مباشر تقوم به ٱلملآئكة ٱلتى تشبه ٱلروبوت.

لقد وصل ٱلإنسان فىَ أيام نوح إلى كسب ٱلمعلومات بٱلخوض ٱلمباشر ٱلمتكرر وٱلخبرة فيه. وصار مخزونه ٱلمكتسب يكفيه للتزود بٱلمعلومات ويعينه فى ٱلخوض وٱلخبرة من دون معلّم. وقلّت حاجة ٱلإنسان إلى ملآئكة تدربه. وصار الوحى (وهو إدخال معلومة إلى ٱلقلب بأمر من ٱللَّه من دون ٱلمرور بٱلسمع وٱلبصر) هو ٱلسبيل ٱلجديد لكسب ٱلعلم فى ٱلخوض وٱلخبرة إلى جانب مراقبة من قبل ملآئكة وتقديم ٱلعون عند ٱلحاجة. ومثل ذلك نجده فى ٱلنبـأ ٱلتالى:

﴿فَأَوْحَيْـنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِـنَا﴾ ٢٧ ٱلمؤمنون.

صنع ٱلفلك لم يكن من ٱلمعلومات ٱلتى ٱكتسبها ٱلإنسان عن طريق ٱلملآئكة من قبل نوح. وهذا يستدعى ٱلعمل تحت رقابة بيّنها ٱلنبأ «بأعيننا ووحينا».

أىَ أن ٱلمعلومات ٱلنظرية ٱلمتعلقة بخطة بنآء ٱلفلك وردت إلى قلب نوح بفعل ٱلوحى وهو يقوم بصنعه بإشراف خبرآء ملآئكة رافقوه فى صنعه.

ثم نجد من بعد نوح أسلوبا جديدًا لكسب ٱلمعلومات وهو ٱلوحى على هيئة رؤيآ أثنآء ٱلنوم (رؤيآ إبرٰهيم ورؤيا يوسف) وهى وسيلة لتوريد معلومة إلى قلب ٱلإنسان تجعله يستنبط معلومات ويتنبأ بأحداث فى ٱلمستقبل ثم يأتى ٱلحدث لاحقًا ليصدق ٱلرؤيا ويؤولها.

وحدث مع موسى تقدم كبير فى «ونفخت فيه من روحى» فقد تطورت قدرة ٱلإنسان على ٱكتساب ٱلمعلومات عن طريق ٱلسمع بوسيلة ٱلخطاب ٱلمباشر كما فى ٱلمحاضرة أو ٱلمعلومة ٱلواردة عبر راديو. ثم يتعود على حفظ ٱلمعلومة فى ذاكرته ويتدرب علىٰ إعادتها. وقد جآء فى ٱلبلاغ ما يبين ذلك:

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ ١٦٤ ٱلنسآء.

وتابع ٱلإنسان ٱكتسابه ٱلمعلومات بٱلوحى حتى وصل إلىٰ ءاية عيسى فوجد أن ٱلمعلومات ٱلإبداعية فى ٱلخلق وتسويته وٱلطب وعلم ٱلتغذية وعلم ٱلاقتصاد قد تم إدخالهآ إلى قلبه وهو جنين. مع ٱقتران تلك ٱلمعلومات ٱلنظرية ٱلإبداعية بخبرة تسوية إبداعية.

وبٱلوصول إلى ٱلوحى ٱلأخير وٱلمكمل ٱلذى جآء فى ٱلقرءان نجد أنبآء لا نعلمهآ إلاّ بعد حين. وٱقترن ذلك بأوامر من ٱللَّه للإنسان ٱلذى يصدّق ويعمل وفق ٱلأمر ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾.

ٱلرجل ٱلذى جآءه هذا ٱلوحى ٱلمكمل على هيئة أنبآء نظرية وبلسان عربى مبين هو رجل فى ٱلأربعين من ٱلعمر ولم يسبق له أن ٱكتسب علمًا نظريًا من قبل. وقد بين ٱلبلاغ حاله ٱلعلمىّ:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٥٢ ٱلشورى.

ٱلروح هو ٱلمادة ٱلعلمية ٱلتى دلَّ عليها «أَوحيناَ إليكَ». وماَ أوحىَ هو كتاب ٱللَّه «ٱلقرءان». وهو روح ٱلقدس وفيه ٱلمنهاج ٱلكامل للعلم وأنبآء عن عدَّة ٱلتكوين وجَرىَ تسوية ٱلخلق. ومنها ما يمكن للإنسان أن يعلم بها علمًا مباشرًا. وهى ٱلتى تبدأ من ٱلفجر وتنتهى بتكوير ٱلشمس.

ومع ٱلأنبآء ٱلمتعلقة بتسوية ٱلخلق لحياتنا ٱلدنيا ومكانها فى ٱلمجموعة ٱلشَّمسية أتت أنبآء عن ٱلحياة ٱلأخرة. وفى هذه ٱلأنبآء كل ٱلعلم ٱلذى يمكن للإنسان أن يحصل عليه ومقداره هو ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

هذه ٱلأنبآء حملت معها جميع ٱلأقوال ٱلنظرية ٱلتى يتوصل إليها نظر وبحث ٱلإنسان. وهو لا يقدر على ٱلخروج عنها لأنها جميع ٱلحق ٱلذى يمكن للإنسان أن يمدّ يده إليه.

أمّا مسألة ٱلتصديق لهذه ٱلأنبآء فإنها تسوق ٱلإنسان ٱلعالم إلى ٱليقين. لأن ما جآءه من علم منزّل من عند ٱللَّه تطابق مع ما رأى بنظره وبحثه فى ٱلحق. وبٱلتصديق يسقط ٱلغرور وٱلتكبر وٱلشقآء لديه. ويحلّ ٱلبرّ وٱلصلاح مكانها.

وهذا ٱلمنهاج قد لُقم به قلب رجل ليس لديه بنآء علمى يؤسس معلومات من هذا ٱلقبيل. وٱلبلاغ ٱلتالى يبين ذلك:

﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ ٤٨ ٱلعنكبوت.

ءاية ٱلرسول محمد هى فىَ إدخال منهاج كامل للمعلومات إلى قلبه. وهو ٱلذى لا يتلو ولا يخط كتابًا وقد بلغ ٱلأربعين من ٱلعمر.

رجل فى ٱلأربعين وفى مثل هذه ٱلصفة ٱلعلمية لا يمكن جعله يكسب معلومات علمية ويخزنها فى ذاكرته إلاّ بجهود صعبة منه ومن ٱلذى يعلمه حتى فى يومنا نحن. أمآ ءايته فيمكن تأويلها بعد ٱلكشف عن ٱلأذون ٱلإلٰهية ٱلتى تمكننا من إدخال ٱلمعلومات إلى قلب ٱلإنسان ٱلذى ٱجتاز سنَّ ٱلتعلم.

لم يقتصر ٱلنبأ فى ٱلقرءان على حصر كسب ٱلمعلومات بٱلإنسان وحده. بل يبين النبأ وجود أذون لنقل ٱلمعلومات إلى كآئنات حية أخرى:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ /١٦/ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ/١٧/ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ /١٨/ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ /١٩/ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ /٢٠/ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ /٢١/ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ /٢٢/ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ /٢٣/ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ /٢٤/ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ /٢٥/ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ /٢٦/ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ /٢٧/ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ /٢٨/﴾ ٱلنمل.

ٱلنبأ فى هذه ٱلأيات يبين أن ٱلعلم يمكن نقله إلى ٱلكآئنات ٱلأخرى. ومآ أثاره طآئر ٱلهدهد يبين معرفته بوحدانية ٱللّه وبقدرته. وقد أظهر بعلمه وبمعرفته شركَ ملكة سبإ وقومها. وقد جآء ذلك مع بيان لسبب غيابه. كما أنّ تكليف سليمان للهدهد بحمل كتاب ونقله إلى ملكة سبإ وٱنتظار ٱلجواب يبين خبرة هذا ٱلطآئر وعلمه.

❋ ❋

إن ترتيل ٱلبلاغات وٱلأنبآء ٱلواردة فى مقالنا هذا وفى مقالنا «ٱلاستنساخ» أظهر أنها تصدِّق علم ٱلاستنساخ وأنّ علم ٱلاستنساخ هو ٱلأخر يصدِّقها.

وقد وجدت فى علم ٱلاستنساخ تصديقًا لولادة إسحٰق ولولادة عيسى.

كما ٱستنبطت من هذا ٱلترتيل ما يبين ٱلأذون ٱلإلـٰهية ٱلتى تتعلق بكسب ٱلمعلومات بدءًا من ٱلتعليم ٱلحسى وحتىٓ ءاية ٱلرسول محمد. وفيها بيان عن كسب ٱلمعلومات ٱلنظرية ٱلكاملة بوسيلة ٱلتلقيم وقرنها بخبرة خوض وتسوية كما جرى مع ءاية عيسى.

لقد ضمّ كتاب ٱللَّه ٱلقرءان مسألة كسب ٱلمعلومات. وبين حرية حاملها لتحويلهآ إلى خبرة خوض وتسوية تعتمد على تقديس نفسه (تعقيمها وتطهيرها) من كلِّ موروث.

ولقد أظهر ٱللَّه لنآ أن ٱلمعلومات ٱلكاملة هى نور نهتدى به. ووعظنا بٱلحاجة إلى ٱلبحث ٱلعلمى من دون توقف حتى قيام ٱلساعة ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾. وبدء ٱلخلق لا يقتصر على خلق ٱلإنسان وحده. بل جميع ألوان ٱلخلق وصيرورتها سوآء ءكان فى ٱلميِّت أم فى ٱلحىّ.

علم ٱلاستنساخ هو بداية لطور جديد من كسب ٱلإنسان للعلم. وعليه أن يتابع حتى يوصل إلى ٱلمرحلة ٱلتى يبدأ فيها نقل ٱلمعلومات إلى قلب ٱلإنسان وهو جنين أوٓ إلى قلب جاهل.

وٱلإنسان ٱلعالم ٱلذى يتبع منهاج عيسىٓ إذا ٱهتدى بكتاب ٱللَّه (ٱلقرءان) يمكنه أن يتقدم فى ٱلعلم وٱلتعرف علىٓ إذون ٱللَّه فى ٱلوجود إلى ما لا نهاية من دون فساد فى ٱلأرض كما وعظ ٱللَّه:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ ٥٦ ٱلأعراف.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ٦٠ ٱلبقرة و٨٥ هود.

كمآ أنه يوقف ٱلتبذير ويحقق وفورات عظيمة كما يظهر له ٱلبلاغ:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ ٩٦ ٱلأعراف.

فٱلذين يكذّبون بٱلإيمان وٱلتقوى لصالح شهواتهم بزيادة أموالهم وأملاكهم وأولادهم يدمرهم تكذيبهم. وهنا تظهر أهمية قول عيسى عن نفسه ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

الإيمان هو تصديق الأنبآء الواردة فى كتاب اللّه (القرءان) وٱلعمل على متابعة تأويلها بٱلنظر وٱلبحث فىٓ ءايات ٱلوجود.

أما ٱلتقوى فهى فى ٱتباع ٱلموعظة وٱلطاعة لأمر ٱللّه من دون غيره. وفى ولادة عيسىٓ ءاية من ٱللّه للناس ٱلمثل عن ٱلمؤمن ٱلمتقى ٱلمطلوب من ٱلإنسانية أن تحقق وجوده فى حياتها مقترنًا وجوده بٱلتصديق لكتاب ٱللّه ٱلكامل (ٱلقرءان).

يوسف وإخوته

تناولت مسألة ٱلتكوين فى كتاب «ٱلدين خرافة أم علم؟» مستندًا فى ذلك إلى ٱلبلاغ فى كتاب ٱللَّه (ٱلقرءان) ومنه / ٤/ يوسف وفيه عدد كواكب ٱلمجموعة ٱلشمسية وأصلها ٱلشمسى. مع بيان سلطة واحد من ٱلكواكب على كامل ٱلمجموعة. وقد ورد ذلك فى رؤيا يوسف:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ ٤ يوسف.

سجد تدلّ على خضع من دون تمرد.

هذه ٱلرؤيا حملت تأويلين:

ٱلأول هو فيمآ أرىٰه فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا..﴾ ١٠٠ يوسف.

وفيه بيان سلطته فى ٱلمجتمع تفسيرًا لما رأى فى نومه وهو صغير وقد تحققت ٱلرؤيا. وعلاقته ٱلحسنة مع والديه.

وٱلتأويل ٱلثانى يتعلق بسلطة يوسف (إنسان ٱلأرض ٱلعالم ٱلمصطفى ٱلذى تعلّم تأويل ٱلأحاديث) على جميع ٱلمجموعة ٱلشمسية ٱلتى نحيا فيها (والديه ٱلشمس وٱلقمر وإخوته ٱلكواكب).

ومن ٱلمسآئل ٱلتىَ أرى بيان ٱلرأى فيها هو دليل ٱسم ٱلنبىّ وٱلرسول. فدليل ٱسم يوسف من دليل ٱلفعل وسَفَ ٱلذى يدلّ علىَ (أخصب وجدد وبدل وأخرج). وهذه صفة للإنسان ٱلعالم ٱلذى يتجدد بعلمه ويكنس عنه ما هو قديم ويبدله بمفاهيم جديدة فيزداد بقوته وقدراته ٱلعلمية ٱلمتجددة من دون توقف.

وجآء ٱلبيان عن ذلك فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ ٦ يوسف.

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ يبين أنّ ٱلإنسان ٱلعالم يستطيع أنّ يرىَ أنّ ٱلنبأ بلاغ عن ٱلحقّ. ويحدث ذلك بعقل ما وصل إليه نظره مع ما جآء فى ٱلنبإ ليوصل إلى تطابقهما وهو عين ٱلتأويل. وبه تتحرك مفاهيمه وتتجدد لتطابق ٱلحقّ.

هذا ٱلإنسان ٱلعالم يسعى لبسط سلطته على ثروات ٱلأرض حتى يوجهها فى ٱلوجهة ٱلتى تخدم مأربه ٱلعلمى. وقد جآء فى ٱلبلاغ عن يوسف وطلبه ٱلموجه إلى ٱلملك لإحكام تلك ٱلسلطة على ٱلثروات:

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ٥٥ يوسف.

وهكذآ أجد أنّ يوسف ٱلذى يعلم من تأويل ٱلأحاديث يسعى للسطلة على مصادر ٱلثروة ليحفظها بعلم وخبرة حصل عليهما من ٱللّه ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾.

وقد مكّن ٱللّه يوسفَ من ٱلسلطة كما يبين ٱلبلاغ:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ ٥٦ يوسف.

وتمكّنه ينطلق من إتباعه منهاج ٱللّه ٱلذى يستند إلى سنّة ٱلاصطفآء وتقدّم وتفوّق ٱلعالم على ٱلجاهل:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ٣٣ ءال عمران.

ٱلاصطفآء يقوم على ٱلتفوّق وٱلصلاح. وأوّل مصطفى هو ءادم. وهو أوّل

بشر صار إنسانًا بسبب تفوّقه على ٱلبشر ٱلذين نفروا من ٱلتعليم وٱلخبرة ٱلمباشرة ٱلتى جآء بها ٱلملآئكة. وقد تركهم نفورهم فى مملكة ٱلبشر ٱلبهيم. وسار ٱلتطور بٱلإنسان ءادم ٱلمصطفى وتكاثر ٱلذين ٱشتركوا فى هذا ٱلاصطفآء إلىَ أطوار أعلى من ٱلإنسانية.

وثانى ٱصطفآء هو ٱصطفآء نوح ومن معه. فهم أوّل ٱصطفآء فى مسيرة ٱلإنسانية من بعد ءادم أوّل ٱصطفآء فى ٱلطور ٱلبشرى.

وأرى فى ٱلبلاغ أنّ نوحًا ٱلمصطفى جآء بمعلومات لقومه فلم تصدّقه ٱلأكثرية:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا /٥/ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا /٦/ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا /٧/ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا /٨/ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا /٩/﴾ نوح.

ٱلجهل هو سبب ٱلفرّ وٱلامتناع عن ٱلسمع لما يدعوهم إليه نوح. وبسبب ٱلجهل نشأ فى نفوس ٱلأكثرية من قومه موقف ٱلتكبّر وعدم ٱلتصديق. وهذا جعل نوحًا يتخلى عن قومه ٱلجاهلين ويتقدّم فى ٱلحياة بفعل سنّة ٱلاصطفآء ٱلتى ٱمتلك ٱلعلم بها ومعه ٱلذين صدّقوه. وٱنقرض ٱلذين كذّبوا وٱستكبروا من قومه.

أمّا طور ٱلاصطفآء ٱلثالث فهو طور ٱصطفآء إبرٰهيم ٱلسآئل ٱلناظر:

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾ ٨٨ ٱلصّافات.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾ ٱلأنعام.

إبرٰهيم هو من سأل وطلب منهاجا يجعله يرى فسار ينظر وأطال نظره وصولا إلى ٱطمئنان:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ ٢٦٠ ٱلبقرة.

ومثل إبرٰهيم هم ٱلذين يسألون ويطورون قدرة قلوبهم على ٱلرؤية وٱلنظر ويسيرون ناظرين فى كلّ وقت. وهؤلآء هم «ءَالُ إبرٰهيم».[1] وهو ما يدلّ عليه ٱسم «ءَالُ» وٱسم «تأويل» وٱلفعل «ءَالَ». فهم سلسلة من جميع ٱلذين يواصلون ٱلسؤال ويتابعون ٱلنظر فىٓ ءايات ٱلوجود طلبًا للعلم كيف خلقت. وهم ٱلذين يتوصلون مطمئنين إلى وضع ٱلنظريات ٱلعلمية ٱلتى تفسر وتبين كيف بدأ ٱلخلق وفى جميع فروع ٱلعلم.

إنَّ كلمة «ءَال» لا تدلّ على مفهوم ٱلنسب كما يظن جماعة ٱللغة ٱلفصحى. بل تدلّ على مفهوم ٱلتأويل ٱلذى تعلّمه يوسف من ٱللّه.

إبرٰهيم وءال إبرٰهيم هم ٱلطور ٱلثالث للإنسان ٱلذى ٱرتقى عن أصل بشرىّ. ومن لا يسير على طريق هؤلآء يبقى فى دآئرة ٱلتخلف وٱلمتخلفين.

ويلى ءال إبرٰهيم طور رابع هو طور ءَال عمرٰن. وهم ٱلذين يصدقون ءَال إبرٰهيم ويجعلون من نظرياتهم عمرانًا تسوية وصناعة.

فى هذه ٱلأطوار ٱلأربعة يفعل ٱلاصطفآء ٱلذى يخرج منه يوسف ٱلذى تمكّن فى ٱلأرض وثرواتها.

ويبيّن لنا ٱللّه أن هؤلآء يتوجّه حرصهم على ٱلتزاوج حفاظًا على ٱللّون ٱلمصطفى:

﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٣٤ ءال عمران.

فهم يحافظون على متابعة سنّة ٱلاصطفآء فلا يتزاوجون مع ٱلذين يتمسكون بٱلعوامل ٱلمحبطة لفعل ٱلاصطفآء.[2]

---

(١) كتابنا ٱلدين خرافة أم علم - بحث ٱلإيمان وٱلمؤمن.

(٢) راجع بحث زواج ٱلمؤمنين - كتابنا ٱلدين خرافة أم علم.

ويبيّن لنا ٱلبلاغ أن سنّة ٱلاصطفآء يجرى فعلها على هذه ٱلذرية:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ ٢٦ ٱلحديد.

وهذا يدل علىَ أن سنّة ٱلاصطفآء لا يتوقف فعلها وهو يجرى داخل دآئرة ٱلمصطفين. وجريَه غير محصور بفئـة محددة أو طُور محدد بل يستمر جريَه فى حياة ٱلنـاس حتىَ أخر يوم من حياتهم.

إن فهم كتاب ٱللَّه (ٱلقرءان) لا يحصر فى دآئرة ٱلتّكبر وٱلنفور من ٱلمعلومات ٱلجديدة. فأيات ٱللَّه يجب عقلها مع ما يخرج به ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلمى. سوآء ءَكان ذلك فى دآئرة ءَال إبرٰهيم (ٱلسؤال وتطوير ٱلرؤية وٱلنظر) أم فى دآئرة ءَال عمرٰن (ٱلتسوية وٱلصناعة).

ٱلسؤال وٱلرؤية وٱلنظر وٱلبحث وٱلتسوية وٱلصناعة كلها تكشف عن أذون (قوانين) ٱلحدث. وٱلإنسان ٱلعالم يتوصل إلى ٱلكشف عن إذون جميع ٱلأيات. وقد جآء بيان ذلك فى ٱلبلاغ:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ..﴾ ٥٣ فصلت.

ولقد أبلغنا ٱللَّه أنّ فى يوسف وإخوته ءايات للسآئلين:

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ ٧ يوسف.

وٱلسآئلون هم ٱلذين يطلبون ٱلعلم فيسيرون ينظرون ويبحثون فيه حتىَ إدراك ٱلحقّ. وفى يوسف وإخوته مسآئل كثيرة للنظر وٱلبحث. حيث يمثل يوسف وإخوته جميع ٱلكواكب ٱلتابعة لشمسنا كمآ أرى فى تأويلى ٱلثانى. وفى هذه ٱلكواكب ٱلكثير من ٱلأيات ٱلتى تنتظر ٱلنظر وٱلبحث.

وينطلق ٱلسآئلون ٱلمطورون لرؤيتهم لينفذوا فىَ أرجآء ٱلمجموعة ٱلشمسيـة سعيًا ورآء ٱلجواب علىَ أسئلة كثيرة ومنها ٱلبحث عن حياة خارج ٱلأرض.

ومآ أرىٰه فى ٱلبلاغ وبتأويلى ٱلثانى لرؤيا يوسف أنّه يتعلق بسلطة يوسف

(إنسان ٱلأرض ٱلعالم ٱلمصطفى ٱلذى تعلّم تأويل ٱلأحاديث) على جميع ٱلمجموعة ٱلشمسية ٱلتى نحيا فيها (والديه ٱلشمس وٱلقمر وإخوته ٱلكواكب). وأرىٓ أنه هو ٱلمثل على ٱلذين ينفذون فىٓ أرجآء ٱلمجموعة ٱلشمسية بحثًا عن جواب على كلّ سؤال. وقد بين لنا ٱلبلاغ أنّه لا يوجد فى ٱلكواكب ٱلأخرى يوسف أخر:

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ ٥٨ يوسف.

وفيه بيان أن إخوة يوسف (أحد عشر كوكبًا) لا تملك قدرة ٱلتعرف على يوسف (ٱلأرض). وإنسان ٱلأرض يوسف وحده ٱلقادر على معرفة إخوته.

ومآ أستنبطه من ٱلبلاغ أنّ يوسف هو مستكشف إخوته بحثًا عن ٱلحياة فيها. ويعلم أن عشرة من ٱلكواكب ٱلإخوة لا حياة فيها ولا تملك قدرة على ٱلحياة.

أما ٱلكوكب ٱلحادى عشر فيرى يوسف أنّ فيه قدرة على توليد ٱلحياة تنتظر تحريرها فيبدأ فى ٱستخراجها:

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ ٧٦ يوسف.

يبدأ يوسف بحثه فىٓ أوعية إخوته ٱلعشرة فلا يجد فيها ما يبحث عنه.

ويبين لنا ٱلبلاغ أنّ ما يبحث يوسف عنه هو ٱلمآء:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ.﴾ ٧٠ يوسف.

أستند فى ٱستنباط هذا ٱلأمر على ٱلقول ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ. فٱلسقاية هى شىء يُصبّ به ٱلمآء أو غيره ليطفئ ظمأ أو حريقًا أو ليبرد سطحًا أو يسقى زرعًا.

وٱلشىء ٱلمصبوب يوجّهه يوسف إلى رحل أخيه ٱلحادى عشر.

وٱلرحل هو شىء يتحرك ومنه ٱسم رحلة. أمّا رحل ٱلكوكب فهو غلافه ٱلجوى وفيه جعل يوسف ٱلسقاية ومنه ٱستخرج ٱلمآء ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾.

وٱلسقاية ٱلتى وضعها فى رحل أخيه يبينها ٱلبلاغ أنها:

﴿صُوَاعُ ٱلمَلِكِ﴾ ٧٢ يوسف.

وٱلصُواع هو ٱلتمهيد وٱلتهيوء لتفريق أشيآء عن بعضها. وهو ما يمكن فعله فى رحل كوكب ٱلزهرة (غلافها ٱلجوى) لتفريق ٱلمآء عن ٱلكبريت.

بهذا ٱلاستنباط أكون قد رأيت ٱلهداية فىَ إصلاح كوكب ٱلزهرة وجعله أرضًا صالحة لحياتنا. وبه أعلم أنَّ ٱلسقاية هى ذلك ٱلصُواع وقد يكون مآءات ٱلصوديوم أو غيره.

وأذكّر بصفات ومحاسن يوسف ٱلتى وردت فى ٱلعهد ٱلقديم وفى ٱلقرءان وحتى فى ٱلقصص ٱلشعبية.

جآء فى سفر ٱلتكوين أنّ أباه «صنع له قميصًا ملونًا».

وجآء فى ٱلقصص ٱلشعبية ٱلمثل «حلَّة ولا حلّة يوسف». وهو قول يبين أنّه لا قميص كقميصه. وأن جمال وجهه لا مثيل له.

وجآء فى ٱلقرءان وصف ليوسف على لسان «نِسوة فى ٱلمدينة»:

﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ٣١ يوسف.

وعندما ٱنطلق ٱلإنسان إلى ٱلفضاء نظر إلى كوكب ٱلأرض فرأى قميص يوسف ٱلملون ٱلذى لا مثيل له.

لقد رأى ٱلأرض أجمل ما يمكن أن يرىٰه من ٱلفضآء. «إنها كوكب لامع تصدر عنه ألوان لا يمكن تمثيلها بواسطة ٱلأصبغة ٱلمعروفة للإنسان».

كمآ أستنبط من ٱلقصة ٱلكاملة فى سورة يوسف حّلا سليمًا للنفايات ٱلشريرة ٱلتى تخلفها حاجتنا للتقدم ٱلعلمى:

﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ٧٧ يوسف.

وهو قول موجّه لإخوته ٱلعشرة يبيّن أنهم مكان للشرّ.

وفى هذا هداية لنآ إلى ٱلمكان ٱلذى نرمى فيه ٱلنفايات ٱلشريرة ٱلتى تفسد فى ٱلأرض. حيث أنّ عشر كواكب لا تصلح لحياة.

وأرىَ أنّ ٱلإنسان قد بدأ حياته علىَ أرض أخرى تحولت إلى ٱلموت. كان على كوكب ٱلمريخ قبل أن يأتىَ إلى هذه ٱلأرض. ومن أرضه ٱلأولى توجه بنفاياته ٱلنووية إلى ٱلكواكب ٱلقريبة ومنهآ أرض ٱليوم. حيث تم ٱكتشاف نفايات مشعة فى ٱلكابون ٱعتبرت «**نفايات نووية طبيعية**»[1]. ثم تحوّل إلى ٱلمشترى ٱلذى كان مريخًا. وتابع رمى ٱلنفايات على سطحه.

وهذا مآ أرى فيه تفسير زيادة ٱلنشاط ٱلإشعاعى على ٱلمشترى ٱليوم وتكوّن أحزمة إشعاع قوية «**تحيط بكوكب المشترى. وتشكل عواصف من الجسيمات العالية الطاقة**»[2].

---

(١) «نفايات نووية طبيعية» (م.ع.أ مجلد ١٤/ ٱلعددان ٦/٧ - ١٩٩٨).

(٢) «مهمة أوليس» (م.ع.أ ٱلمجلد ١٤/ ٱلعددان ٨/٩ - ١٩٩٨).

ٱلنشأة ٱلأولى

قصة ٱلنشوء من ٱلأسئلة ٱلتى سعى ٱلإنسان فى كل وقت وما زال يسعى بحثًا عن جواب فيها.

وجميع ٱلناظرين يقولون أنه كانت توجد بداية. ولهم فى ذلك نظريات متعددة. وقد رأىَ أكثرهم فى نظرية ٱلانفجار ٱلأعظم the big-bang تلك ٱلبداية.

وعلى ٱلرغم من ٱلتقدم ٱلكبير ٱلذى تحقق ٱليوم فى صناعة ٱلطيران فى ٱلفضآء وصناعة ٱلمناظير ٱلمقربة فما زال ٱلغموض يلفّ ٱلمسألة. وما زالت مسألة نشوء ٱلمجموعة ٱلشمسية ٱلتى نحيا فيها ونجرى بحوثنا على ٱلأشيآء فيها مجهولة. فكيف بٱلكون ٱلفسيح ٱلذى لم نستطع ٱلقيام بأى بحث مباشر علىَ أى جزء منه؟

يقول «هويمارفون ديتفورت»:

[يوجد اليوم أكثر من ٣٠ (ثلاثين!) نظرية مختلفة تحاول جميعها الإجابة على هذا السؤال][١].

وٱلسؤال هو كيف نشأ ٱلكون؟

ونتابع مع «ديتفورت» فى قوله:

[إن العدد وحده يعبّر بوضوح عن حالة الضياع. يعود السبب فى تضخيم العدد إلى أن كل نظرية تحاول تفسير خاصّية معينة من خصائص المنظومة. غير أن ما ينتج في

---

(١) تاريخ ٱلنشوء.

النهاية يناقض خاصّية ما من الخصائص الأخرى. بغية تفسير هذا التناقض تنشأ نظرية جديدة، وهكذا. لكن ما من واحدة من هذه المحاولات العديدة تمكنت حتى الآن من تقديم تفسير مقنع لكامل المسألة](١).

هناك محاولات نظرية حتى ٱلآن. ولو تابعنا ٱلنظر فى جميع ٱلنظريات ٱلتى حملت محاولات بعض ٱلعلمآء لتقديم تفسير فى هذا ٱلأمر لوجدنآ أنّها تقوم على مفاهيم لا تخرج عن ٱلخيال أو ٱلظّنِّ.

وما نعرفه فى ٱلعلم أن ٱلنظرية تملك ٱلقدرة على ٱلانتقال إلى ٱلحق إذا كانت أسس هذه ٱلنظرية من ٱلحق.

معظم علمآء ٱلكوسمولوجيا وٱلبيولوجيا وٱلفيزيآء وٱلكيميآء ينطلقون فى بحوثهم من أشيآء ٱلوجود. وهم يقدمون للإنسانية كل أسس ٱلتقدم فى ٱلعلم. ومع ذلك عندما يتناولون مسألة كبرى كمسألة ٱلنشوء تتغير أساليب ٱلقول فى ٱلبحث ٱلعلمى وتستبدل بأساليب أخرى يغلب عليها ٱلخيال وٱلظّنّ. وتجد أفكارهم ٱلتى تنسج نظريات ٱلنشوء لا تنتبه لأبسط أسس ٱلعلم.

ومن وجهة ٱلإيمان فإن معظم هؤلآء ٱلعلمآء يؤمنون بٱللّه. ومع ذلك لم يسأل أىّ منهم ٱللّهَ كيف وجد هذا ٱلكون! وتجدهم وقد ٱتخذوا موقف «ٱلذين فى قلوبهم زيغ». ولوَ أنهم وجهوا نظرهم فى هذه ٱلمسألة إلى بيان ٱللّه لكانت نظرية ٱلنشوء قد بدأت أسسها تظهر لهم. فٱللّه هو ٱلخالق وهو أولى من ٱلجميع فى وضع ٱلنظرية ٱلتكوينية لخلقه.

هؤلآء ٱلعلماء رغم وسآئلهم ٱلعلمية لا يزالون حتى ٱليوم يقولون بعشرة كواكب حول ٱلشمس. فى حين يبيّن نبأ من ٱللّه أن ٱلشمس والدة وأولادها إثنا عشر كوكبًا. وأن أعمار ٱلكواكب ليست واحدة.

لم يؤمن ٱلإنسان ٱلعالم بعشرة كواكب إلاّ من فترة قصيرة. بل إنّه أخرج عام

---

(١) ٱلمرجع ٱلسابق.

١٩٧٢ مركبة فضآئية «بيونير١٠» فى رحلة خارج ٱلمجموعة ٱلشمسية وقد حملت معها معلومة عن عدد ٱلكواكب فى ٱلمجموعة علىٓ أنها تسعة.

وحتى مطلع ٱلستينات كان إيمان ٱلعلمآء بسبعة كواكب. ولم يكن أحد من ٱلعلمآء قد ٱهتم بٱلنبإ ٱلإلهى حتى ٱلأن.

فما هى ٱلأنبآء ٱلإلهية ٱلمتعلقة بهذه ٱلمسألة؟

إن مقالاتى ٱلسابقة فى هذا ٱلكتاب أكثرها يرتبط بٱلمسألة. ومع ذلك رأيت أن ٱلمسألة تحتاج لبسط أكبر ٱستناداً للبلاغ فى كتاب ٱللّه. كما رأيت أن ٱلنّشأة ٱلأولى ٱعتمدت على ٱلإرادة وٱلفعل ٱلإلهيين.

وأبدأ مع وضع ٱلمخططات. فقد جآء فى ٱلبلاغ أنّ ٱللّه:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ١ ٱلأنعام.

وهذا ٱلخلق لا سابق له:

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ١١٧ ٱلبقرة.

ويبين لنا ٱلبلاغ أن ٱلتسوية لهذا ٱلخلق (ٱلتصميم) ٱستندت إلى ٱلإرادة ٱلإلهية للشىء. ووسيلة تكوينه تجرى بقوة ٱلفعل «كن». وعن هذا ٱلأمر جآء فى ٱلبلاغ:

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ٨٢ يس.

وعن ٱلأمر ببدء ٱلتشيّوء ووسيلته:

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ١ فاطر.

ولما كانت ٱلإرادة ٱلإلـٰهية تتوجّه إلى تكوين محدد لا لعب فيه يظهره ٱلبلاغ:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ ١٦ ٱلأنبيآء.

فقد ٱقترن هذا ٱلخلق وتسويته بمنهاج لا يتبدل يحكم ٱلتسوية:

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ ٢٧ ٱلكهف.

ولما كانت تسوية هذا ٱلخلق يلزمها زمان ومكان كان ٱلوجود يقترن ببداية ونهاية بينهما ٱلبلاغ:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ ٢٧ ٱلروم.

فتسوية ٱلخلق تبدأ وتعبر فى ٱلزمان بأطوار متعددة. ثم يعود ٱلخلق إلى ٱلبداية. وهذا كلّه من قدرتنا ٱلعلم به كما يبين لنا ٱلبلاغ:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ٱلواقعة.

فعلمنا بٱلنشأة ٱلأولى حقّ واقع يبينه ٱقتران ٱلنبإ بٱلتحقّق (لقد) وٱلفعل ٱلماضى (علمتم). وهذا يشير إلى حتمية علمنا. ويحدث علمنا بطاعتنا ٱلأمر ٱلإلهى ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾.

لقد بين ٱلبلاغ أنَّ تسوية ٱلخلق تنطلق من «ٱلفجر»:

﴿وَٱلْفَجْرِ /١/ وَلَيَالٍ عَشْرٍ /٢/ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ /٣/ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ /٤/﴾ ٱلفجر.

هذه ٱلبداية يلفها ظلام «ليال عشر» كما يبين ٱلبلاغ. ولقد ٱكتشف علمآء ٱلفيزيآء ٱلكونية مادة مظلمة لا تصدر ضوءًا أوَ أىَّ شعاع كهرمغنطيسىّ أخر.

لقد صُنع فى مختبر ٱلفيزيآء ٱلأوروبى لفيزيآء ٱلجسيمات فى عام ١٩٥٥ سُوَر (ذرات) هيدروجين مضادة عن طريق جمع ٱلبوزيترونات وٱلبروتونات ٱلمضادة فى مسرع للجسيمات.[١] وإلى يومنا هذا ما زالت ٱلمادة ٱلمظلمة من أعظم أسرار ٱلفيزيآء ٱلفلكية. إلاّ أن هذه ٱلفيزيآء ٱكتشفت فى ٱلمسرعات أن ٱصطدام جسيد بمضاده يفنيهما وتنطلق أشعة جاما عالية ٱلطاقة.

ٱلفيزيآء ٱلفلكية تتوقف ٱليوم أمام هذه ٱلمسألة. وهى لم تدخل إليها بعد. ولم تستطع ٱلقول عن هذه ٱلمسألة شيئاً كاملاً موكّدًا حتى ٱلأن. إلاّ أن تصنيعها لسورة ٱلهيدروجين ٱلمضادة فى ٱلمسرع هو بداية عظيمة وفيها تأويل للنبإِ ٱلتالى:

﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٩ ٱلذاريات.

ٱلهيدروجين زوجه هيدروجين مضاد. وأشعة جاما ٱلعالية ٱلتى ٱنطلقت علىَ أثر ٱصطدام جسيد بمضاده ألا تقابلهآ أشعة جاما ٱلزوج (ٱلمضادة)؟

---

(١) «المادة المضادة الكونية» - مجلة ٱلعلوم ٱلأمريكية - مجلد ١٤/ ٱلعددان ٨/ ٩ - ١٩٩٨.

ٱلفيزيآئيون ما يزالون لا يدرون بذلك. أما ٱلنبأ فيقول لنا:
﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ ١ ٱلأنعام.

ٱلظلمات وٱلنور كلاهما مؤشر على ٱنبعاث مادى على هيئة طاقة. وهما زوجان ينبعثان من خلال جسيد ومضاده (زوج)[1] من بعد لقآئهما. فٱلوجود ٱلمادى هو وجود ووجود مضاد (زوج). وفى ٱجتماعهما بٱلزواج تتحرر طاقتان ٱلظلام وزوجه ٱلنور ثم يعودان إلى ٱللقاء ليتكون وجود (شىء). وٱلمادة فى ٱنتقالها من طاقة زوجية إلى وجود (شىء) تمرّ بأطوار فى ٱلزمان وٱلمكان وساحتهما ٱلفضآء ٱلكونى. ويبدأ ٱلزمان بٱلفجر وبه تبدأ ٱلمادة تنبع وتعبر فى ٱلمكان داخل أطوار مظلمة «ليال عشر».

ثم تتابع ٱلمادة تكويناتها ٱلزوجية حتى ٱلنهاية. ثمّ تعود إلى بدايتها ٱلطاقية (طاقة وطاقة زوج).

«وليال عشر» هى مراحل تكون فيه ٱلطاقة ٱلمنتشرة من موقع ٱلفجر مظلمة. وعندما توصل فى تكويناتها ٱلزوجية إلى مرحلة «ٱلشفع وٱلوتر» يبدأ ٱلنور بٱلانتشار.

فى ٱلأية / ١/ ٱلأنعام ٱلظلمات تسبق ٱلنور فى تسلسل ٱلنبإ. وهذا يدلنا علىٰ أسبقية ٱنبعاث ٱلطاقة ٱلمظلمة وعلى تعددها. فقد جآء فى ٱلنبأ أنّ ٱلظلام جمع. وجآء عن ٱلنور أنه فرد.

وما يستدل عليه من هذه ٱلأية أن ٱلمادة ٱلمظلمة أكثر من ٱلمادة ٱلمنيرة. كمآ أنهآ أسرع منها فى ٱلانتشار.

وبٱلعودة إلى ٱلنظريات ٱلكوسمولوجية فإنّ معظمها تقول بٱلانفجار ٱلأعظم.

وإذا قارنا ٱلقول بٱلانفجار مع قول ٱللّه بٱلفجر. ولتكن مقارنتنا فى ٱلمسألة على حدث مثله وقريب منّا يجرى فى ٱلشمس ٱلتى نحيا فى مجموعتها. فلوَ أن

---

(١) تستعمل فى ٱلفيزياء كلمة (مضاد) فى مكان كلمة زوج.

ٱلشمس ٱنفجرت حقًا لما وجدنا شمسًا على ٱلإطلاق. لأن ٱلانفجار لا يترك أثرًا للمادة فى موقع حدوثه. وكل ٱلمادة تقذف بقوة ٱلانفجار بعيدًا عن ٱلموقع.

كلمة ٱلفجر فى ٱلقرءان تدل على نبع تتدفّق منه ٱلمادة ٱلطاقية وتنتشر فى مسار يبعد عن ٱلموقع (ٱلنبع).

وحتى لا نخرج عن حدود ٱلنبإ فى ٱلقرءان فإن موقعًا واحدًا فى ٱلوجود لا يُحدث فجرًا. ولا بد من وجود موقع زوج على ٱلنقيض منه. فٱلموقع ٱلذى يمثل فجرًا فى مجموعتنا ٱلتكوينية هو ٱلشمس. فأين هو ٱلموقع ٱلمضاد للشمس؟

نجد هذا ٱلموقع فى بلاغ سورة ٱلطارق:

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ /١/ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ /٢/ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ /٣/﴾.

وأرى فى ٱلقول «ٱلنجم ٱلثاقب» أنّه ٱلزوج للشمس ٱلتى تمثل موقعًا للفجر فى مجموعتنا ٱلشمسية. وهذا ٱلقول يقابله فى ٱلفيزيآء ٱلفلكية ٱلنجم.

كمآ أرىَ أن «ٱلسَّمآء» هى ٱلمكان ٱلذى يوقع على طرفيه كل من ٱلنجم ٱلثاقب وٱلشمس. وإن ٱلعلاقة ٱلزوجية بين ٱلشمس وٱلنجم ٱلثاقب هى ٱلتى تسبب فعل ٱلفجر. حيث تنطلق ٱلمادة من ٱلنجم على هيئة نوافير Jets لتشق طريقها وجهة ٱلشمس. وأثنآء ٱلعبور فى ٱلطريق إلى ٱلشمس تقوم بين هذه ٱلنوافير وجسيدات من ٱلشمس علاقات زوجية وتمر بمراحل تكوين متعددة جآءنا عنها فى ٱلبلاغ:

﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا /١/ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا /٢/ فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا /٣/﴾ ٱلصافات.

صفّ يدل على ٱنتشر فى صفوف.

وزجر يدل علىَ أثار وحثّ وحفّز.

وتلا يدل على ٱتّبع بتسلسل.

وإنَّ ٱلواو ٱلتى تسبق «ٱلصَّـٰفَّـٰتِ» هى واو عطف ٱلطور. فحدوث «ٱلصَّـٰفَّـٰتِ» يجرى بعد ٱلفجر. وٱلفآء ٱلتى تسبق «ٱلزاجرات» تدل على ٱلتعقيب. أىَ أن ٱلزاجرات تعقب ٱلصافات.

في هذه ٱلأيات يقول لنا ٱللَّه أن ٱلمادة ٱلمتدفقة من ٱلفجر تنتشر في صفوف من دون ضياع. وتلحق بها مادة حفّازة لها على ٱلتفاعل ٱلذي يحدث وفق ذاكرة في كلّ منها «فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكرًا».

كذلك هي ٱلفآء ٱلتي تسبق «ٱلتاليات» تدل على ٱلتعقيب. كما تدل علىَ أن ٱلصافات وٱلزاجرات تتبع ذاكرة فيما بينهما عقب ٱلانطلاق من موقع ٱلفجر.

ٱلصافات وٱلزاجرات كلمات قرءانية (مصطلحات) للمادة ٱلتي تنبع من ٱلفجر. وسرعان ما تبدأ من خلال ذاكرة علاقات ترابط لتكوين ٱلمادة فيما بعد.

وأرى في فيزيآء ٱلجزيئات أن مصطلح ٱلكواركات وٱلليبتونات للجسيدات ٱلطاقية يقابلها في ٱلقرءان ٱلصافات. وعن هذه ٱلكواركات وٱلليبتونات يقول علمآء ٱلفيزياء «وإن كانت قد وجدت بكثرة في اللحظات الأولى التي تلت الانفجار الأعظم، فإنها لا تُنتج الآن إلاّ في المسِّرعات».[1]

أما ٱلجسيدات ٱلطاقية وسيطة ٱلتفاعل فيقابلها في ٱلقرءان ٱلزاجرات.

وأستطيع أن أقول ٱستنادًا لنظرية ٱلفجر ٱلقرءانية أنّ هذه ٱلجسيدات ما زالت تنبع طالمآ أن ٱلشمس تصدر منها ٱلطاقة. وإن ظهورها في ٱلمسرعات هو ٱلدليل على صدق ٱلنظرية في ٱلقرءان.

وحبذا لو يوجه ٱلسادة علمآء ٱلفيزيآء ٱلفلكية بحوثهم وجهة ٱلشمس لمراقبة ٱنطلاق وتزاوج تلك ٱلجسيدات ويتوكّدون من أن ٱلنبأ في ٱلقرءان هو أساس أي نظرية علمية.

يمكن ٱلقول أن ٱلجسيدات ٱلطاقية (ٱلصافات وٱلزاجرات) تعمل وفق ذاكرة تشبه مخططات ٱلـ DNA ٱلتي تؤلف جوهر ٱلجينات في ٱلخلية ٱلحية. وبعد ٱلزواج ٱلأول ينشأ فعل جديد تكوّنه ٱلذاكرة ٱلاتحادية للزوج. وهذه ٱلذاكرة ٱلاتحادية تتبع فعل زواج جديد أكبر وقدرة على ٱلرّبوّ وٱلتغيير في ٱلهيئة وٱلوزن

(١) «اكتشاف كوارك القمة» (م.ع.أ. مجلد ١٤ ٱلعدد ٥).

حتى يوصل ٱلتجمع إلى مرحلة «ٱلشفع وٱلوتر» وهو ٱلذى تسميه ٱلفيزيآء ٱلهيدروجين.

لقد أنبأنا ٱللَّه أنه هو ٱلذى خلق وأنه هو ٱلذى هدى:

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ٥٠ طه.

فٱلخلق (ٱلتصميم) من ٱللَّه. وكذلك ٱلهداية (ٱلذاكرة) لهذا ٱلخلق. وهى ٱلتى تحفظه وتسوقه إلى بنآء علاقة زوجية مع خلق أخر يناقضه فى شحنته ٱلكهربآئية.

لقد أنبأنا ٱللَّه عن هذا ٱلحقّ منذ ٱلبداية. وكان أمامنآ أن نبحث عن «كيف بدأ ٱلخلق» وفق ٱلنبإ. أوَ أن نتوجّه للبحث عن «كيف بدأ ٱلخلق» من دون ٱهتمام بٱلنبإ. وٱلوجهتان يوصلان ٱلإنسان ٱلعالم إلى ٱلمأرب من ٱلبحث «كيف بدأ ٱلخلق». وٱلذى يدلنا على ذلك هو ٱلبلاغ:

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ ٨٨ ص.

ٱلحين هو ٱكتشاف ٱلجسيدات فى ٱلمختبرات بالنسبة للبحث ٱلمتعلق بٱلتكوين وهذا بداية ٱلعلم بـ «كيف بدأ ٱلخلق».

لقد حمل ٱلنبأ ٱلقرءانى مسألة هامة تفيد أنّ علمنا بٱلنبإ وتأويله فى ٱلوجود مصدره ٱللَّه. وأنّ ٱللّه واحد لا شريك له فى ٱلألوهة وأنه سيد ٱلسَّمٰوٰت وٱلأرض وما بينهما ومالكها جميعها. كمآ أنه هو سيد ٱلمشارق ٱلعديدة على خطوط ٱلطول ٱلأرضية:

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ /٤/ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ /٥/﴾ ٱلصافات.

هذا ٱلتوكيد على وحدانية ٱللَّه وسيادته على ٱلوجود جآء من بعد ٱلنبإ عن ٱلصافات وٱلزاجرات وٱقترن بشدة ٱلتوكيد ٱلتى تدلنا عليه «إنَّ» ٱلموكّدة و(لام) ٱلتوكيد.

كمآ أنّ ٱلبلاغ /٥/ حمل لنا نبأ من لون أخر يشير إلى دوران ٱلأرض حول محورها. وأن شروق ٱلشمس على سطح ٱلأرض يتتابع على خطوط ٱلطول

بحيث يكون شروق عند كل خط طول. وأن أزمنة ٱلشروق على ٱلأرض متعددة. وهذا يؤول تعدد ٱلتوقيت على سطح ٱلأرض.

ويتابع ٱلنبأ فى سورة ٱلصافات عن ٱلتكوين ٱلكوكبى:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ ٦ ٱلصافات.

فبعد ترابط ٱلجسيدات وٱلوصول إلى تكوين «ٱلشفع وٱلوتر» تتابعت أفعال ٱلتكوين حتى وصلت إلى ٱلكوكب. وٱستمرت هذه ٱلأفعال وما زالت مستمرة إلى يومنا هذا. وستبقى حتى توصل ٱلشمس إلى مرحلة ٱلنضوب ٱلتىَ أنبأنا ٱللَّه عنها:

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ١ ٱلتكوير.

تكوير ٱلشمس هو بفراغ بطنها من ٱلطاقة فتصبح كورا. فتتوقف أفعال ٱلتكوين فى مجموعتنا ٱلشمسية.

لقد أجريت حتى ٱلأن مقارنة بين ٱلنظرية ٱلقرءانية وٱلنظرية ٱلفيزيائية ٱلفلكية. ورأيت أن ٱلنبأ فى ٱلقرءان بين ٱلذاكرة ٱلتى تتبعها كل من ٱلصافات وٱلزاجرات. أما ٱلفيزيآء فلم تقل لنا شيئًا عن ذاكرة ٱلكواركات وٱلليبتونات وٱلجسيدات وسيطة ٱلتفاعل.

إلاّ أن ٱلفيزيآء قد حققت ٱلكثير فىَ أعمال تأويل ٱلنبإ ٱلقرءانى.

وأوجّه نظرىَ إلى ما يقوله علمآء ٱلبيولوجيا ومنه ما هو فى مقال «هندسة معمارية» وفيه يقول «E.D إنكبر»:

[وعلى الرغم من الدراسات على مدى القرون الماضية فلا يزال الباحثون لا يعرفون إلاّ القليل عن القوى التى توجه الذرات إلى التجمع الذاتي في جزيئات. ولا يعرفون إلاّ ما هو أقل عن كيفية انضمام مجموعات الجزيئات بعضها إلى بعض لتكوين خلايا ونسج حيّة. ولكنني على مدى العقدين الماضيين اكتشفت واستكشف ناحية تبدو أساسية ومثيرة للاهتمام للتجمع الذاتي، وهي تشكيلة واسعة التنوع وبشكل مذهل من المنظومات الطبيعية - بما في ذلك ذرات الكربون وجزيئات الماء والبروتينات

والفيروسات والخلايا والنسج وحتى البشر ومخلوقات حيّة أخرى - إنما تبنى وفقاً لقاعدة عامة من قواعد الهندسة المعمارية، تعرف باسم الانشدادية **Tensegrity**. ويشير هذا المصطلح إلى نظام يرسخ نفسه ميكانيكياً تبعاً للأسلوب الذي تتوزع به وتتوازن فيه القوى الشادة والقوى الضاغطة **Tensional and Compressivetorces** داخل البنية المعنية. وإذا أمكن معرفة الأسباب التى جعلت ظاهرة الانشدادية كلية الوجود في الطبيعة، فإن ذلك يعمّق فهمنا ويزوّدنا بتبصر جديد في القوى المطلقة التى تحكم القضية البيولوجية، وربما في موضوع النشوء والتطور ذاته][(١)].

وفى هذا ٱلقول تقدم كبير فى توصيف ٱلمادة. خصوصًا «المنظومات الهندسية». لكن أرى عجزًا ما زال قآئمًا فيما يتعلق بٱلقوى ٱلتى توجه ٱلسُّوَر (ٱلذرات) إلى «**التجمع الذاتي فى جزيئات**». وكذلك «**الأسباب التى جعلت ظاهرة الانشدادية كلية الوجود فى الطبيعة**».

وأذكّر بٱلنبإِ:

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ٥٠ طه.

وبٱلنبإ:

﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ ٣ ٱلصافات.

ولآ أنسى عظمة ٱلاكتشاف لهذه «المنظومات الهندسية» للتجمع ٱلذاتى ٱلذى يدفع إلىَ أمام بٱلبحث عن «كيف بدأ ٱلخلق» ويقربنا منه.

ومما يزيدنا ثقة فى هذا ٱلأمر هو ما جآء فى ٱلبلاغ:

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ٱلواقعة.

وعليناَ أن نجعل هذه ٱلأنبآء فى مقدمة ٱهتماماتنا ونحن نجرى ٱلبحث فلا ننسىَ أن ٱللَّه هو ٱلخالق وهو ٱلهادى.

وأعود إلى ٱلسيد «إنكبر» حيث يقول:

[ويعتقد الباحثون اليوم، أن التطور البيولوجي بدأ من طبقات الطين وليس من

(١) مجلة ٱلعلوم ٱلأمريكية (مجلد ١٤ - ٱلعددان ٦/ ٧ - ١٩٩٨).

البحر البدائي الأزلي. ومما يستأثر بالاهتمام أن الطين نفسه هو شبكة مسامية من الذرات مرتّبة بشكل جيوديسي داخل أشكال ثُمانية ورباعية السطوح. ولكن لكون هذه المثمنات والرباعيات غير مرصوصة بشكل وثيق، فإنها تحتفظ بقابلية التحرك والانزلاق بالنسبة لبعضها بعضاً. ويبدو أن هذه المرونة تسمح للطين أن يحفّز العديد من التفاعلات الكيميائية، بما في ذلك التفاعلات التى ربما أنتجت اللبنات البنائية الجزيئية الأولى للحياة العضوية][1].

وأذكر أنّ علمآء فيزيآء ٱلجسيدات كانوا قد وجدوا بمساعدة وسآئل ٱلبصر وٱلكشف أن نوى ٱلسُّوَر (ٱلذرات) «**لا تكون كروية أو متطاولة فقط، ولكن من الممكن أيضاً أن تكون مفلطحة Oblate الشكل (مثل القرص)، أو ذات شكل «ثلاثي المحور» Triaxial (مثل كرة قدم أمريكية غير تامة النفخ)، أو لها شكل «ثماني القطب» Octupole (مثل الكمثرى)**»[2].

وهذا يطابق ٱكتشاف «إنكبر» ٱلمتعلق بتجمع ٱلسُّوَر (ٱلذرات) ٱلذاتى فى جزيئات وفق «أشكال هندسية ثلاثية ورباعية وخماسية».

وأنظر فى ٱلنبإ ٱلتالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١ فاطر.

وأرى فيه ما ٱكتشفه «إنكبر» وٱلفيزيآئيون. فٱلمَلَك وٱلمَلاَك هـو قوام ٱلشىء وخلاصته أو جوهره. وهو جسيد أو جسد نورانى يتكون بألوان مختلفة. وهو ٱلمملوك لمالِك وليس له من ٱلملكية شىء. وٱلمَلَكة صفة راسخة وٱستعداد كامل للقيام بأفعالٍ محددة وبٱتقان ومن دون نقص. وٱلمَلَك وٱلمَلاَك جمعها ملاَئكة. وهى ٱلصّافات وٱلزّاجرات ٱلتى تمثل جوهر ٱلجسيدات ٱلمكونة للمادة وملَكتُها منهاج وهداية.

---

(١) م.ع.أ - مجلد ١٤ ٱلعددان ٦/٧ - ١٩٩٨.

(٢) م.ع.أ. مجلد ٤ ٱلعدد ٤-١٩٩٨ (ج.هـ. هاملتون و.ج.أ. مارون).

«رُسُلاً أوْلِى أجنحةٍ» ٱلرّسل هى ٱلمُطلَقَة وفق منهاج لا قيد عليه. وهذه ٱلرّسل ذات أجنحة (جوانب) مثنى وثلاث ورباع. وخلقها ومنهاجها يتبع زيادة فى تكوين ٱلأجنحة.

ٱلنبأ عن هذه ٱلجواهر جآء بعد ٱلنبإ «فاطر ٱلسمـٰوٰت وٱلأرض» مع ٱلتوكيد على قدرة ٱللَّه فى ٱلخلق. ومآ أربـٰه فى هذا ٱلنبأ يعزره ٱلأمر ٱلتالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ٦ ٱلتحريم.

وفى هذا ٱلقول بلاغ لنآ أن ٱلملآئكة لا تملك مشاعر ولا عواطف. ولآ أفكار خاصة بها تدفعها للعصيان. وأنها تفعل ٱلأمر ٱلصادر لها من دون زيادة ولا نقص.

وهذا ٱلوصف يقرّبهُ ٱليوم إلى فهمنا «ٱلرّوبوت».

وٱلدليل أن ٱلملآئكة لا تملك لنفسها ما يمنعهآ أو يجعلها تتردد فى طاعة ٱلأمر ما جآء فى ٱلنبإ ٱلتالى:

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ ٥٠ ٱلقمر.

وهذا يدل على طاعة ٱلأمر ٱلصادر لمرة واحدة من دون حاجة للتكرار وبسرعة بصر ٱلعين (سرعة ٱلضوء).

وللتوكيد علىَ أن ٱلملآئكة هى كآئنات ذات ألوان متعددة وأفعالها تتبع منهاجا وذاكرة بدءًا من ٱلجسيدات ٱلطاقية وحتى ٱلملآئكة ٱلتى تتولى ٱلقيام بأفعال تعليمية للبشر. أو تنقل رسالات من ٱللَّه. أو تجرى عمليات ٱستنساخ. أورد ٱلبلاغ ٱلذى يربط بين ٱلعلم بها وٱلإيمان بٱلأخرة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ /٢٧/ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا /٢٨/ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا /٢٩/ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ /٣٠/﴾ ٱلنجم.

إن ٱلعلم فى ٱلحقّ يسوق ٱلعالم إلى ٱلنبإ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾. وكذلك إلى ٱلاستنباط ٱلعلمى للنشأة ٱلأخرة.

لقد ربط ٱلبلاغ بين ٱلعلم بٱلملآئكة وٱلإيمان بٱلأخرة. وبيّن أن ٱلذين لا يقيمون هذه ٱلرابطة ٱلعلمية لا علم لهم بٱلأمرين. وهم فى موقف ظنّ يخالف ٱلحقّ.

كما بين أنّ هذا ٱلموقف ٱلظنى يسوق صاحبه إلى ٱلركض ورآء ٱلحياة ٱلدنيا وإهمال بل نسيان للأخرة بسبب ٱلجهل ٱلذى يسببه ٱلامتناع عن ٱلسعى لكسب ٱلعلم فى ٱلوجود ومنه ٱلملآئكة ٱلجسيدية.

وأرىَ أن ما ٱكتشفه ٱلفيزيآئيون وٱلبيولوجيون يطابق ٱلنبأ ٱلقرءانى ويصدقه. كمآ أن ٱكتشاف «المنظومات الهندسية» للتجمع ٱلذاتى دفع ٱلسيد «إنكبر» لوضع نظرية عن ٱلبنآء ٱلحىّ ٱلذى بدأ من ٱلطين. وهذا وصول إلى تأويل ٱلنّبإ وتصديقه:

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ﴾ ٧ ٱلسجدة.

وما هذآ إلا نبأ عن ٱلبداية ٱلتى ٱنطلقت من ٱلطين. وما يزال ٱلبحث عند ٱلبداية.

ويجب أن تتركز جهود ٱلباحثين ومنهم ٱلسيد «إنكبر» لتصديق ٱلبلاغ «فٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا» ٱلذى يجرى فيه ٱلعلم بهذا ٱلمنهاج ٱلذى يوجه ٱلجسيدات وٱلسُّوَر (ٱلذرات) وٱلجزيئات وٱلخلايا لهذا ٱلتجمع ٱلهندسى.

كمآ أنّ ٱلاستعانة بعلم ٱلهندسة ٱلجينية يساعد على متابعة ٱلبحث فى فروع ٱلعلم ٱلأخرى. وخصوصًا فيزيآء ٱلجسيدات ٱلطاقية ٱلتى وجدت أنه بلقآء (كواركين فوق) مع (كوارك تحت) يتكون مولود جديد هو ٱلبروتون. ومن لقآء (كوارك فوق) مع (كواركين تحت) يتكون ٱلنترون.[1] ويصير لكل من ٱلنترون

---

(١) «اكتشاف كوارك القمة» (م.ع.أ مجلد ١٤ ٱلعدد ٥-١٩٩٨).

وٱلبروتون ذاكرة جديدة ومخططات فعل جديدة حيث يقترن نترون وبروتون فيتكون مولود جديد هو ٱلنوى. وتجتمع ٱلنوى مع إلكترون فتولد ٱلسُّورة (ٱلذرة).

يبقىَ أن نتابع ٱلولادة فى كلٍّ من ٱلمادة ٱلحيّة وٱلميتة مع توجيه ٱلنظر إلى ٱكتشاف ٱلذاكرة فنوصل إلى ٱلعلم بٱلنشأة ٱلأولى. وأرىٰ أننا سنتمكن من ٱلعلم بهذه ٱلذاكرة فى ٱلمستقبل ٱلقريب.

كمآ أرىَ أن ما تجده ٱلفيزيآء وما تجده ٱلبيولوجيا يدلّ على وحدة هندسية تعمُّ كل شىء فى ٱلكون. ممّا يوكّد علىَ أنّ ٱلمهندس واحد وهو ما بيّنه ٱلنبأ بالتوكيد:

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ /٤/ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ /٥/﴾ ٱلصافات.

وما وجدته ٱلفيزيآء وما وجدته ٱلبيولوجيا ما هو إلآ ءايات كان ٱللّه قد أعلمنا برؤيتنا لها:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ ٥٣ فصلت.

وهذا ٱلتقسيم فى ٱلنبإ يتطابق معه تقسيم ٱلناظرين فى ٱلفيزيآء (ٱلأفاق) وٱلبيولوجيا (أنفسهم). ولو كان ٱلشاميون هم ٱلذين ساروا ونظروا وتابعوا ٱلبحث فى ٱلفيزيآء وٱلبيولوجيا لجآءت كلمات (مصطلحات) ٱلعلمين وفق كلمات ٱلقرءان. ولكن ٱلشاميين هجروا ٱلنظر وٱلبحث بدليل ٱلبلاغ:

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ ٣٠ الفرقان.

قوم ٱلرسول هم ٱلشاميون ولسانهم هو لسان ٱلقرءان. ولمّا كان هجرهم للقرءان هو هجر للنظر وٱلبحث ٱلعلميين جآء ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلميين بألسن عربية أخرى. وعربية ٱلِّسان هى فى بيانه وفصاحته وكشفه عن ٱلحقِّ. وكان ٱللّه هو

ٱلذى أنبأنا عن ٱلحقِّ بواسطة لسان شامىّ هو لسان قوم ٱلرسول. وبه جآء لسان ٱللّه عربى مبين.

قرأ ٱلشىء قرءاً وقرءانًا أخرجه من مكان خفىّ وأفصحه. وهو فعل يحدث بٱلنظر فى ٱلأشيآء وٱلأجزآء ثمّ إخراج ما يرىٰه فيها بلاغًا مبينًا. وهو عين ٱلبحث العلمى وأسلوب بلاغه.

أتابع مع ٱلنظرية ٱلقرءانية حيث توصلنا فى ٱلأية /٦/ ٱلصافات إلى ٱلكواكب ومنها ٱلأرض ٱلتى نبت منها ٱلبشر ٱنطلاقًا من ٱلطين. وهو ما توصل ٱلباحثون إلى ٱلقول به اليوم.

لقد بدأ ٱلخلق ٱلحىّ من ٱلطين. وعبر فىَ أطوار عقبت ٱلبداية حتى تكوّن ٱلبشر ٱلسوىّ.

ثم جآء دور «ونفخت فيه من روحى» ليتحول ٱلبشر بتدخل من ٱللّه مباشر إلىَ إنسان. وبٱلروح صار ٱلبشر يستطيع كسب ٱلمعلومات. ويستطيع متابعة ٱلكسب بواسطة ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلميين فى جميع ٱلوجهات بما فى ذلك ٱلسَّمٰوٰت وٱلأرض:

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣ ٱلجاثية.

فٱلأيات ٱلتى يلاحقها ٱلسآئلون سوآء ءكانت فى ٱلفيزيآء أم فى ٱلبيولوجيا تسوق إلى تصديق ٱلنبإ ٱلقرءانى. وهذا يسوق إلى ٱلإيمان بوحدانية ٱللّه.

لقد تناولت ٱلأنبآء جميع ٱلوجهات ٱلعلمية. وأعرض للأنبآء ٱلتىَ أعلمنا ٱللَّه بها عن تسوية ٱلأرض وجعلها صالحة:

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا /٢٥/ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا /٢٦/﴾ عبس.

فى ٱلنبإ ٱلمآءُ ٱلمصبوب على ٱلأرض ليس غيثا ولا مطرا. بل هو صبّ لمآء فُصل بصواع ٱلملك بعد أن كان محبوسا فى رحل ٱلكوكب. وبٱلفصل صُبّ صبًّا

فأحدث تشققها وخروج ما فى داخلها إلى ٱلسطح. وهذا يبين فعل ٱلمآء ٱلمصبوب فى ٱلسطح وٱلجوف على ٱلسوآء:

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ٢٠ ٱلغاشية.

أى صار لها سطح بفعل حركة وثقل ٱلمآء.

ويزداد ٱلحدث بيانًا وتسلسلاً فى ٱلنبإ ٱلتالى:

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ / ٣٠/ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا / ٣١/ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا / ٣٢/﴾ ٱلنازعات.

دحى ٱلأرض نبشها وأخرج ما فى بطنها. وهذا يبيّن لنا ٱلأحداث ٱلجيولوجية ٱلتى تكونت بفعلها ٱلجبال. وكذلك خروج ٱلمعادن ٱلأثقل إلى ٱلسطح لتختلط مع ٱلمعادن ٱلأخف. وبفعل ٱلمآء فيها تتحول إلى طين ثم تراب صالح لإنبات ٱلمرعى.

فى هذا ٱلنبإ معلومة هامة للغاية عن ٱلمآء ٱلذىَ أخرج من رحل ٱلأرض ذاتها بصواع ٱلملك. وهذا ٱلنبأ يقطع تمامًا ٱلظنّ ٱلذى يقول أن مذنبًا جليديًا ٱصطدم بٱلأرض وكان سببا لوجود ٱلماء فيها.

كمآ أن هذا ٱلنبأ يوكّد قدرة ٱلإنسان ٱلعالم ٱلصالح على ٱستخراج ٱلمآء من كوكب ٱلزهرة كما جآء قولنا عن يوسف(*) ويحثنا عليه.

وعن تأثير ٱلفعل ٱلبيولوجى فى سطح ٱلأرض بعد خروج ٱلنبات جآء فى ٱلنبإ:

﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ ٦ ٱلشمس.

وهذا عن ٱنتشار وتدافع ٱلنبات فى سطحها مسببًا ٱنتفاخه وٱهتزازه:

﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ ٥ ٱلحج.

وفى سورة ٱلمرسلات نبأ عن ٱلحياة وٱلموت فى ٱلأرض:

(*) يوسف واخوته.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا /٢٥/ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا /٢٦/ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا /٢٧/﴾ ٱلمرسلات.

جعل ٱلأرض كفاتا. أى حوّلهآ إلى حاضنة للمادة ٱلحيّة وٱلمادة ٱلميتة. وهو ما تدلنا عليه كلمة «كفاتا» ٱلتى نجد عامّة بلاد ٱلشام تستعملها لتدل بها على لحم مخلوط بٱلدهن «كفتة». ورافق ذلك حدث جيولوجى أحدث ٱلجبال ٱلشامخة.

ويبين ٱلنبأ أن ٱلمآء ٱلمصبوب على ٱلأرض ٱلمستخرج من رحلها لم يكن صالحًا للشرب. وأن ٱلجبال ٱلتى حدثت بٱلحركة ٱلجيولوجية كانت سبب تكّون ٱلماء ٱلصالح للشرب.

وفى سورة ٱلنبإ نجد تمهيدًا لبداية ٱلحياة:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا /٦/ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا /٧/ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا /٨/﴾ ٱلنبإ.

ٱلمهد هو ٱلفراش ٱلمهيأ للصغير. أى حدث فعل جيولوجىّ هيّأ ٱلأرض لبداية ٱلحياة. وجُعلت ٱلجبال لحماية سطح ٱلأرض من ٱلانزلاق مع كل هزّة أو زلزال. وعقب ذلك طور جعل وحيدات ٱلخلية أزواج ذكر وأنثى ومنها ٱلبشر لاحقًا.

إنّ ٱلإنسان ٱلذى يمثله يوسف فى ٱلقرءان بعد أن يكتمل علمه ويشتد كما يبيّن ٱلنبأ:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ٢٢ يوسف.

تكون ٱلأرض ٱلتى يحيا عليها قد ٱقتربت من نهاية صلاحها. ويكون يوسف ٱلصديق ٱلعالم قد أرسىَ أسس ٱلحياة فىَ أرض جديدة هى ٱلكوكب ٱلذى يلى ٱلأرض مباشرة بٱلتكوين.

وفى ٱلقرءان بلاغ عن عدد ٱلسَّمٰوٰت:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ ٣ ٱلملك.

فهى سبع سمٰوٰت طبق بعضها.

وحتى لا يذهب تفكيرناَ إلى عوالم أخرى غير مجموعتنا ٱلشمسية نعود إلى فهمنا عن يوسف ٱلذى «جعل ٱلسقاية فى رحل أخيه ثم ٱستخرجها من رحل أخيه».

كما نعود إلى فهمنا لدليل أسم ٱلكوكب ٱلذى عرضنا له فى مقدمة كتابنا «ٱلدين خرافة أم علم؟». وقد جآء فيه أن سبعة كواكب فى مجموعتنا ٱلشمسية تمر بطور ٱلصلاح تباعًا. وأن ٱلإنسان ٱلذى خلقه ٱللَّه فىَ أوّل أرض يتولىَ إصلاح ٱلكوكب ٱلذى يلى ٱلأرض من وجهة ٱلشمس. ثم ينتقل إليه عندما توصل أرضه إلى نهايتها ٱلمريخية.

هذا عن يوسف ٱلصديق. أما بقية ٱلناس فهم ٱلجاهلون ٱلذين يرغبون عن ملة إبرٰهيم ٱلذى ٱصطفاه ٱللَّه فى ٱلدنيا وٱلأخرة كما يبين ٱلبلاغ:

﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ١٣٠ ٱلبقرة.

وجآء وصف أولئك ٱلذين يرغبون عن ملة إبرٰهيم فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ ٢٢ ٱلأنفال.

وهم ٱلذين أعرضوا عن ذكر ٱللَّه وأوامره ٱلتى يأتى فى رأسهاَ أمره بٱلنظر وٱلبحث ٱلعلميين للوصول إلى ٱلعلم فى «كيف بدأ ٱلخلق». ويبين ٱلنبأ مستوى عيشهم فى ٱلدنيا وٱلأخرة:

﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ ١٢٤ طه.

ٱلضَّنكُ هو ٱلضَّيِّقُ من كل شىء فى ٱلبدن وٱلرأى. وهو ٱلتابع ٱلذى يخدم بطعامه. ويقابل كلمة ضنك فى لسان ٱلإنكليز كلمة Donkey فى ٱلنطق وٱلدليل. وهى فى ٱلِّسانين تدل على من لا يفكر أو حمار.

ينتقل يوسف ومن معه إلى كوكب صالح جديد. ويبقى على سطح ٱلكوكب

(ٱلذى بدأ يتحول إلى مريخ) جميع ٱلذين رغبوا عن ملة إبرٰهيم.

لقد جآء فى ٱلنبإ:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ١٢ ٱلطلاق.

وٱلسماء ٱلدنيا هى واحدة ٱلسمٰوٰت ٱلسبع. فمع خلق كل أرض سمآء دنيا تمثل رحلها (غلافها) ٱلجوى ٱلذى يحميها من رجم ٱلحجارة ٱلتى تنحرف عن مسارها وتتوجه إلى ٱلأرض فتحترق وتتفتت عندما تخترق رحلها.

وعن هذا جآء فى ٱلنبإ:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ ٥ ٱلملك.

وهى ٱلحجارة ٱلتى تسبح من دون فلك يقيد سباحتها.

وإذا تابعنا ٱلأوصاف ٱلأولية لكل من ٱلمريخ وٱلزهرة وهما ٱلجاران للأرض. وقد جآءت هذه ٱلأوصاف بواسطة بعثات ٱستكشاف فضآئية قام بها ٱلإنسان. فنجد وصفًا لكوكب ٱلزهرة يقول عنه:

«كوكب شديد التسخن، حيث درجة حرارته تبلغ ٤٧٠ درجة، والضغط الجوي ١٠٠ جوي، والصخور شبيهة بأنواع الجرانيت الأرضية، وهي أحجار حديثة النشوء ذات أطراف حادة وأشكال غير منتظمة، وأخرى قديمة مدورة وحوافها مسوّاة. ويتشكل جو الزهرة من ٩٥٪ غاز ثاني أوكسيد الكربون وحامض الكبريتيك الذي يتميز محلوله المركز بقدرة عالية على امتصاص الماء، وجو الزهرة يسمح بمرور أشعة الشمس إلى سطح الكوكب ويمنع انبعاث الإشعاع الحراري المنعكس عنه مسبباً دفيئة ذات درجة حرارة عالية. ولون السماء فوق الأفق يميل إلى الخضرة والصفرة، وعلى ارتفاع كبير فوق سطح الكوكب تنفرد قبة من السحب برتقالية اللون، كما يوجد نشاط بركاني»(١).

وهناك وصف أخر يقول عن ٱلمريخ:

[«الضغط الجوي عند السطح أقل من ١٪ كما هو في الأرض، كما أن درجات الحرارة في النهار، نادراً ما تتجاوز درجة الصفر المئوية، حتى في أحرِّ مناطق الكوكب

---

(١) سفينة فضائية في المدار - دار مير ١٩٨٧.

خلال فصل الصيف، والأهم من هذا كله، هو أن أحد أهم مقومات الحياة، وهو الماء السائل، يبدو غير موجود على سطح الكوكب». «ثمة مقادير كبيرة من الماء غيّرت شكل سطح الكوكب منذ بضعة ملايين من السنين، بل ربما في زمن أحدث لايتجاوز عدة مئات من ملايين السنين». «لقد كان على سطح المريخ في بدايات تاريخه ماء سائل. وتوجد على السطح وديان ضيقة وضخمة.. لقد كان الماء السائل يغمر أجزاء المريخ، ويحوي سطح المريخ مقادير وفيرة من المواد البازلتية التى تشققت وتحولت إلى مجاري مياه. ولهذا الوضع ما يشبهه على الأرض». «ثمة نيازك عُثِرَ عليها على كرتنا الأرضية، تبيّن أنها أتت من المريخ، تقدم براهين مادية على الماضي المائي للمريخ»][1].

[**«إن الجو الخارجي للمريخ مخلخل جداً، أما طبقاته العليا فكثافتها قليلة للغاية». «سرعة الريح عند سطح الكوكب تبلغ قيماً خيالية، وهي عواصف ترابية. هناك براكين جبارة تدعو للدهشة، وهناك صحارى شاسعة ملساء تماماً..وشقوقاً وأخاديد طويلة وملتوية، وجبال وتلال، ومجاري أنهار جفت..الجو مخلخل لدرجة أن الماء السائل لا بد أن يغلي ويتبخر..هناك وهاد ضخمة لا تختلف من حيث شكلها كثيراً عن مثيلاتها الأرضية..سطح المريخ بادية حمراء تعلوه سماء ذات لون وردي خلاب تضيء في جزئها الأسفل..»]**[2].

بعد عرض هذه ٱلأوصاف لكل من كوكب ٱلزهرة وكوكب ٱلمريخ يمكن ٱلقول أن ٱلمريخ كوكبًا ميّتًا وأن ٱلزهرة يمر بمرحلة جنينية[3] تسبق ٱلصلاح.

ويقول ٱلناظرون وٱلباحثون عن جو ٱلزهرة «**أن حامض الكبريتيك في جو الزهرة يقوم بدور كبير في عملية امتصاص الماء، وهذا ما يبرر قلة كمية بخار الماء في جو الزهرة**»[4].

---

(١) مجلة العلوم الأمريكية - مجلد ١٤ ٱلعددان ٦/ ٧ - ١٩٩٨.

(٢) سفينة فضائية في المدار - دار مير ١٩٨٧.

(٣) تاريخ النشوء - دينفورث.

(٤) سفينة فضائية في المدار - دار مير ١٩٨٧.

ومن مفهوم تحرير ٱلماء ٱلمحبوس فى جو ٱلزهرة وجعله ينصبّ على سطحها صبًّا أستنبط فعل ٱلتحرير من فهم ٱلصَّبِّ ٱلذى جآء فى ٱلبلاغ:

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ ٢٥ عبس.

صبّ ٱلمآء على سطح ٱلكوكب ليس مطرًا ولا غيثًا بل هو مقدار عظيم من ٱلمآء ينصبُّ دفعة واحدة. وبه تنخفض حرارة ٱلكوكب بفعل ٱلسعة ٱلحرارية ٱلكبيرة للمآء.

كما تحدث بفعل قوَّة ٱلصَّبِّ وٱلثقل للمآء ٱلمصبوب ٱنكسارات وشقوق عظيمة فى ٱلسطح. وهو ما جآء عنه فى ٱلبلاغ:

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ ٢٦ عبس.

وهنا يُظهر لنا ما بيّنه ٱلبلاغ فى عمل يوسف ٱلذى «جعل ٱلسقاية فى رحل أخيه». وبه نهتدىَ إلى فصل ٱلمآء عن ٱلكبريت بواسطة «صُوَاعُ ٱلْمَلِكِ». ٱلذى يبيّنه إدخالنا لما يفرّق ٱلمآء عن ٱلكبريت مثل مآءات ٱلصوديوم إلى جو ٱلزهرة أو زرع للون من ٱلفطور ٱلتى تتغذى بٱلكبريت فى سمآئه (مرّ أنّ ٱلصُواع هو ٱلتمهيد وٱلتهيوء لتفريق أشيآء عن بعضها).

وبٱدخال مآءات ٱلصوديوم إلى جو الزهرة يمهد لتفريق ٱلمآء عن ٱلكبريت. وبه تتكون كبريتات ٱلصوديوم ويتحرر ٱلمآء لينصبّ على سطح ٱلكوكب. ويبدأ فعله فيه من شقّ وتبريد وتكوّن جباله كما بين ٱلبلاغ فى ٱلقرءان.

وبمراقبة أفعال ٱلتطور ٱلتى تجرى بعد ذلك سنرى وصول ٱلزهرة إلى طور ٱلعلم ٱلمبلَّغ لنا فى ٱلقرءان:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا /٢٥/ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا /٢٦/ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا /٢٧/﴾ ٱلمرسلات.

أما كوكب ٱلمريخ فإن ما جآء فى وصفه على لسان ٱلناظرين يتطابق مع رأيت منه فى كتاب «ٱلدين خرافة أم علم؟». وهو ما كنت قد توصلت إليه من دليل ٱسم ٱلمريخ. فقد رأيت أنّ ٱلمريخ كان أرضا صالحة ماتت ولا يمكن إصلاحها

مرّة أخرى. وأرىَ أنّه يمثل ٱلأرض ٱلتى جآء وصف أفعال ٱلفساد فى جوّها فى بلاغ ٱلقرءان:

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ ١١ ٱلتكوير.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ ٦ٱلتكوير.

كشطت ٱلسمآء. ذهب رحلها (غلافها) ٱلجوى.

وسجّرت البحار. زاد مآؤها وٱرتفع حتى تبخّر وذهب.

هذا ٱلوصف يبين ذهاب قميص يوسف (ٱلغلاف ٱلجوى) وبذهابه يرتفع مآء ٱلبحار ويتبخر.

وما جآء فى وصف ٱلناظرين عن جوّ ٱلمريخ «**مجاري أنهار جفت. . الجو مخلخل لدرجة أن الماء السائل لا بد أن يغلي ويتبخر. . .**» يبين أنّ بلاغ ٱلقرءان يهدى إلى ٱلحقّ".

وعن لون سمآئه «**سطح المريخ بادية حمراء تعلوه سماء ذات لون وردي خلاب تضيء في جزئها الأسفل**»[١].

هو وصف يقترب ممّا جآء فى ٱلبلاغ:

﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ ٨ ٱلمعارج.

ٱلمُهل هو ٱلمعدن ٱلمذاب بٱلحرارة ويكون لونه ورديًا.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ ٣٧ ٱلرحمن.

وردة كٱلدهان يدل على لون ٱلورد ٱلأحمر.

أتوقف عن متابعة ٱلكواكب عند ٱلمريخ. فقد تناولت ٱلبقية بدليل أسمآئها.[٢] وأنتقل إلى ٱلحدث ٱلكونى ٱلذى يبدأ فيه فعل ذهاب ٱلكواكب

---

(١) سفينة فضائية في المدار - دار مير ١٩٨٧.

(٢) ٱلدين خرافة أم علم؟.

جميعها بفعل قوة سحب عظيمة. ويكون ٱلإنسان ما يزال علىَ أرض صالحة سوآء ءكان ذلك علىَ أرضنا ٱلحالية أم على ٱلزهرة. أيُّها تحمل ٱلرقم سبعة. وقد جآء تصوير ٱلحدث فى ٱلبلاغ:

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ /٤/ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ /٥/﴾ ٱلقارعة.

فيه بلاغ عن قوة سحب عظيمة تفكك جزيئات ٱلجبال وتحوّلهآ إلى ما يشبه ٱلقطن ٱلمندوف ٱلمتطاير. كذلك ٱلناس يتطايرون كٱلفراش ٱلمنتشر.

ويتابع تصوير ٱلحدث ٱلكونى:

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا /١٩/ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا /٢٠/﴾ ٱلنبأ.

أبلغ تصوير عن تفتت ٱلجبال وجعلها غبارا ينطلق وجهة قوّة ٱلسحب.

فى نور ٱلأنبآء ٱلتى جآءت فى ٱلقرءان. وفى عقلها ومطابقتها مع بلاغات ٱلبحث ٱلعلمى ٱلذىَ أرى فيه عمل من طاع ٱلأمر ٱلإلـٰهى ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ وجآء بتصديق ٱلبلاغ فى ٱلقرءان. أرى وأقول مطمئنًّا أنّ ٱلإيمان بوحدانية ٱلخالق وجعله إيمانًا يقينيًا لا يحدث إلا من بعد طاعة أمر ٱللّه بٱلسير وٱلنظر كيف بدأ ٱلخلق. وبه ينشأ ٱلإيمان. وبه تتقوى طاعة ٱلأوامر ٱلإلـٰهية جميعها. سوآء ٱلمتعلق منها بٱلنظر وٱلبحث ٱلعلميين أم ٱلمتعلق منها بٱلسلوك مع ٱلناس ومكان عيشهم (ٱلبيئة). وبه يسير ٱلإنسان إلى توسيع علمه فى وجهة ٱلكشف عن جميع تفاصيل ٱلنشأة ٱلأولى.

أمّا ٱلذين يجحدون ٱلنبأ ٱلقرءانى فهم لا يصدقون على ٱلرغم من قوة ٱلبيّنة بفعل ٱلمقارنة وعلى ٱلرغم من ٱلعلم ٱلذى بين أيديهم. وقد جآء فى ٱلبلاغ تذكير لهم:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ /٨٢/

﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ / ٨٣/ ﴾ غافر.

فيه وصف لقوم أقويآء ولهم درجة علمية عالية وقدرة علىَ إحداث ٱلأثر فى ٱلأرض. ومع ذلك لم يكترثوا بٱلرسالات وٱستخفّوا بها وٱستكبروا بغيرِ حقّ وتفاخروا بعلمهم وقوتهم وشدّتهم.

ٱلإنسان ٱلذى خلّف ورآءه أثار بعلبك وأهرامات مصر وٱلإنكا ليس بدآئيًا. وعلمنا نحن ليس أكبر من علمه. بل قد يكون أقلّ منه بكثير!. وقول فرعون لـ هامان يظهر لون ٱلقوّة ٱلعلمية ٱلتى كان يملكها:

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ /٣٦/ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ /٣٧/ ﴾ غافر.

هذا يذكرنى بـ خروشوف(*) ٱلذى سأل غاغارين أول رآئد فضآء فى حضارتنا ٱلحالية عمّآ إذا كان قد رأى ٱللَّه!..

فرعون كان يطلب صرحًا ليبلغ أسباب ٱلسّمٰوٰت. وٱلصرح هو كل بنآء عالٍ ظاهرٍ.

مثل هذا ٱلبنآء ٱلذى يمكن أن يبلغ أسباب ٱلسّمٰوٰت لا يكون ثابتًا كٱلبرج. بل هو بنآء ينطلق ويسبح متجوّلا فى ٱلفضآء.

كما يذكّرنى هذا ٱلأمر بقوم عادٍ ٱلذين ٱستكبروا فى ٱلأرض:

﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ ١٥ فصّلت.

وٱليوم هناك ٱلولايات ٱلمتحدة ٱلأمريكية ٱلتى تملك أن تكون «يوسف» ٱلذى «جعل ٱلسقاية فى رحل أخيه». فهىَ إلى جانب ذلك تشبه عادًا فى ٱستكبارها.

(*) زعيم سوفياتي خلف ستالين.

كماَ أنّ موقف رئيسها ٱلحالى «كلنتون» وتشريعه ٱلذى يمنع ٱلاستنساخ يشبه موقف ٱلذين كذّبوا بأية ٱلعذرآء مريم.

ما رتلته إلى هنا كان عن ٱلنشأة ٱلأولى. أمّا ما يتعلق بٱلنشأة ٱلأخرة فقد جآء عنها فى ٱلبلاغ:

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

لقد ورد فى بداية ٱلبلاغ / ٢٠/ ٱلعنكبوت ٱلأمر ٱلإلـٰهى بٱلنظر كيف بدأ ٱلخلق. وبه يوصل إلى ٱلعلم بٱلنشأة ٱلأولى ٱلتى ورد ٱلقول عنها فىَ أخر ٱلبلاغ.

وفى ذات ٱلوقت ضمّ ٱلبلاغ نبأ يبين أن ٱلإنسان بعد حصوله على ٱلعلم بٱلنشأة ٱلأولى يستطيع أن يعلم بحتمية ٱلنشأة ٱلأخرة ٱستنباطًا. وبه يصدّق ٱلنبأ من دون سير ونظر فى ٱلمسألة. لأنه يعلم أنّ ٱلنشأة ٱلأخرة يجرى حدثها فى غيابه عن ٱلأرض ٱلذى يبدأ وفق بيان ٱلبلاغ عن ٱلأرض ٱلتى سُيّرت جبالها «فكانت سرابًا».

لقد خلق ٱللّه ٱلإنسان وسوّىٰه على ٱلأرض ٱلأولى. وقام يوسف بإصلاح ٱلثانية وٱلثالثة إلى ٱلسابعة.

وفى حياة ٱلإنسان ٱختبار له يحصد ما عمله فى ٱلحياة ٱلدنيا بعد قيام ٱلنشأة ٱلأخرة. وفيها يَحيىَ حياة جديدة خالدة من دون ٱختبار.

وٱستنباط ٱلإنسان لقيام ٱلنشأة ٱلأخرة يستند على ما جآء من تعريف لها فى بلاغ ٱلقرءان. فقد بين لنآ أنّ علمنا بها هو علم تعريف نحصل عليه من ٱلبلاغ:

﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ ٦ محمد.

حاجة ٱلإنسان للتعريف بٱلجنّة أنّه عندما يبعث ويشاهدها يعلم علم يقين أنها ٱلجنّة ٱلتى وعده ٱللّه بها. وفاعل ٱلعلم ما فى قلبه من تعريف لها كان قد جآءه فى ٱلحياة ٱلدنيا بلسان عربىّ مُّبين.

لقد جآء ٱلتعريف مقترنـًا بٱلنبإ عن تكون ٱلنشأة ٱلأخرة:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ /١/ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ /٢/ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ /٣/﴾ ٱلانفطار.

فيه تعريف بكيفية إعادة ٱلخلق وتكوينه من سمآء وكواكب وبحار تتفجر بٱلمآء.

هناك أرض وسمٰوٰت جديدة كما يبين ٱلبلاغ:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ ٤٨ إبرٰهيم.

وسيلة إظهار وإعلان ٱلجنة ٱلتى عرّفها لنا ٱلبلاغ فى ٱلسّمآء تشبه وسيلة إعلان وإظهار أرضنا ٱلحالية وهو ما يبينه ٱلبلاغ:

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ٢١ ٱلحديد.

لقد بين ٱلبلاغ فى سورة ٱلانفطار أن ٱلناس قد تمّ حسابهم وعلم كلّ منهم بمقرّه ٱلجديد:

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ٥ ٱلانفطار.

وقد بين ٱلبلاغ أنّ حياة ٱلناس خالدة فى ٱلنشأة ٱلأخرة:

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ ١٠٧ هود.

وهذا يبين دورة كونية كاملة.

أمّا عن توزع ٱلناس إلى مقراتهم فى ٱلأخرة فإنّ ٱلمكذبين للنبإ فى مقرّ يجعلهم يصدقون من بعد فوات ٱلأوان:

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ ٤ ٱلإنسان.

وعن مقرّ ٱلذين صدّقوا ٱلنبأ وعملوا صالحًا أنهم:

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ١٣ ٱلإنسان.

ٱلعدد ١٩ يستحق ٱلاهتمام!

﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ ٣٠ ٱلمدّثر.

إلى ماذا تشير كلمة «عليها» فى ٱلبلاغ؟

هل هى ٱلنشأة ٱلأولى؟

وهل ٱلنشأة ٱلأولى محكومة بهذا ٱلمقدار؟

جآء فى ٱلبلاغ:

﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ ٨ ٱلرعد.

وقد ظنّ ٱلمفسرون[١] أن ٱلـ «تسعة عشر» هو عدد خزنة ٱلنار. وٱلبلاغ يدحض ظنَّ ٱلمفسرين ويبين أنّهم مفتونين:

﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةً﴾ ٣١ ٱلمدثر.

* *

تناول ٱلدكتور محمد رشاد خليفة[٢] ٱلعدد ١٩ ورأىَ أنّ أول قول فى ٱلقرءان هو ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يتكون من ١٩ كتاب (حرف).

---

(١) ٱنظر تفسير القرءان العظيم، ابن كثير.

(٢) عن كتاب: إنذار من السماء تأليف نيازي عز الدين ص ٣١٣ وما بعدها للمزيد من ٱلتفاصيل يرجى ٱلمراجعة.

وأن عدد سور ٱلقرءان ٱلـ ١١٤ هو من مضاعفات ٱلعدد ١٩ .

وبيّن أن كتب (حروف) ٱلألف وٱللامد وٱلمِم فى سورة ٱلبقرة هى من مضاعفات ٱلعدد ١٩ . وتبدأ هذه ٱلسورة بقول مكون من هذه ٱلكتب ٱلثلاثة (الٓمٓ).

كما رأىَ أن هذه ٱلمقادير موجودة فى ٢٩ سورة. تبدأ كل منها بكتب يسميها ٱلمفسرون للقرءان فواتح ٱلسور.[١]

وٱستدل ٱلدكتور خليفة من ذلك أن ٱلقرءان من عند ٱللَّه بدليل هذه ٱلعلاقة ٱلمقدارية.

وتوصل ٱلعالم ٱلأمريكى «فرانك دريك»[٢] إلىَ إنشآء مثل (نموذج) لرسالة (على طريقة ٱلمربعات ٱلمخصصة للتسلية فى ٱلمجلات) بين شريكين لا توجد بينهماَ أى شراكة سوى قدرتهما على «ٱلتفكير ٱلمنطقي ٱلرياضي». ورأىَ أنهما يستطيعان ٱلتفاهم لاسلكيًا على طريقة ٱلمورس وفق هذا ٱلنموذج. كما رأىَ أنّ هذا ٱلمثل (ٱلنموذج) وحيد. وهو يتكون من ٥٥١ نبضة وتوقف (_/ .) مرتبة ضمن ١٩ رمزًا على ٢٩ سطر.

مثل «دريك» يشبه ما قاله ٱلدكتور خليفة عن ٱلعدد ١٩ وٱلسور ٱلـ ٢٩ فى ٱلقرءان.

بل هو بيان يمكن إدراكه من هذا ٱلمثل ٱلمدرسىّ.

ووجد «ج. ووكر» أنّ:

«زاوية المخر المقيسة بين الخط ومسار القارب مساوية (١٩,١) درجة. وعن زاوية

---

(١) «إن لهذه الفواتح مراداً معلوماً ومعنىً يمكن الوصول إليه بالنظر والبحث. وهو المروي عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب وجمع كثير من الصحابة» الجامع لأحكام القرءان ١/ ١٥٥. وانظر شكل القرءان لابن قنية: ٦٤، ٦٣ عن كتاب من روائع القرءان تأليف د.محمد سعيد رمضان البوطي.

(٢) تاريخ النشوء – هويمارفون ديتفورت.

الأثر الذي يتركه قارب يمخر الماء، وأي شيء من البط حتى ناقلات النفط الضخمة، يولّد أثناء حركته عبر الماء نمطاً لأثر المخر له الزاوية ذاتها»[1].

وأورد بعضًا من أمثلة ٱلفيزيآء ٱلمسلية:

[«وتنص القوانين الهندسية، على أن الجسم الذي يبعد عن العين مسافة تزيد على قطره بمقدار (٥٧) مرة، يجب أن يظهر لعين المراقب بزاوية إبصار تساوي درجة واحدة». «وعند ضعف هذه المسافة، تصبح زاوية إبصارها مساوية لنصف درجة»][2].

ٱلعدد ٥٧ هو من مضاعفات ٱلعدد ١٩ وكذلك ضعف ٱلمسافة ١١٤.

«وإذا طلب منك أن ترسم على الورقة، دائرة تمثل قرص القمر، كما تراه بالعين المجردة، لظهر لك بأن هذا الطلب غير متكامل الشروط. ذلك لأن الدائرة قد تكون كبيرة أو صغيرة، تبعاً لبعدها عن العين. ولكن الشروط ستصبح متكاملة إذا حددنا بعدها عن العين، بالمسافة التى نبعد بها الكتاب أو الرسم وغير ذلك، عن العين عادة، أي بالمسافة التى تؤمّن لنا رؤية جيدة جداً. وتبلغ هذه المسافة بالنسبة للعين السليمة (٢٥سم). والآن، لنحسب الحجم الذي يجب أن تكون عليه الدائرة، ولو على صفحة هذا الكتاب، لكي يصبح حجمها الظاهري، مساوياً لحجم قرص القمـر. إن الحساب بسيط، ويتلخص في قسمة المسافة / ٢٥/ سم (٢٥٠) مم، على العدد ١١٤»[3].

هذه ٱلتسلية فى ٱلفيزياء ليست عبثا.

أما ٱلفيزيآء ٱلجدية فقد وصفت لنا هيئات نوى ٱلسُّوَر (ٱلذرات) وقالت أن هيئة ٱلنوى يتعلق بعدد نتروناتها وبروتوناتها.

وثبت لهم [«أنه نادراً ما تتخذ القوى الذرية الشكل الكروي». «وعند التشوهات[*] الكبيرة أظهرت الحسابات فُرجة جديدة غير متوقعة في الطاقة عند العدد (٣٨). نتيجة لذلك يُتوقع أن تحصل نواة ذات N أو Z قريب من (٣٨) على ما يكافئ دفعة في اتجاه

---

(١) هواة العلم (مجلة العلوم الأمريكية- مجلد ٥ ٱلعدد ٤ تشرين أول ١٩٨٨).

(٢) الفيزياء المسلية - الجزء الثاني - ياكوف بيير يلمان - دار مير ١٩٧٧ ص ٢٧٢.

(٣) ٱلمرجع ٱلسابق.

(*) ٱلتشوه هو ٱتخاذ ٱلنواة هيئة غير كروية حسب ظن ٱلفيزيائيين.

التشوه. وبالتأكيد سوف يسود التشوه في نواة ما، إذا ما ساندت البروتونات والنترونات ذلك. ومن ثم تنبأ مولر ونكس بأن القوى القريبة من N أو Z = ٣٨ يجب أن تكون ضمن أعظم النوى تشوهاً في الطبيعة، والتشوه المفرط للكريبتون ٧٤ (٣٦ بروتوناً و ٣٨ نتروناً) يوكّد هذا التنبؤ بشدة». «ومع ذلك فإن الموقف يتأثر بقُرْب العدد السحري الكروي (٤٠) من العدد السحري المشّوه (٣٨)»][١].

عدد ٱلنبضات وٱلتوقف فى مثل «فرانك دريك» هو (١٩×٢٩).

وزاوية مخر ٱلماء (١٩) درجة.

وقوانين ٱلهندسة ٱلمتعلقة بٱلمسافة بين ٱلعين وٱلجسم ٱلمنظور إليه (٥٧) مرة من قطر ذلك ٱلجسم هى (١٩×٣).

وٱلعدد ٱلسحرى ٱلمشّوه للنوى ٱلذرية هو (١٩×٢ = ٣٨).

فهل كل هذا يحدث من دون رابط بينها؟

وما علاقة ذلك بٱلنبإ «عليها تسعة عشر»؟

رأينا أنّ ٱلعدد ١٩ يتدخل فى تكوين ٱلنوى.

وفى حركة ٱلأجسام على ٱلمآء. وفى قوانين ٱلهندسة.

كذلك فى ٱلتفكير ٱلمنطقى ٱلرياضى عند «دريك».

وهذا يدفعنا للانتباه إلى هذا ٱلعدد وٱلسعى للعلم بأهميته وبعلاقته مع وجود ٱلأشيآء وحركتها وٱلبلاغ عنها.

لقد قال «دريك» عن مثله أنه ٱلوحيد! ومثله يطابق ما جآء فى محاضرة ٱلدكتور محمد رشاد خليفة عن ٱلعددين (١٩ و٢٩).

ألا يدعوا هذا للدهشة!.

وإذا نظرنا فىِ أول سورة من ٱلقرءان نرىَ أنها تتكون من ستة عبارات يعلوها

---

(١) «النوى الذرية الغريبة جداً» (م.ع.أ مجلد ٤ العدد ٤ نيسان ١٩٨٨).

ويتقدمها ٱلقول ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ذو ٱلـ ١٩ كتابًا. وقد ٱختلف ٱلمفسرون فى عدد كتب هذه ٱلسورة.[١] وخلافهم يبين أن ٱلقول ٱلمختلف عليه وٱلذى يتكون من ١٩ كتابا ليس من لون ٱلقول فى ٱلسورة إلاّ أنه معه فى وحدة ٱلسورة.

ومن ٱلمفيد أن نعلم أن «ٱلسورة» تدل على ٱلشىء ٱلذى يشترك فى بنآء ما.

وأن أىّ شىءٍ يتكون من عدد من ٱلسُّوَر (ٱلعناصر).

وأن «ٱلأية» هى ٱلشىء ٱلذى يتكون من عدد من ٱلسُّوَر (ٱلعناصر).

وتتبادل «ٱلسورة» و«ٱلأية» ٱلمواقع فى ٱلبنآء. حيث تتكون «ٱلسورة» من عدد من «ٱلأيات» ٱلمكونة من «سور» أصغر. وهكذا حتى نصل إلى ٱلكون جميعه. وهو ما يبلغنا ٱلقرءان عنه. وهو يتكون من سوَر يماثل عددها عدد سوَر ٱلتكوين وٱلتى يبلغ عددها ١١٤ سورة وكل منها يتكون من عدد من ٱلأيات. فإنّ ضرب عدد ءايات سورة ٱلفاتحة ٱلست بٱلعدد ١٩ نحصل على عدد سور ٱلقرءان ٱلـ (١١٤)!.

وما يدلنا عليه ٱسم «سورة ٱلفاتحة» أنها ٱلسُّورة ٱلأولى - ٱلمبتدأ! وكأنها ٱلبداية ٱلتى ٱنطلقت منها ٱلنشأة ٱلأولى!.

وحتى لا نتسرع فى قولنا ونوقع فى ٱلتخريص وٱلظن نسأل فيزيآء ٱلجسيدات عن ٱكتشافاتها ونسير معها. وهى ٱلتى تقول «**أن عدداً صغيراً من القوى يفسر سلوك أي شكل من أشكال المادة الممتدة من الجسيمات دون الذرية Subatomic إلى المجرات**»[٢].

إذن تعتمد ٱلفيزيآء على ٱلاستنباط (ٱلاستنتاج) ٱنطلاقًا من «عدد صغير من

---

(١) للمفسرين ثلاث آراء في البسملة، الأول أنها آية في الفاتحة وبذلك تكون الفاتحة سبع آيات والثاني أنها ليست آية في سورة بما في ذلك الفاتحة، والثالث يقول أنها آية في كل سورة (ابن كثير - تفسير القرءان العظيم).

(٢) «هل الطبيعة فائقة التناظر» (مجلة العلوم الأمريكية- مجلد ٣ ٱلعدد ٦ كانون أول ١٩٨٧).

القوى». وهذا لا عيب فيه طالمآ أن ٱلاستنباط يستند علىَ أرضية حسية.

لقد قالت الفيزياء:

[«أن كوارك القمة هو سادس الكواركات وآخرها على الأغلب». «فالمادة تتكون من جزيئات مكونة بدورها من ذرات. وتتكون الذرة من نواة تحيط بها غيمة من الالكترونات. أما النواة فتتكون من بروتونات ونترونات». «ويتركب البروتون مثلاً من كواركين-فوق. وكوارك - تحت، أمّا النترون فيتركب من كوارك - فوق وكواركين تحت». «وخلافاً لما هي الحال في البروتونات والنترونات، فإن الالكترونات جسيمات أساسية على ما يبدو. وهي في الواقع تنتمي إلى فصيلة أخرى مما يسمى بالجسيمات الأولية (elementary particls) تعرف باسم الليبتونات Liptons. وهناك ست نكهات لليبتونات أيضاً:[*] الالكترون Electron والميون Muon والجسيم تاو Tau ونترينو الالكترون Electron neutrino ونترينو الميون، ونترينو التاو»][1].

وتتابع ٱلفيزيآء فى توصيفها لجسيدات ٱلمادة بقولها:

«أن الكواركات الأكثر خفة [الكوارك الفوقي، والكوارك التحتي] تُكوّن البروتونات والنترونات المعروفة، كما أنّها تكوّن مع الإلكترونات الجدول الدوري بأكمله. أمّا الكواركات الأثقل [الكوارك البديع (الرقية) والغريب والقمة والقاعدة] والليبتونات فهي وإن كانت قد وجدت بكثرة في اللحظات الأولى التى تلت الانفجار الأعظم فإنها لا تنتج الآن إلاّ في المسّرعات»[2].

وفى هذا ٱلوصف لجسيدات ٱلمادة ٱلأساسية نجد ست كواركات وست ليبتونات. أىَ أن ٱلجسيدات ٱلأساس ١٢ جسيداً.

ولننظر فى النبإ ٱلتالى:

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ٣٦ ٱلتوبة.

(*) ٱلكواركات ستة أيضاً (ٱلفوقي وٱلتحتى ٱلبديع وٱلغريب وٱلقاعدة وٱلقمة).

(١) «اكتشاف كوارك القمة» (م.ع.أ مجلد ١٤ العدد ٥ - ١٩٩٨).

(٢) «اكتشاف كوارك القمة» (م.ع.أ مجلد ١٤ ٱلعدد ٥ - ١٩٩٨).

ٱلعدّةُ تشير إلى ٱلمقدار وٱلاستعداد (ٱلتهيؤ ٱلكمى).

وٱلشهر من شَهَرَ ودليله فىَ أعلن وأذاع وأظهر. وٱلشَّهرُ هو ٱلشىء ٱلمعلن وٱلمُذاع. وهو جزء من ٱلسنة يعرف من حركة ٱلقمر وميول محور ٱلأرض عن ٱلشمس.

وكتاب ٱللَّه ٱلحقّ هو ٱلكون وفيه جميع كلمات ٱلحقّ. من ٱلبداية إلى ٱلنهاية. وٱلقرءان ٱلمنزل على قلب رسوله محمد هو كتابه ٱلذى يمثل ٱلقول ٱلعربى ٱلمبين ٱلمبلّغ عن كتابه ٱلحقّ.

وما أرىٰه فى هذا ٱلنبإ أنّ عدّة ٱلشهور. ٱلتى تشير إلى مقدار وٱستعداد وتهيؤ للإعلان. جرى وصفهآ أثنآء خلق (تصميم) ٱللَّه للسمٰوٰت وٱلأرض وقبل تسوية هذا ٱلخلق. وهذه ٱلعدّة هى ٱلاثنا عشر شهراً. وهذا يطابق وصف ٱلفيزيآء لعدد جسيدات ٱلمادة ٱلأساس. كما يطابق عدد كتب (حروف) ٱلقول «عليها تسعة عشر».

من هذه ٱلشهور «أربعة حُرُم» أى محمية وممتنعة. وقالت ٱلفيزيآء عن كواركات أربعة أن ظهورها فى ٱلمسرعات يتطلب طاقة عالية.

لهذا ٱلنبإ تأويلان:

ٱلأول: أن ٱلشهر جزء من ٱلسنة على ٱلأرض ومنهآ أربعة حُرُم. ثلاثة متوالية هى ذو ٱلقعدة وذو ٱلحجة ومحرّم. وواحد فرد وهو رجب.

وٱلتأويل ٱلثانى: أن ٱلشهر مهيّأ للدخول مع غيره من ٱلشهور فى تكوين ٱلمادة بعد أن يأتيه ٱلأمر على هيئة طاقة حفّازة.

ورأى ٱلفيزيآئيون أن ٱلكواركات (ٱلبديع وٱلغريب وٱلقاعدة) كانوا قد ظهروا فى ٱلمسرّعات على ٱلتوالى وبطاقات عالية. أما ٱلكوارك ٱلرابع وهو كوارك ٱلقمة فقد تطلب ظهوره فى ٱلمسّرع **[تركيز طاقة هائلة في حيز دقيق]**[1].

---

(١) «اكتشاف كوارك القمة».

وفى هذا ٱلوصف ٱلفيزيآئى ما يطابق ٱلنبأ فى ٱلقرءان. فٱلأشهر ٱلحرم فى ٱلسنة ٱلقمرية أربعة. ثلاثة متوالية وواحد فرد.

كذلك هو حال ظهور ٱلكواركات فى ٱلمسّرعات. فهىَ أربعة. ثلاثة متوالية ٱلظهور وواحد فرد.

وٱلشىء ٱلذى يقوّى ما رأيته فى ٱلبلاغ (٣٦ ٱلتوبة) أنّ سورة ٱلتوبة هى ٱلسورة ٱلوحيدة فى ٱلقرءان ٱلتى لا يعلوها ٱلقول ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. وأنّ ٱلنّبأ فى ٱلبلاغ ٣٦ ٱلتوبة يضم معلومة تسبق ٱلتسوية للوجود ٱلمادى.

وهذه ٱلمعلومة تبين لى عدة ٱلكواركات (ٱلشهور) ٱلتى سيطلب إليهآ أن تبنى ٱلكون جميعه.

وهذا يبين مسألة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ٱلتى تتكون من ١٩ كتاب وٱلتى تمثل ٱلأمر ٱلحفّاز لهذه ٱلكواركات للبدء بتسوية مناهجها ٱلتى تكوّن ذاكرتها وهدايتها.

وسورة ٱلفاتحة تمثل أوّل تكوين كامل لها.

بسم ٱلباء واسطة (حرف جر).

و«سم» تحديد وتعليم لوجهة ٱستعمال ٱلواسطة (ٱسم مجرور).

وحسب قواعد ٱللّغة ٱلفصحى فٱلجار وٱلمجرور متعلقان بفعلِ أمرٍ تقديره: ٱبدأ أو ٱفتتح Start.

وٱلرحمٰن ٱسم مطلق للرّحم. وهو على وزن فعلان. وهو وزن ٱلصفات ٱلمطلقة ٱلحفّازة. مثل شبعان وجوعان وعطشان وحيوان وموتان الخ.. فهو ٱسم يدل على مطلق ٱلتوليد وٱلتطور.

أما ٱلرحيم فهو ٱسم للرّحم ٱلمقيّد على وزن فعيل. وهو وزن ٱلصفات ٱلمقيّدة وفيها دليل ٱلكبح وٱلتوقيف تدلّ عليه ٱليود ٱلحاملة لمنهاج (ٱليآء ٱلمنقوطة).

بين ٱلصفتين تناقض (مطلق ومقيّد) يبيّنه تناقض (ٱلصف وٱلزجر) فى سورة ٱلصافات.

لقد وجدت عند ٱلفيزيآئيين وصفًا لبنية ٱلمادّة ٱلأساس ولتكوّن ٱلنوى ولعلاقة ٱلهيئة بٱلعدد ٱلسحرى ٱلمشوّه (٣٨). وللزاوية ٱلمتعلقة بٱلأثر ٱلذى يتركه قارب يمخر ٱلمآء. ولقوانين ٱلهندسة ٱلمتعلقة بمسافة جسم عن عين ناظرة إليه. وعلاقة ذلك كلّه بالعدد (١٩).

كمآ أنّ «التعبير المنطقى الرياضى» يقوم على علاقة حصرية للعددين ١٩ و٢٩.

إلآ أننى لم أجد تفسيرًا لهذه ٱلعلاقة. كمآ أننى لم اقدم مثل هذا ٱلتفسير ٱلمطلوب. وجلّ ما قمت به هو ٱلمقابلة بين ٱلأنبآء فى ٱلقرءان ٱلتى رأيت منها ما يوازى ٱلنبأ فى ٱلفيزيآء وصفيًا.

هناك تناقض فى وصف ٱلفيزيآء للجسيدات. فهى تقول عنها «أنها لا تنتج إلآ في المسّرعات». فى حين أنه يجرى تصادم جسيدى فى هذه ٱلمسرعات بطاقات عالية تدفع هذه ٱلجسيدات للتفكك كاشفة عن محتوياتها ٱلتى «وجدت بكثرة في اللحظات الأولى التى تلت الانفجار الأعظم»[1].

ولما كنت لآ أناصر مسألة ٱلانفجار ٱلأعظم وأقول أن هناك فجرًا وما زال ٱلفجر ينبع بهذه ٱلجسيدات. فإننىَ أقول أن هذه ٱلجسيدات ما زال تدفقها على شدّته حتى ٱليوم.

لقد جآء ٱلنبأ فى ٱلقرءان واصفًا لنا هذه ٱلجسيدات:

﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا / ١/ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا / ٢/ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا / ٣/﴾ ٱلصَّآفَّات.

فٱلجسيدات لونان (صآفّات) وهى ما دلّ عليه فى ٱلقرءان بٱسم ٱلشهور ٱلـ ١٢. و(ٱلزاجرات) وهى ما دلَّ عليه فى ٱلقرءان بٱلعدد «عليها تسعة عشر».

---

(١) «أكتشاف كوارك القمة».

لقد قسم ٱلفيزيآئيون ٱلجسيدات إلى لونين أصليين:

ٱلأول ٱلفيرميونات[١] Fermions (ٱلليبتونات وٱلكواركات) وعددها ١٢ جسيداً. وهذا يقابله فى ٱلقرءان ٱسم ٱلشهور وهى (ٱلصافات).

وٱلثانى ٱلبوزونات Bosons وهى جسيدات وسيطة قوى ٱلتفاعل وعددها ١٨.[٢] يقابلها فى ٱلقرءان ٱسم (ٱلزاجرات). وأجد فى ٱلبوزونات ٱلثمانية عشر أنها تنقص بوزونًا حتى تكون مطابقة لعدد ٱلقوى فى ٱلقرءان «عليها تسعة عشر». وهو ما تمثله ءاية ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ٱلأمر ٱلحفّاز للصافات من أجل ٱلترابط. وٱلصافات ٱلـ ١٢ تبقى من دون أىّ علاقة ترابط حتى يأتيها ٱلأمر ٱلحفّاز على هيئة طاقة من ٱلخارج. وهو ما تقوم به ٱلزاجرات ٱلـ ١٩. وهذا هو حال كل ٱلتفاعلات حيث تبقى فى وضع ٱلعطالة حتى تأتيها طاقة حفّازة من ٱلخارج.

يقول «ديتفورث» معللا ٱلعطالة ٱلتفاعلية :

[«لو كان الصدأ ينخر الحديد خلال ثوانٍ وكان الأوكسجين يتحد مع الهدروجين فى كل الأحوال وبدون مدِّهما بالطاقة، ولو كانت العناصر الكيميائية والجزيئات الموجودة تتفاعل مع بعضها البعض في كل لحظة بدون أية عوائق، لعمّت سطح الأرض الفوضى الكيميائية الشاملة». «على العكس من ذلك لو سيطر الخمول التفاعلي الكامل، أي لو تألف العالم من «العناصر الكريمة» فقط لكان عالماً لا يخضع للتغيرات ولا يمتلك القدرة على التطور»][٣].

ٱسم (ٱلرحمٰن) هو ٱلمتحكم فى جميع ٱلتكوينات ٱلمادية ٱلحيّة من ٱلبداية إلى ٱلنهاية. وهو ما بينه ٱلبلاغ:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ٥ طه.

---

(١) «هل ٱلطبيعة فائقة التناظر؟» (م.ع.أ. مجلد ٣ العدد ٦ - ١٩٨٧).

(٢) ٱلمرجع ٱلسابق.

(٣) تاريخ النشوء - ديتفورث ص ١٠٤.

هذا ٱلاستوآء حصرى لاسم ٱلرحمٰن. ولا يشاركه ٱسم أخر فى ذلك. وهو يمثل ٱلأمر ٱلطاقى ذاته «تسعة عشر». فى حين يمثل ٱسم ٱلرحيم سمة ٱلعطالة ٱلتفاعلية فى ٱلصافات.

وفى ٱلأمر ٱلتالى يبين لنآ أن ٱللّه يملك وحده ٱلأسمآء ٱلحسنى. وهىَ أسمآء مواصفات ٱلخلق وٱلصنع وٱلإتقان وٱلجمال ٱلكاملة ٱلجيدة. وهى صفات خَلقه وصُنعه وحده:

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ ١١٠ ٱلاسرآء.

دعوَ بٱلشىء دعوًا ودعوةً ودعآءً ودعوى. طلب ٱحضاره وٱحتاج إليه وٱستعان به «رغب إليه». [١]

ووجهة ٱلإنسان فى ٱلحياة كيفما كانت أمامه ٱللّه من خلال سمات فعله فى ٱلوجود بكل ألوانه. فهو ٱلرحمٰن لمن يبحث فى علوم ٱلنشوء وٱلتطور ٱلحىّ. وهو ٱلحى ٱلقيوم لمن يبحث فى علوم ٱلحياة وٱلموت. وهو ٱلكبير ٱلمتعال لمن يفكر فى ٱلسلطة وٱلتكبّر وٱلعظمة. وهو ٱلملك ٱلحق لمن يفكر ويبحث عن ٱلملك وٱلتسلط الخ.. ويبيّن ذلك ٱلبلاغ:

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ ١١٥ ٱلبقرة.

وعليه فإن توجهات ٱلبحث ٱلعلمى يجب أن تنطلق فى وجهة ٱلسمة ٱلحسنى ٱلمناسبة لمسألة ٱلبحث علىَ أنها سمة ٱلفعل ٱلإلهى.

وٱلإنسان ٱلباحث عندما يؤمن بوحدانية ٱلخالق يستطيع أن يدعوه بٱلأسمآء ٱلحسنى لأنها تمثل سمات أفعاله وصنعه.

وعليه أن يعلم أنه لا يستطيع أن يبلغ هذه ٱلسمات. وكل من يحاول أن يتخذ لنفسه ولما يصنعه هذه ٱلسمات يوقع فى ظلم نفسه وظلم ٱلمكان (ٱلبيئة) وظلم ٱلناس.

---

(١) المعجم الوسيط.

إذا عدنآ إلى سورة ٱلفاتحة ٱلتى تحتوى على ست ءايات تعلوهآ ءاية ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وهى معها فى وحدة ٱلسورة. ووازنا سورة ٱلفاتحة بسورة ٱلهدروجين (وهى سورة ٱلمآء ومنها كلّ شىء حىّ) ٱلتى تتكون من بروتون أساسه ٱلجسيدى ثلاثة كواركات وثلاثة بوزونات. فإنّ هذه ٱلكواركات وٱلبوزونات ٱلستّ كل منها يقابل ءاية فى سورة ٱلفاتحة ٱلتى يعلوها ٱلأمر ٱلحفّاز ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

وأرى فى سورة ٱلهدروجين أنّ «ٱلإلكترون» هو ٱلذى يقابل الأمر الحفّاز ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. وأنّ «ٱلإلكترون» هو ٱلذى قالت عنه ٱلفيزيآء «إنه جسيم أساسي على ما يبدو».[1]

إلآ أن صعوبة تعترضنى فى مقارنة «ٱلإلكترون» بٱلأمر ٱلحفّاز ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لأن ٱلأمر مكون من ١٩ كتاب. وحتى يكون «ٱلإلكترون» هو ٱلمقابل للأمر ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يجب أن يكون مكونًا من ١٩ جسيد من لون ٱلبوزونات (وسيطة قوى ٱلتفاعل). أوَ أن يكون ٱلبوزون ٱلتاسع عشر ٱلذىَ أشرت إلى نقصه سابقًا.

وهنا تعترضنى كذلك مسألة جديدة تتعلق بعدد ٱلجسيدات ٱلأساس وخصوصًا ٱلليبتونات ٱلتى يصنّف ٱلإلكترون علىَ أنه منها.

وٱلذى يجعلنى أثير هذه ٱلمسألة أن ٱلفيزيآء لم تقطع فى وصفها لـ ٱلإلكترون فى قولها عنه «**أنه جسيم أساسي على ما يبدو**». وأنها وجدت أنّ عدد ٱلكواركات هو ١٢ (ستة وستة مضادة). أو ستة ذكور وستة إناث. وهذه ٱلكواركات بلونيها هى ٱلتىَ أرىَ أنها عدّة ٱلشهور كما بين بلاغ ٱلقرءان وليس كما تقول ٱلفيزيآء ٱلليبتونات وٱلفيرميونات.

وما يقوّىَ إثارتى لذلك أن ٱللَّه أنبأ أن ٱلجسيدات ٱلأساس (ٱلشهور) عددها

---

(١) «اكتشاف كوارك القمة».

١٢ «ٱثْنَا عَشَرَ شَهرًا». وأن عدد ٱلقوى وسيطة ٱلتفاعل عددها ١٩ «عليها تسعة عشر».

من هذه ٱلمقابلة بين ٱسم ٱلعدّة وٱلقوى فى ٱلقرءان وفى ٱلفيزيآء أجد أن ٱلاختلاف بينهما قآئم فى ٱلّسان ٱلمبلِّغ. وٱلسبب أن قوم ٱلرسول ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾.

وأرىَ أنّ ٱلنّفع ٱلحاصل من هذه ٱلمقابلة هو فى متابعة ٱلتوجه للنظر فى كتاب ٱللّه ٱلكونى وتوجيه ٱلأمر فيه بنور ٱلبلاغ فى ٱلقرءان.

وفى عودتنآ إلى سورة ٱلفاتحة يتبين أنهآ أول سورة فى ٱلوجود نجمت عن ترابط ٱلجسيدات ٱلـ ١٢ وكانت هى ٱلسُّورة ٱلتى تمثل (ٱلشفع وٱلوتر) وهى ما تمثله سورة ٱلهدروجين فى ٱلفيزيآء.

وإذا عدنا إلى دليل كلمة ذرة فى ٱلألسن ٱلشامية نجد أنه أصل يدل على ٱلنثر وٱلبذر وٱلنسل!.

وسورة ٱلفاتحة ٱلتى تمثل (ٱلشفع وٱلوتر) هى ٱلبذرة ٱلأولى لجميع ٱلتكوينات ٱلحيّة ٱللاحقة على بنآء ٱلسُّورة ٱلأولى.

إذا كانت ٱلسُّورة أو حتى ٱلأجزآء ٱلتى تتكون منها (ٱلبروتون أو ٱلكترون) لا تحتوى هذه ٱلجسيدات فمن أين جآءت ٱلجسيدات داخل ٱلمسّرعات؟

ٱلجسيدات ٱلأساس «ٱثْنَا عَشَرَ». وهى ٱلتى تمثل ٱلعدّة ٱلكاملة للوجود ٱلمادى. وهى ٱلتى جآء ٱسمها فى ٱلقرءان «ٱثْنَا عَشَرَ شَهرًا» وأفعالها هى «ٱلصافات». وهى موجودة حرة طليقة عند ٱلفجر. وأن تفعيل ذاكرتها (ٱلهداية) يلزمه حفز تقوم به «ٱلزاجرات» ٱلـ «تسعة عشر».

وبتفعيل ٱلذاكرة تقوم ٱلصافات بٱلترابط حتى تصبح غير موجودة للناظر إلاّ فى مكانين:

ٱلفجر.

وفى ٱلمسّرعات.

وهذا هو ٱلأمر ٱلمنطقى. لأنها لو كانت حرّة فى كل مكان لما وُجدنا نحن لنقوم بٱلنظر إليها.

وفى ٱختفآئها عبر ٱلترابط تكوّنت ٱلسُّورة وٱلجزيئات وٱلكواكب ومنهآ أرضنا ٱلتى نبتنا منها.

وأستطيع ٱلقول أن ٱلسُّوَر (ٱلعناصر) ٱلواردة فى تصنيف ٱلسُّوَر (ٱلجدول ٱلدورى) تتكون جميعها من ٱلسُّورة ٱلأولى (ٱلفاتحة) وهى ليست فى ٱلأصل إلا جزيئات. وأن (ٱلفاتحة) هى ٱلسُّورة ٱلوحيدة فى ٱلوجود ٱلتى تكوّن منها ٱلوجود ٱلظاهر جميعه.

أسمآء ٱلسُّوَر فى ٱلقرءان مثلها مثل ٱلأسمآء ٱلأخرى هى كلمات شامية ٱللِّسان عربية ٱلبيان. فٱلسورة ٱلتى تلى ٱلفاتحة فى تسلسل ٱلقرءان تحمل ٱسم (ٱلبقرة) ٱلذى يشير ٱسمهآ إلى ٱلتوسع وٱلإكثار وٱلإفاضة.

فٱلفاتحة بعد تكونها من (شفع ووتر) ومن ٱستمرار فعل ٱلأمر ٱلحفّاز تبدأ أفعال ترابط جديدة بين ٱلسُّور ٱلأولى فتتكوّن (٢٨٦) ءاية (رابطة جزيئية). وهو ما تمثله سورة ٱلبقرة. وهذه ٱلروابط ٱلجديدة يجرى تحفيزها هى ٱلأخرى فتتكوّن (٢٠٠) ءاية (رابطة جزيئية) وهو ما تمثله ٱلسورة ٱلثالثة ءال عمرٰن. ٱلتى يشير ٱسمها إلى سلسلة ٱلبنآء وٱلتحكم فيه.

ثم يأتى دور ٱلسُّورة ٱلرابعة ٱلنسآء. وفيها دليل ٱلاستمهال وٱنتظار فعاليات ٱلتطور فى ٱلبنآء وٱلتباعد فى ٱلألوان. وعدد روابطها (١٧٦) ءاية.

ثم يبدأ تكوين ٱلسُّورة ٱلخامسة ٱلمآئدة ٱلتى تمثل ٱلحركة وٱلاضطراب ٱلجيولوجى ٱلذى ينشأ عنه ٱلميدان وطبقات ٱلأرض وءاياتها (١٢٠).

ثم يأتى دور ٱلسُّورة ٱلسادسة ٱلأنعام ٱلذى يشير ٱسمهآ إلى ٱلنضارة وٱلليونة وٱلمادة ٱلحيّة وعدد ءاياتها (١٦٥).

وهنآ أجد تفسيرًا للأيام ٱلستة ٱلتى بدأ بعدها ٱلتطور ٱلكبير فى ٱلمادة ٱلحيّة. وعن ذلك جآء فى ٱلبلاغ:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ / ٩/ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ / ١٠/ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ / ١١/﴾ فُصّلت.

وأرى ٱلأرض فى هذا ٱلنبإ وٱضطراباتها ٱلجيولوجية ومنها ٱلبراكين ٱلتى كونت غلافًا دخانيًا حولها. وٱليوم عندنا ٢٤ ساعة وعند ٱللَّه يكيّل بمكيال نسبى هو ألف سنة فيما يتعلق بتدبير ٱلأمر:

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٥ ٱلسجدة.

وخمسون ألف سنة فى ٱلمنعطفات ٱلحادة (ٱلزلازل وٱلهزات):

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٤ ٱلمعارج.

فٱلأيام ٱلستـة قد يكون ٱليوم منها مليون سنة أو مليار سنة كما هو حساب ٱلسنين ٱلضوئية.

وأرى فى ٱلنبـإ أنّ ٱلمادة ٱلحيّة بدأت أفعالا جديدة منها فصل ٱلأوكسجين وإطلاقه دخانًا فى ٱلجو. فقد جآء فى ٱلبلاغ:

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ ١٢ فُصّلت.

وفى هذا ٱلبلاغ أنّ قميص ٱلأرض (غلافها ٱلجوى) قد كمل. وأنّ ٱلأيام ٱلستة قد ٱنتهت.

ثـم يأتى دور ٱلسورة ٱلسابعة ٱلأعراف. ٱلذى يشير أسمهآ إلى ٱلملامح وتحـديد ألوان ٱلأشيآء وميزاتها وعلامات فيها. مثل ٱللون وٱلرآئحة وفعل ٱلحس ٱلحىّ وءاياتها (٢٠٦).

ثم يأتى دور ٱلسورة ٱلثامنة ٱلأنفال ٱلذى يشير أسمهآ إلى ٱلعطآء وٱلزيادة وٱلكسب وءاياتها (٧٥).

وبين ٱلسورة ٱلسادسة وٱلثامنة يومان تكونت فيهما ٱلسمآء ٱلدنيّا بفعل ٱلمادة ٱلحيّة.

ٱلأمر ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يعلو ٱلسُّوَر ٱلثمانية من ٱلفاتحة حتى ٱلأنفال. وهذا يدلّ أنّ أحداث ٱلتكوين جرت وفق سمة ٱلرحمٰن ٱلحفّازة وٱلمتحكمة بجميع فعاليات ٱلتكوين وٱلتطور ٱلحىّ.

أمّا ٱلارتقآء بفعل ٱلنفس إلى مرتبة ٱلروح فليس من سلطة سمة ٱلرحمٰن ٱلذى وصل بٱلمادة ٱلحيّة إلى طور بشر. وأنّ ٱلارتقآء بٱلبشر إلى ٱلإدراك وٱلعقل يحتاج إلى تدخل ٱللَّه وهو ٱسم لنور ٱلسّمٰوٰت وٱلأرض. وهذا ما يبينه ٱلبلاغ:

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ ٧٢ ص.

فٱلارتقآء بٱلبشر إلى طور ٱلادراك وٱلعقل جرى بإدخال منهاج من ٱللَّه إلى ٱلذاكرة ٱلرحمانية. وهذا من خارج سلم ٱلتطور ٱلرحمانى. ولا يمكن بلوغه من دون هذا ٱلتدخل ٱلإلٰهى وٱلذى يمكن للإنسان ٱلصالح أن يفعله لاحقًا.[١]

وعندما نوصل إلى ٱلسورة ٱلتاسعة ٱلتوبة. ٱلتى يشير ٱسمهآ إلى ٱلطاعة وٱلتحكم بٱلسلوك بقوّة وعى وموقف حرّ يتولد عن فعل ٱلرّوح. لا نجد ٱلأمر ٱلحفّاز ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يعلو هذه ٱلسورة.

كما نجد أن ما تحتويه ٱلسورة لا يمثل أنبآء رحمانية. بل هناك تعليمات عن ٱلمعاهدات وٱلقتال وإخلآء سبيل من تاب ودرجات ٱلمؤمنين وفوزهم ومنع ٱتخاذ ٱلأبآء ٱلكافرين أوليآء الخ..

وكل ذلك ليس من سمات ٱلتوالد وٱلتطور ٱلمادى. وجميعها تمثل معلومات للتحكم فىَ أفعال وأعمال وعلاقات ٱلإنسان. ونجد فى هذه ٱلسورة أن ٱلأية

(١) راجع مقالنا كسب المعلومات من هذا الكتاب.

(٣٦) ٱلمتعلقة بعدّة ٱلشهور لا تخبرنا عن تكوين أو تطور ولكنها تقدم لنا معلومات عن عدّة ٱلجسيدات ٱلأساس (ٱلشهور) قبل جرى ٱلتسوية ٱلرحمانية وٱلتى يلزمها عند ٱلبدء بٱلتسوية ٱلأمر ٱلحفّاز ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

كما نجد فىَ أخر هذه ٱلسورة ءاية مكيّة جآء فيها:

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ١٢٩ ٱلتوبة.

﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ هو صاحب ٱلأمر ٱلكبير ٱلفاخر وهو ما يمثله ٱلأمر بٱلروح. وهو وصف يفرق عما جآء فى بلاغ أخر:

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ ١١٦ ٱلمؤمنون.

فـ ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ هو صاحب ٱلأمر ٱلتامّ ٱلسوىّ ٱلذى لا نقص ولا زيادة فيه. وهو ما يدلّ عليه ٱسم كريم. وهو ٱلذى يمثله ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وفيه سلطة ٱسم ٱلرحمٰن.

فى ٱلبلاغ (١١٦ المؤمنون) نبأ عن ٱلمالك وٱلسيد ٱلحقّ لصاحب ٱلأمر ٱلتام ٱلذى هو ٱللّه. سوآء أعلم ٱلناس بذلك أم لم يعلموه.

وفى ٱلبلاغ (١٢٩ ٱلتوبة) إقرار عاقل مؤمن يتوجه إلى ٱللّه عن وعى وإرادة.

ولوَ أن ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ كانت من سلطة ٱلرحمٰن لوجدنا ٱلكثير من ٱلكآئنات ٱلحية ٱلراقية ٱلنشأة بل جميعها قد وصلت بتطورها ٱلذاتى ٱلرحمانى إلى ٱلروح وٱلأنسنة.

إن سور ٱلقرءان ١١٤ سورة. وسورة ٱلتوبة وحدها من بين هذا ٱلعدد لا تعلوهآ ءاية ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. وٱسم ٱلرحمٰن يفعل فى ٱلوجود ٱلحىّ من عدّته إلى نهاية ٱلتكوين بٱستثنآء ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾. لأن سلطة ٱسم

ٱلرحمٰن قآئمة فى كلمات ٱللَّه ٱلحية ٱلتى لا مبدل لها وفعلها فيها هو عين ٱلتشيؤ ٱلوجودى ٱلحىّ.

وأورد أمثلة عن ٱلتدخل ٱلمباشر للَّه:

﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ ١٢ ٱلأنفال.

﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ ١٧ ٱلأنفال.

فى ٱلبلاغين نبأ عن تدخل مباشر من قبل ٱللَّه فى ٱلقتال لصالح ٱلمؤمنين. وفيه كشف عن وسيلة ٱلتدخل بواسطة ٱلملاآئكة. وهذا يبين لنا وسيلة تدخله بٱلنسبة لـ ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾.

وقبل نهاية ٱلمقال أريد أن أذكّر ببعض ما جآء من إحصآء عند ٱلدكتور محمد رشاد خليفة يتعلق بٱلعدد ١٩:

عدد كتب (حروف) ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ١٩.

عدد سور ٱلقرءان ١١٤ = ٦×١٩.

تكررت ءاية ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ١١٤ مرّة ٦×١٩ (ٱثنتان فى سورة ٱلنحل).

وردت كلمة ٱلدنيا ١١٤ مرة.

وردت كلمة ٱلأخرة ١١٤ مرة.

وردت كلمة ٱلصّراط ٣٨ =١٩×٢.

وردت كلمة ٱللَّه ٢٦٩٨ = ١٤٢×١٩.

وردت كلمة رب ١٥٢ = ١٩×٨.

وردت كلمة ٱلحقّ ٢٢٨ = ١٢×١٩ . وهو جميع ٱلحقّ فى ٱلتكوين ١٢ شهرًا وعليها تسعة عشر).

وردت عبارة عمل صالحًا ١٩ مرة.[١]

(١) عن كتاب إنذار من السماء تأليف نيازي عز الدين.

كلمة أخيرة

كان ٱلدافع ورآء هذا ٱلتناول لدليل ٱسم بعض سور ٱلقرءان للتذكير بمفهوم ٱلكلمة (ٱلمصطلح) فى ٱلقرءان. وقد رأيت فى كلامه ما يمثل مصطلحًا حقًّا فى ٱلعلم بلسان عربىّ.

وقد ٱرتبط هذا ٱلدافع بمسألة ٱلبحث عن ٱلنشأة ٱلأولى وٱلعلم بها كما جآءنا به ٱلبلاغ من اللّٰه.

وما كان هذا ٱلدافع ليتحقق إلاّ من ٱلأفعال ٱلجارية فى ٱلبحث ٱلعلمى ٱلذىَ أرىَ أنّه يمثل طاعة للأمر ٱلإلـٰهى ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾.

وما مقابلتى وعقلى بين بلاغ ٱلقرءان وبلاغ ٱلفيزيآء وتسليطى ٱلنور على ٱلعدد ١٩ ومعه ٱلعدد ٢٩ فى ٱلمكانين إلاّ لغاية إثارة ٱلبحث وتسليط ٱلنور على هذين ٱلعددين وعلاقتهما بٱلنشأة ٱلأولى. وهى ٱلتى تناولناها فى بحث ٱلنشأة ٱلأولى فى هذا ٱلكتاب.

هذا من وجهة.

أما ٱلوجهة ٱلثانية فلغاية إسقاط ٱلنظرة ٱلخرافية ٱلسآئدة فى عقول ٱلباحثين عن كتاب ٱللّٰه.

وأقول عن نفسى فى نهاية هذا ٱلكتاب أننى لآ أدّعىَ أن ما عرضته هو ٱلفهم ٱلنهآئى لكتاب ٱللّٰه. بل هو محاولة قد تتكرر إذا شآء ٱللّٰه.

وأجد أنه من حقّىَ أن أقول من دون أن أطلب من أحدٍ ٱلإتباع.

كذلك لست أدّعى لنفسى ٱلعلم ٱلفيزيآئى أو ٱلبيولوجى أو ٱلكوسمولوجى ٱلذى ظهر بعضه فى بحوث هذا ٱلكتاب. وأرجو أن يكون ما ظهر منه لا يخالف ما جآء فى هذه ٱلعلوم.

لقد كانت موازنتى بين ما كشف عنه ٱلعلم ٱلإنسانى فى ٱلوجود مع بلاغ ٱلكتاب تنطلق من إيمانىَ أن ٱللَّه عليم وأن كتابه يجب أن يحتوى جميع ٱلعلم. وأن ٱكتشافات ٱلعلمآء محدودة بٱلعلم فى كتاب ٱللَّه ٱلذىَ أنبأنا عن مقداره:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥ ٱلاسرآء.

وأن ٱكتشافات ٱلعلمآء هى تأويل للنبإِ ٱلتالى:

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ ٨٨ ص.

ومآ أمر ٱللَّه لنا:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

إلاّ هداية لنآ إلى ٱللَّه ٱلعليم بوسيلة ما نكتشفه من سنن «كيف بدأ ٱلخلق» وموازنته مع بلاغه لنعلم أن ٱللَّه عليم وأنه هو ٱلذى خلق هذا ٱلذى نكتشفه ونحن منه كما يبين ٱلبلاغ:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ لصافات.

تمَّ هذا ٱلكتاب يوم ٱلأحد ١٤-٣-١٩٩٩.

ٱلكلمةُ

ٱلكينونةُ وٱلبلاغُ وٱلدليلُ وٱلموقفُ

بحث فى ٱلنبإِ ٱلمقارن مع بلاغ ٱلبحث ٱلعلمىّ

ٱلإهدآء

أوجّه كتابى هذآ إلى جميع ٱلعاملـين فى حقول ٱلبحث ٱلعلمىّ. وفيه أتناول ٱلكلمة ٱلحقّ ٱلّتى جآء فى ٱلنبـإ عنها:

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ ١٠٩ ٱلكهف.

كما يتناول كلمة ٱلبلاغ:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢٧ لقمان.

ومن ٱلبلاغين يتبين أنَّ ٱلكلمة ٱلتى نبلّغ بها عن ٱلحقِّ تفوق كلمة ٱلحقِّ سبعة أضعاف. لأن كلمتنا نحن عن ٱلحقِّ ليست ٱلحقَّ. بل هى صورة له فى كلِّ طُور من أطوار علمنا. وهى صورة تشبه كلمة ٱلحقِّ فى كل طُور علمى.

لقد ٱكتشف «أينشتاين» بنظره هذا ٱلفرق بين ٱلصورة وٱلحقِّ. وأطلق عليه ٱسم «ٱلنسبيَّة».

وكان ٱلبلاغ ٱلعربى (ٱلقرءان) قد جآء بٱلاسم «متشابه» عن هذا ٱلفرق.

ٱلشىء ٱلحقُّ متغير وٱلبلاغ عنه متشابه.



مدخل إلى ٱلبحث

موضوع هذا ٱلكتاب هو ٱلكلمة. من حيث هى حقّ ومن حيث هى بلاغ. وما تقدمه لنا ٱلقواميس وكتب ٱلميراث عن ٱلكلمة لا يكفى لإجرآء ٱلبحث. ولذلك كان أمامنا بحوث علمية مختلفة. وبٱلمقابل رتلت بلاغات من ٱلقرءان ٱحتوت على ٱلكلمة. وتوصلت إلىَ إدراك وجود كلمتين:

ٱلأولى هى ٱلَّتى يحقُّ وجود ٱلشَّىء بهآ. أى جعله حقًّا وجوديًّا محسوسًا. وقد جآء ٱلنبأ عن هذه ٱلكلمة:

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ ٨٢ يونس.

وٱلثانية هى ٱلكلمة ٱلَّتى ننطق أو نَخُطُّ ونُعرب بواسطتها عن أصل ٱلكلمة ٱلحقّ فى ٱلوجود.

وقد وجدت أن ٱلكلمة ٱلأولى لا يرتبط وجودها بوعينا. وأنَّ وجودنا ووجود وعينا هو بفعل هذه ٱلكلمة. وفعلها يجرى فى ساحة ٱلحقّ ٱلوجودى.

أمّا ٱلكلمة ٱلثانية فهى وسيلتنا لإدراك ٱلكلمة ٱلأولى (ٱلحقّ). ولها وجهة تكاد تماثلها. وهو ما يسمّى فى نظرية ٱلعلم بـ «ٱلنسبية».

كما لها وجهة تخالف ٱلكلمة ٱلحقّ وتوقعنا فى ٱلباطل.

ورأيت أن ٱلكلمة ٱلثانية (بلاغنا) تملك ٱلقدرة على ٱلفعل بذاتها حتى ولو كانت ٱلوجهة تخالف ٱلحقّ. وقد جآء فى ٱلنبأ عن هذه ٱلكلمة:

﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا / ٤/ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا / ٥/ ﴾ ٱلكهف.

﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾ هى ٱلكلمة ٱلَّتى ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ﴾. هذه ٱلكلمة «كَبُرَت». وهى تفعل فى بنآء أفكارهم وبها يتولد ٱلقول ٱلمخالف للحق. وهذا بفعل لزوم ٱمتناع ٱلتناقض ولزوم سير ٱلتكوين بمقدمات بنآئه.

بدأ نشؤ كلمتنا مع تحوّل ٱلبشر إلىَ إنسان بواسطة ٱلتدريب على توسيع ٱلنشاط ٱلفيزيآئىّ فىَ أقسام ٱلفؤاد ٱلَّذِى يجرى من خلال ٱستقبال ٱلمؤثرات ٱلخارجية عن طريق ٱلحواس ٱلرئيسة. هذا ٱلتدريب تواصل عبر أجيال من ٱلبشر حتى وصل إلى طُور ٱلخبرة ٱلذاتية. وقد قام بٱلتدريب خبرآء جآء ٱلنبأ عنهم على لسان قوم نوح ٱلَّذِين عارضوه ورفضوه:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ ٢٤ ٱلمؤمنون.

إن نشؤ كلمتنا تحقق بواسطة نفخ ٱلروح. وكان لكلمتنا منذ ٱلبداية علاقة وثيقة بٱلوجود بسبب نشأتها ٱلحسية.

وبفعل سنَّة ٱلاصطفآء ٱلَّتى تفعل فى ٱلوجود ٱلحقّ ٱمتد فعلهآ إلى كلمتنا ذاتها. وبذلك بدأ ٱلناس ينقسمون إلى مؤيدين ورافضين بعد أن ٱنقسمت ٱلكلمة إلى وجهتين:

ٱلأولى متشابهة تماثل ٱلحقّ فى تغيره وتطوره.

وٱلثانية ظنية تخالفه.

وكانت أول ثمار هذه ٱلسِّنَّة فى ٱلمملكة ٱلبشرية ٱرتقآء ءادم طليعة ٱلإنسان ٱلأدمىّ وتابع فعل ٱلاصطفآء فى هذه ٱلمملكة وما يزال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ٣٣ ءال عمران.

وسيبقىَ إلى نهاية ٱلوجود ٱلإنسانى.

أستمر ٱلناس فيَ أمة واحدة خلال فترة ٱلتدريب لكسب ٱلخبرة ٱلذاتية. أى خلال ٱلتدريب ٱلَّذِى جآء لأجله ٱلملآئكة. ولما بلغ ٱلتدريب حدًّا أصبحت فيه ٱلخبرة ٱلذاتية للإنسان قادرة على ٱتخاذ دور ٱلمدرب بدأ ٱلاختلاف بين ٱلناس ونشأ عنه تفرّق ٱلأمة ٱلواحدة إلىَ أمم مختلفة. وقد جآء فى ٱلنبإ عن ذلك:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٢١٣ ٱلبقرة.

وفيه أنّ ٱلناس ينقسمون إلى قسمين:

فريق يقبل ٱلنبأ ويلتزم به.

وفريق يرفضه ويقاومه.

وٱمتـدَّ ٱلرفض وٱلمقاومة فوصل إلى ٱلعدوان على ٱلفريق ٱلأول ٱلَّذِى ٱختار فيما بعد ٱلهجرة (بسبب قلة عدده) عن ٱلرافضين ٱلمعتدين. وحمل معه بذور تطور كلمة ٱلبلاغ وفعلها.

وبسبب ٱلاختلاف وٱلهجرة بدأ فعل ٱلاصطفآء فى ٱلمفاهيم وكلمات ٱلبلاغ. فتكوَّنت ألسن مختلفة تعود جميعهآ إلىَ أصل واحد يبدأ مع نفخ ٱلروح ويفترق من بعد بعث ٱلنبيين.

وهذا ما وجده علمآء ٱللِّسانيات بأعمالهم ٱلمقارنة لأصول ٱلكلمات ٱلَّتى تشترك فى تسلسل أبجديتها فى ألسن مختلفة.

فى هذا ٱلكتاب لآ أتناول ٱلألسن ٱلإنسانية على ٱختلافها. ولآ أجرى مقارنة بين كلماتها وتسلسل أبجديتها. فهذا من ٱلأعمال ٱلمقارنة. لكن أسعىَ إلى مقارنة ٱلكلمة سوآء ءكانت منطوقة أم مخطوطة. كما هى فى ٱللِّسان ٱلشَّامىّ ٱلَّذِى حمل ٱلوحى. أو كانت مصطفَّة وفق تسلسل فى كتاب ٱلوجود كما تبين بلاغات ٱلبحث ٱلعلمىّ. وأقارن ذلك مع ٱلنبإ فى ٱلقرءان.

ولقد رأيت أن لسان ٱلقرءان ٱلعربى يمثل صورة عن كتاب ٱلوجود ٱلحقّ. وهذا ما ستبينه ٱلفصول ٱلقادمة. كما توصلت بهذه ٱلمقارنة إلى ٱلقول أن لسان ٱلقرءان. وهو لسان شامى ٱلأصل. يتصل وجوده مع نشأته ٱلأولى من دون ٱنقطاع.

ولذلك رأيت أن أبدأ كتابى هذا بٱلتعرف على ميزات هذا ٱلِّسان ٱلَّذِى وكّد معظم ٱلناظرين فيه أنه ٱلأطول عمرًا وٱلأكثر مادة. وأن فهم بنآء ٱلكلمة فى هذا ٱلِّسان هو مفتاح فهم بنآء ٱلكلمة ٱلحقِّ.

ٱلكلمة ٱلشَّاميّة

يقوم بنآء ٱلكلمة فى ٱلألسن ٱلشَّاميّة علىَ أبجدية ثلاث. ويميز هذه ٱلألسن تعدد أصوات ٱلحلق (أ ع ح هـ) وأصوات ٱلإطباق (ق ط ص ض) وهىَ أصوات لا تعرفها غير ٱلألسن ٱلشَّامية.

وتبرز أهمية ٱلأصوات ٱلساكنة (ب ت ث ج.. الخ) فى هذه ٱلألسن وبها يقوم بنآء ٱلكلمة.

ومع هذه ٱلأصوات أصوات محمولة هى ٱلحركات. وأرى فى ٱلأصوات ٱلمحمولة (ٱلضم ٱلفتح ٱلكسر ٱلإشباع) أنها تتولى ٱلقيام بفعل ٱلتطور. أى توجه ٱلدليل ٱلأساس للكلمة إلى بنآء ودليل جديدين.

ويشارك فى فعل ٱلتطور زيادة أبجدية علىَ أصل ٱلبنآء سوآء ءكانت ٱلزيادة فىَ أول ٱلكلمة أم فى وسطهآ أم فىَ أَخرها. فكلمة (كَتَبَ) يتعلق دليلها بٱلأبجدية ٱلساكنة (ك ت ب). أمّا تطور ٱلكلمة فيبيّنه ٱلمثل ٱلتالى:

تطور بواسطة ٱلأصوات ٱلمحمولة كما فى (كَتَبَ كُتِبَ كُتُب).

تطور بواسطة ٱلأصوات ٱلمحمولة وزيادة فى عدَّة ٱلبنآء ٱلأساس كما فى (كَتَبَت كَتَبا كَتَبواْ كَتَبنَ أَكتُبُ يَكتُبُ كاتَبَ ٱستَكتَبَ تَكَتَّبَ الخ..).

وسبب كثرة ٱلأصوات ٱلساكنة فى ٱلألسن ٱلشَّامية كونها تكوِّن عدَّة ٱلبنآء ٱلأساس للكلمة. وأرىَ أن وسيلتى ٱلتطور تسبب وجود كلمات عديدة جميعها تشترك بأصل واحد ودليل أساس.

منذ بداية ٱلاختلاف بين ٱلناس وبداية فعل ٱلاصطفآء فى كلمة ٱلبلاغ. ومع ٱفتراق ٱلناس عن أصل أمة واحدة. بدأت تنشأ فصآئل كونت فيما بعد كل منهآ أمّة. وٱفترقت عن غيرها فى كثير من ٱلكلمات. وكان نصيب ٱلأمة ٱلشَّامية أن تفرقت إلى فرق عديدة مع كل طور تدريب على ٱلخبرة بواسطة أنبآء جديدة. فنشأت ألسن شامية متعددة بسبب دخول كلمات جديدة على لسان فريق صَدّق وءَامن بالأنبآء ونزّلها فى قلبه لتكون ٱلوسيلة للاصطفآء وٱلعلوّ على ٱلَّذِين ٱمتنعوا ورفضوا ٱلأنبآء وقاوموها.

وبفعل ٱلاصطفآء تابعَ لسانُ فريق من هذه ٱلأمة تطوره حتى تمكن من حمل رسالة ٱللَّه بلسان عربىّ مبين (ٱلقرءان).

أما بقية فرق ٱلألسن ٱلشَّامية ٱلأَخرى فقد تراجعت بسبب ٱلوقوف فى وجه ٱلتطور ومقاومته. وما بقى منها ما هو إلا بقية أثار تساعد فى تقديم ٱلمادة ٱلأثرية لهذا ٱللِّسان ٱلَّذِى حمل ٱلوحى ٱلإلـٰهىّ إلى طُوره ٱلأخير.

ولما كانت ٱلكلمة تقدر على ٱلفعل بذاتها فإن كلمات ٱلفعل هى ٱلكلمات ٱلأساس فى ٱللِّسان ٱلشَّامى. بما فى ذلك ٱلكلمة ٱلاسم. وللفعل فى ٱلألسن ٱلشَّاميّة بكل فروعها ٱلحى وٱلميت هيئة أساس ثلاثية ٱلبنآء. وإنّ ٱلتصاق ما يسمّى بٱلضمآئر فيه يحدد هوية ٱلفاعل (متكلم مخاطب غآئب مفرد جمع مذكر مؤنث).

وتحـدث زيادة ٱلأبـجدية فى ٱلكلمة عن ٱلأصل ٱلثلاثى بطريق ٱلتضعيف لواحد من أبجديتها بٱلتشديد ٱلَّذِى يبيِّن تطور ٱلدليل وٱلكلمة معًا (فَعَلَ فَعَّلَ). أو عن طريق ٱلزيادة فى عدَّة ٱلبنآء (يفعل يفعّل ٱنفعل ٱفتعل تفاعل. . الخ).

وكنت فى كتاب «ٱلدين خرافة أم علم؟» قد تناولت هذه ٱلمسألة من جانب أخر. وقلت أن ٱلفعل فى ٱلألسن ٱلشَّاميّة هو أساس ومصدر ٱلتحول وٱلتطور (ٱلاشتقاق) ٱستنادًا إلى ٱلنبأ فى ٱلقرءان ٱلَّذِى يبين أن ٱلوجود ٱلحقّ ينجم عن ٱلفعل «كن».

وأوجز ميزات ٱلِّسان ٱلشَّاميّ بما يلى:

١- ٱلبنآء فيه يقوم على ٱلأبجدية ٱلساكنة.

٢- بنآء ٱلكلمة ثلاثى ٱلتكوين وما زاد فيه هو تطور وعلوّ. وكلمة ٱلفعل ثلاثية ٱلتكوين وهى ٱلأصل ٱلَّذِى تتولد عنه بقية ٱلكلمات.

٣- أثر ورآئحة ٱلفعل تنبعث من جميع كلماته.

٤- قدرته على ٱلتطور وٱلتعريب عن كل مسآئل ٱلوجود ٱلحقّ.

وأتوقف عند هذا ٱلموجز ومن يرغب فى ٱلزيادة يمكنه أن ينظر فى كتب ٱلِّسانيات قديمها وحديثها. علىَ أن لا يغفل عن ٱلتأثير ٱلفارسى[1] ٱلَّذِى يرىَ أن ٱلاسم هو مصدر ولادة ٱلكلمات وليس ٱلفعل. وفى فصل «ٱلبلاغ عن ٱلكلمة ٱلحقِّ» فى هذا ٱلكتاب سنعود إلى ٱلِّسان ٱلشَّاميّ مع ٱلرمز فى لسان ٱلقرءان ٱلعربى.

(١) راجع كتاب (من تاريخ النحو) للاستاذ سعيد ٱلأفغانى. له رأى فى ٱلتأثير ٱلفارسى نشد يدنا معه فى ٱلأمر.



ٱلكلمة ٱلحقُّ

- ٱلكلمة ٱلحيَّة «ٱلبيولوجية».
- ٱلبلاغ عن ٱلكلمة ٱلكينونة (ٱلحقّ).
- ٱلكتاب ٱلمبين.
- ٱلكتب ٱلأولى.



ٱلكلمة ٱلحيَّة «ٱلبيولوجية»

يرى علمآء ٱلبيولوجيا ٱلجزئية أن ٱلأشيآء ٱلحيّة تتكون من كلمات ثلاثية ٱلبنآء. وبدأوا يتعرفون على هذه ٱلكلمات وٱلنظر فى ما تدل عليه. وهم يجاهدون وينذرون حياتهم فى ٱلمحراب (ٱلمخبر) للوصول إلى بيان دليل هذه ٱلكلمات بمراقبتها ٱلمستمرة بوسآئط يجرى تحسينها بٱستمرار. ومن تعريفاتهم لما ينظرون فيه ما ورد فى قول «دوليتل»:

[إن كل شيفرة Codon تحدد بصورة صحيحة نوعية حمض أميني واحد، فإن بالإمكان تحديد نوعية أغلب الأحماض الأمينية بأكثر من شيفرة واحدة. ومفتاح الرموز هو اختيار تسلسل قليل الغموض ما أمكن، ومن ثم إنتاج جزيء دنا (DNA) لكل ترجمة ارتدادية ممكنة. فإذا تضمنت الأحماض الأمينية وحدة هستيدين مثلاً، فإن الدنا يضع كلتا الشيفرتين CAT و CAC فى الموقع الملائم وهما الشيفرتان اللتان تحددان نوعية الهستيدين]. [(١)]

فى قوله يبيّن «دوليتل» أسلوب علمآء ٱلنظر وٱلبحث فى ٱلتعرف وفهم ٱلكلمات فى ٱلوجود ٱلحىّ ٱلّتى تتكون من أبجدية ثلاث كما فى لسان ٱلشَّام.

وبمتابعة «دوليتل» فى وصفه تلك ٱلأبجدية يقول:

[تتألف الأبجدية الّتى تصنع البروتينات من ٢٠ حمضاً أمينيا. وكل بروتين هو تسلسل لأحماض أمينية مأخوذة من هذه الأبجدية]. [(٢)]

---

(١) البروتينات ـ مجلة ٱلعلوم ٱلأمريكية ٱلمجلد ٣ ٱلعدد ٤/ ١٩٨٧.

(٢) ٱلمرجع ٱلسابق.

وعن ٱلبنآء ٱلثلاثى لهذه ٱلكلمات ٱلبيولوجية يقول «دوليتل»:

[تتوقف الخواص الفيزيآئية والكيماوية لجزيء البروتين على الكيفية الَّتى تنطوي عليها سلسلة الأحماض الأمينية فى التركيب ثلاثي الأبعاد]. (١)

«ٱلخواص ٱلفيزيآئيّة وٱلكيماوية» يقابلها فى لِسان ٱلشَّام ٱلدليل ٱلأساس لكلمة ٱلبلاغ ذات ٱلأبجدية ٱلساكنة.

وفى قول «ديتفورت» تعريف لكلمات ٱلوجود ٱلحيِّ:

[إن الأنزيم «سيتوكروم سي» قد درس وحلل جيداً لدى معظم أنواع الحيوانات، وتبيّن أنه أنزيم تنفسي يكمن تأثيره فى أنه يتوسط لانتقال الأوكسجين الَّذِى يحمله الدم إلى داخل الخلية. إن تطابق صفوف الحموض الأمينية فى «سيتوكروم سي» الَّذِى نجده فى جميع الفصآئل البيولوجية المعروفة، هو برهان قاطع على انحدار جميع هذه الفصآئل البيولوجية من جدٍّ واحد مشترك. ليس هناك أي تفسير أَخر لهذه الظاهرة الَّتى تتأكد مرّة تلو المرّة لدى دراسة أي من الأنزيمات الأَخرى]. (٢)

وما يهمّ من قول «ديتفورت» ٱلأن أنَّ «تطابق صفوف الحموض الأمينية» هو تسلسل أبجدية فى «سيتوكروم سي لدى جميع الفصآئل البيولوجية المعروفة» يشير إلىَ أن كلمة «سيتوكروم سي» تحمل دليلا واحدًا لدى جميع ٱلفصآئل ٱلبيولوجية. وهذا يدل على ٱلأصل ٱلمشترك ٱلأول لهذه ٱلكلمات ٱلبيولوجية. وهو ما رأيته فى كلمة ٱلبلاغ قبل ٱختلاف ٱلناس.

أما ما يتعلق بٱلأصل ٱلمشترك لجميع ٱلفصآئل ٱلبيولوجية فهو حقّ بدليل أصل ٱلكلام ٱلمشترك ودليل ٱلنبإ فى ٱلقرءان:

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ٦ ٱلزمر.

فيه بلاغ عن ٱلخلق (ٱلتصميم) لهذه ٱلنفس ٱلواحدة. أما ٱلتسوية (تنفيذ) فهو فيما جآء عنه فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

---

(١) ٱلمرجع ٱلسابق.

(٢) تاريخ النشؤ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾ ٩٨ ٱلأنعام.

تفصيل ٱلأيات أرى تأويل بعضه فيما فصّلته ٱلبيولوجيا ٱلجزئية. كمآ أرى فى كتاب ٱلصفات ٱلوراثية مثلاً عنه فى قول «دوليتل»:

[إنَّ الشيفرة الوراثية هي معلومات يتم تدوينها بواسطة لغة تتكون من حروف أبجدية. وتشكل الشيفرة الوراثية مخطط بنآء الخلية DNA]. (١)

وأرى تفصيلا أخر فى قول «ديتفورت»:

[مجمل الخصائص الوراثية للخلية، مخزّن في الجينات (المورثات) الَّتي تتجمع في نواة الخلية مشكلة الكروموزومات (الصبغيات الوراثية) الَّتي يمكن رؤيتها بالمجهر تحت شروط معينة. هنا توجد «إشارات» يحتوي اصطفافها أو تسلسلها على معلومات حول جميع مكونات وخصائص الخلية. لكن لم تكن الحموض الأمينية هي الَّتي تشكل الحلقات، وإنما وحدات جزيئية أخرى هي النوكليدتيدات (النواتيات) ذات المحتوى الأسسي. يطلق الكيميائيون على الجزيئة السلسلية الَّتي تتألف من مثل هذه النواتيات تسمية الحموض النووية. هنا في جزيئات الحموض النووية، في نواة الخلية يُختزن مخطط بنآء الخلية بصيغة ما يسمى «الشيفرة الوراثية». وتستخدم الأسس الموجودة في الحلقات النووية كحروف. إذا ما فكرنا بالعدد الهائل لأشكال الحياة، نفاجأ للوهلة الأولى بالعدد الضئيل للأسس: إنها فقط أربعة أسس مختلفة تُرمِّز الطبيعة بواسطتها خصائص ومظهر جميع أشكال الحياة الَّتي وجدت على الأرض في كل تاريخها الماضي، والَّتي ستوجد عليها في تاريخها المستقبلي.

إن عدد الحموض الأمينية الَّتي تشكل قطع بنآء ءاية خلية حيّة هو عشرون حمضاً. غير أن انتاجها يمكن توجيهه بواسطة تعليمات مركبة من أربعة حروف (طبعاً بترتيبها الكيفي مع جواز تكرار الحرف). عندما نضع في اعتبارنا أننا نستطيع أن نشكل من ٤ حروف ما لا يقل عن ٦٤ كلمة مؤلفة من ٣ حروف. لقد سلكت الطبيعة بالضبط هذا الطريق، حيث تستخدم دائماً ٣ أسس («تشفير ثلاثي» أي كل شيفرة تتألف من ثلاث

(١) البروتينات ـ مجلة ٱلعلوم ٱلأمريكية ٱلمجلد ٣ ٱلعدد ٤/ ١٩٨٧.

اشارات) لتشفير واحد من الحموض الأمينية العشرين الَّتي تشكل قطع البنآء اللازمة]. [1]

هذا ٱلتفصيل ٱلوارد فى قول «ديتفورت» يطابق مسألة ٱلبنآء فى ٱلِّسان ٱلشَّامىِّ (ٱلأصل ٱلثلاثى ٱلأبجدية ٱلساكنة وتوجيه ٱلدليل بواسطة ٱلأصوات ٱلمحمولة كما تفعل ٱلأسس ٱلأربعة ٱلموجودة فى ٱلحلقات ٱلنووية).

وإذا ما تابعنا مع «ديتفورت» فإن تفصيلات أخرى وهامة تظهر لنا. فهو يقول:

[لكن بما انه من الممكن بواسطة ٤ أسس مختلفة، تشكيل ليس فقط ٢٠ وإنما ٦٤ شيفرة ثلاثية مختلفة، يبقى لدى الطبيعة عملياً ٤٤ شيفرة ثلاثية فائضة. استخدمت ٤١ منها لتشفير حموض أمينية معينة تشفيراً مزدوجاً. أي تشفيرها مرتين، وأحياناً ثلاث مرّات (بالنسبة لهذه الحموض الأمينية يوجد إذن في نواة الخلية رمزان أو ثلاثة رموز لها جميعها نفس المعنى). سيصيبنا الذهول عندما نعلم أن الطبيعة قد استخدمت هذه الإمكانية انطلاقاً من المبدأ القائل «المدروز مرتين يكون أمتن» إذ أن علمآء البيولوجيا الجزيئية لاحظوا أن هذا التشفير المضاعف يتركز بصورة خاصة على الحموض الأمينية ذات الأهمية البيولوجية المتميزة.

ماذا بشأن الشيفرات الثلاثية الثلاثة المتبقية؟

إنها تستخدم للتنقيط (لوضع نقطة بين جملتين) تماماً وحرفياً! إننا نجدها فى جزيئات DNA[2] السلسلية الطويلة جداً، دائماً فى الموقع الَّتي تنتهي عندها تعليمات بنآء جسم بروتيني ما، انزيم ما وتبدأ تعليمات بنآء بروتين أخر. بفضل هذا التنقيط، تستطيع جزيئة DNA[3] واحدة تتكون سلسلتها من عدة ملايين من الشيفرات الثلاثية أن تحتوي مخططات بنآء عدد كبير من الجسيمات الأمينية المختلفة دون أن تتداخل التعليمات المختلفة مع بعضها البعض]. [4]

---

(١) تاريخ النشؤ.
(٢) د . ن . س فى ٱلترجمة.
(٣) د . ن . س فى ٱلترجمة.
(٤) تاريخ النشؤ.

هذا ٱلتفصيل جآء به ٱلبحث ٱلعلمىّ فىَ أشيآء ٱلوجود ٱلحىّ وكشف لنا عن كتب مكونة من كلمات كانت غآئبة عن إدراكنا وعن علمنا بوجودها على ٱلرّغم من وجودها فى كل مكان بما فى ذلك أجسامنا. عن هذه ٱلكتب كان ٱلنبأ قد جآء فى ٱلبلاغ:

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ ٧٥ ٱلنمل.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ ٥٩ ٱلأنعام.

فى ٱلنبإ أن كل شىء فى ٱلوجود له كتابه ٱلَّذِى يبيّن سنَّة تكوينه. وأن هذه ٱلكتب غآئبة عن إدراكنا وعلمنا ولا تنكشف لنآ إلاّ بطاعتنا للأمر ٱلتالى:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

لقد سار بهذا ٱلأمر علمآء ٱلبيولوجيا وعلمآء ٱلفيزيآء وٱلكيميآء وٱلمقدار (رياضيات) وٱلفلك وغيرهم. وإن ما جآء فى وصف كلمات تلك ٱلكتب لدى ٱلبيولوجيين ما هو إلاّ بداية لتأويل ٱلنبأ (٧٥ ٱلنمل).

كمآ أن هذا ٱلفهم لدليل كلمات ٱلبيولوجيا يفتح ٱلطريق أمام تأويل ٱلأية ٱلَّتى جآء بها عيسى من ربه ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وهو إحيآء وبعث للمعلومات ٱلبيولوجية بوضع مخطط تُحدَّدُ فيه صفوف ٱلأحماض ٱلأمينية لكل أنزيم. وهى ٱلَّتى تساعد فى تحديد ٱلتأثيرات ٱلبيولوجية لكل واحد من ٱلأنزيمات وفى تحديد **«اجمالي التأثيرات الأنزيمية يتيح لنا إعادة تصميم التمثل العضوي للكائن الميت بجميع تفاصيله وخصائصه»** بما فى ذلك **«تحديد التركيب الغذائي ودرجة حرارة الوسط وسرعة الإشارات المنتقلة عبر الأعصاب والكيفية الَّتى كان يرى فيها محيطه»**.

وقد نجح ٱلعلمآء **«فى تركيب الجينات (المورثات) والأنزيمات الأولى فى مخابرهم. إن الجزيئات السلسلية الَّتى حضّروها اصطناعياً قامت عند إجراء التجارب**

البيولوجية عليها بممارسة نشاطها البيوكيميائي المتناسب مع صفوفها وتصرفت فوق ذلك كنماذجها الطبيعية تماماً». (١)

أما عن ٱلاحتمالات ٱلمختلفة ٱلممكنة لاستخدام كتابة مؤلفة من ٢٠ حمضًا أمينيًا مُوَجَّهة بواسطة أربع أسس فيبينها «ديتفورت» فى قوله:

[تتيح ٤ حروف (أسس) استخدام ٦٤ شيفرة ثلاثية مختلفة. بهذا العدد يمكن تشفير جميع الحموض الأمينية العشرين مرّة واحدة على الأقل وتشفير الهام منها لزيادة الأمان أكثر من مرّة. لنفترض الأن أن الأنزيم الَّذِى ستنتجه الحموض النووية DNA من الحموض الأمينية العشرين، يحتوي على ١٠٠ حلقة (حمض أميني)، عندئذٍ يتوفر لخواص الأنزيم، عدد من الامكانات المختلفة يفوق فى كبره الأرقام الفلكية مراراً عديدة. إننا نحصل حسب قواعـد الرياضيات الحسابية، على عدد من الامكانات المختلفة قدره $٢٠^{١٠٠}$. أي أننا نستطيع، ضمن الشروط المذكورة إنتاج $٢٠^{١٠٠}$ من الأنزيمات ذات التسلسلات الحمض - أميني المختلفة، وبالتالي ذات الخصائص البيولوجية المختلفة.

$٢٠^{١٠٠}$ هو عدد يحتوي ١٣٠ صفراً. لا يوجد حتى اسم لهذا العدد الهائل الَّذِى يفوق كل تصور]. (٢)

هذا ٱلاحتمال ٱلَّذِى قـدَّمه «ديتفورت» عن ٱلأنزيم ٱلَّذِى يحتوى ١٠٠ حلقة حمض أمينىّ أرى فيه تأويل ٱلنبإِ ٱلوارد فى ٱلأمر ٱلتالى:

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ ١٠٩ ٱلكهف.

فى هذا ٱلنبأ بلاغ عن ٱلعدد ٱلكبير لكلمات ٱلرّبِّ فى ٱلوجود ٱلحقّ.

فقد ٱقترنت ٱلكلمات بٱسم ٱلرّب وهو ٱسم يدلّ على ٱلعلو وٱلارتفاع وٱلزيادة وٱلنُّموّ وٱلجمع فى ٱلأشيآء. كما يدل على ٱلملك وٱلسيادة وٱلصلاح وٱلقيومية. وٱلاسم من أصل ٱلفعل ٱلثلاثى «رَبَوَ يربو» وهذا يدل على سنَّة ٱلتطور ٱلمادى

---

(١) تاريخ النشؤ.

(٢) تاريخ النشؤ.

ذاته. أى ٱلتشيؤ ٱلحقّ فى ٱلوجود وألوانه ٱلَّتى لا تحصى وٱلَّذِى لا تتوقف فيه عمليات ٱلنمو وٱلزيادة وٱلارتفاع وٱلصلاح وٱلسيطرة من خلال تسلسل يحفظ ذلك ويسيطر عليه.

وٱلَّذِى قاله «ديتفورت» عن ٱحتماله هو عن كتابة كلمات خاصة بإنزيم واحد وفى ٱلوجود ٱلحىّ وحده. أمَّا كتب ٱلرّب فى ٱلوجودين (ٱلحىّ وٱلميت) فلا حصر لها. فكيف بٱلكلمات ٱلَّتى تتكون منها هذه ٱلكتب؟

أما كلام ٱللَّه فيحمل ٱلبلاغ عن كلمات ٱلرّب فى ٱلوجود ٱلحقِّ. ويدخل فيها بلاغ ٱلكشف ٱلعلمىّ ٱلَّذِى لا يتوقف ما دام ٱلأنسان حيًّا. وفى ٱلقرءان بلاغ:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٢٧ لقمان.

قولىَ أن بلاغ ٱلكشف ٱلعلمىّ يدخل فى كلام ٱللَّه لأن عملنا جميعه ومنه ٱلبحث ٱلعلمىّ وبلاغه من خلق ٱللَّه بدليل ٱلنبإِ ٱلتالى:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ ٱلصَّافَّات.

لقد خلقنا ٱللَّه وخلق فينا ٱحتمالات أعمالنا جميعها ومنها بلاغ ٱلبحث ٱلعلمىّ عن ءَايات ٱلوجود بكل ألوانها. وقد أمرنا ٱللَّه لإتباع بلاغ ٱلعلم فى ٱلأمر ٱلتالى:

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ ٢٧ ٱلكهف.

وفى هذا ٱلأمر طلب لإتباع ما ينكشف لنا من كتاب ٱلرّبّ وهو ٱلوجود ٱلحقّ كله. وقد ضمَّ ٱلأمر نبـأً مقفلاً ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾. أىَ أننا لن نجد حقًّا أَخر نتوجه إليه.

كلمات ٱلرّبّ لا يمكن تبديلها بكلمات أَخرى. فٱلمآء ٱلَّذِى يتكون من هدروجين وأوكسجين لا مبدّل له. وأن عناصر ٱلجدول ٱلدورى ٱلأَخرى لا يمكن أن تكوِّن مآء. فكلمة مآء لا مبدّل لها وهى كلمة حقّ ووجودها يسبق علمنا بها.

ويضمّ ٱلتوجيه تنبيهًا حتى لا نوقع فى ٱلظّن. لأن كلمات ٱلرّب حقّ وكلمات ٱلظّن باطل وكذب.

ونحن ٱلشّاميّون بعد أن جآءنا ٱلبلاغ غفلنا عن هذا ٱلتوجيه بدليلين:

ٱلأول قول ٱلرّسول فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ ٣٠ ٱلفرقان.

وقول ٱلرّسول هذا ليس أثنآء بعثته رسولاً ونبيًّا بل يوم ٱلقيامة وفى ٱلبلاغ بيان ذلك:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّـٰلِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا /٢٧/ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا /٢٨/ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا /٢٩/﴾ ٱلفرقان.

وٱلثانى فقدان ٱلبحث ٱلعلمىّ فى حياتنا. وسببه هجرنا ٱلقرءان. كمآ أننا لا نكتفى بهذا ٱلهجر بل نسارع إلى ٱعتراضٍ على كل بلاغ عن هذه ٱلكلمات. وحجّتنا ٱلظّن بٱلدفاع عن دين ٱللّه! ونبقى غافلين دليل قولنا ٱلظّنىّ ٱلَّذِى يرى ٱللّهَ محاصرًا ضعيفًا!.

لقد ظنّت نفوسنآ أنّنآ أصحاب هذا ٱلدّين وحراسه! وٱلحقّ أنّنـآ أوجدنا لأنفسـنا «من دونه ملتحدًا» ظنًّا وباطلاً.

يقول علمآء ٱلبيولوجيا ٱلجزئية أن ٱلـ DNA هو ٱلكتاب ٱلَّذِى يحمل كل ٱلمعلومات وٱلمخططات لإعادة ٱلصفة للكآئن ٱلحىّ ٱلمولود ٱلجديد. وهو ٱلقسم ٱلوحيد فى ٱلخلية ٱلحية ٱلَّذِى يملك ٱلقدرة على فعل ٱلازدواج تحت تأثير فعل أنزيمات ٱلخلية. ويحدث هذا ٱلازدواج عند ٱنقسام ٱلخلية إلى خليتين متشابهتين لدرجة أنه من ٱلصعب معرفة أيُّهما ٱلخلية ٱلقديمة وأيُّهما ٱلخلية ٱلجديدة.

ٱلخلية كتاب حىّ عظيم. وهى كلمة أساسية فى كتاب أعظم منها بملايين ٱلمرات هو ٱلجسم ٱلحىّ. وهى تمثل «ءاية» لها كتابها ٱلمبين. كمآ أنها «ءاية» كبيرة تضمّ ءايات أصغر منها.

عـن هذه ٱلخلية ٱلَّتى تنسخ نفسها بٱلانقسام (نسخة طبق ٱلأصل) بقوة معلومات مخزونة «ٱلجينات» فى نوى ٱلخلية على هيئة صبغ «ٱلكروموزومات». ويجرى تخزينها بٱلاصطفاف ٱلتسلسلى للرموز وفق ذات ٱلأسس ٱلَّتى نستخدمها نحن فى كتابة مفاهيمنا. حيث كل تسلسل من ٱلأبجدية يكون كلمة تدل على شىء. وعن هذا ٱلفعل ٱلنسخى جآء ٱلنبأ ٱلتالى:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٠٦ ٱلبقرة.

وفيه بلاغ عن مسألَّتين فى ٱلوجود. ٱلأولى نسخ ءاية. أى تكرارها ذاتها من دون تعديل علىَ أىٍّ من صفاتها. وٱلثانية نسيان ٱلأية أى إلغاؤها فلا تكرر.

وبتطبيق ٱلبلاغ على تكاثر ٱلخلية ٱلَّتى تمثّـل ءاية. نجد أن ٱنقسامها يمثله ٱلبلاغ «ما ننسخ من ءاية».

وأن حدوث تطور فى ٱلأية بسبب تعديل معلومة فى كتابها يمثله ٱلبلاغ «نأتِ بخير منها أو مثلها».

ونسب ٱلبلاغ ذلك إلى قدرة ٱللَّه ٱلكلية.

وقول ٱلبلاغ «نأتِ بخير منها أو مثلها» يتعلق بٱلأية ٱلَّتى قال عنها «نُنسِها». حيث يتم ٱستبدالها بأية تماثلهآ أو ءاية خير منها.

وبسبب هجر ٱلبحث ٱلعلمىّ أخطأ ٱلشَّاميون فى فهم هذا ٱلبلاغ فقالوا عن ٱلنَّسخ إنه إلغآء. وساقهم هجر ٱلبحث ٱلعلمىّ إلى ٱلتعامل مع ٱلبلاغ كله بذات ٱلإسلوب ومنه ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ /٥٢/ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ /٥٣/ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ /٥٤/﴾ ٱلحج.

وفى هذا ٱلقول بلاغٌ عن فعل ٱلتّمنّى. وبه يولد ٱلظَّن وفيه ٱلأفكار ٱلشَّيطانيّة ٱلَّتى يوقع فى شباكهآ أى إنسان حتى ولو كان رسول أو نبىّ.

أمَّا القول ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فيبين أنَّ ٱلنّسخ لما يلقيه ٱلشّيطٰن هو صورة طبق ٱلأصل عن ٱلأمنية. ويجرى ٱلنسخ من قبل ٱلناس أنفسهم ٱلَّذِين يسيطر ٱلظن عليهم. وهو ٱحتمال بٱلخلق كما رأينا فى ٱلنبإ:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ ٱلصافات.

كل أعمالنـا (شيطانيّة كانت أم رحمانيّة) هىَ أعمال ٱحتمالية بٱلخلق. وأنَّ تداول ٱلناس لهذه ٱلنسخة هو ٱختبار لهم ولتفكيرهم. فأصحاب ٱلقلوب ٱلمريضة وٱلقاسية يتمسكون بٱلنسخة لأنها تناسب بنية تفكيرهم ٱلمريض وٱلمتحجر ٱلَّذِى ينفر من ٱلبحث ٱلعلمىّ.

أما ٱلَّذِين يطيعون ٱلأمر بٱلبحث ٱلعلمىّ «ٱلَّذِين أوتواْ ٱلعلم» فيتناولون ٱلنسخة ٱلَّتى ألقىٰها ٱلشيطان ويخضعونها لأسس ٱلتّحقق بواسطة ٱلبحث ٱلعلمىّ. فتطمأن قلوبهم إلى ما يوصلون إليه. وهم يعلمون أن ما يلقيه ٱلشّيطان باطل لا حقّ فيه.

أما ما قاله كثير من ٱلمفسرين عن قصة «الغرانيق» ٱلَّتى ساقتهم إلـى فهم ٱلقول ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ علىَ أنه يلغيه. فيقول ٱبن كثير ٱلدمشقى عن هذه ٱلقصة ورواياتها:

«ولكنها من طرق مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم».[(١)]

كلمة «نَسَخَ» تدل على فعل تكرار للشىء من دون تغيير فيه. وقد جآء فى تفسير ٱلمفسرين أنه يدل على «زال وبطل». وتفسيرهم يخالف ٱلمفهوم وٱلدليل فى ٱلألسن ٱلشَّامية.

إلى جانب أن ٱلبلاغ فى ٱلأيات ٱلثلاث يضطرب ويتفكك. فهناك طرفان:

ٱلأول «ٱلَّذِين في قلوبهم مَرَض والقاسيةِ قلوبُهم» وهم ٱلَّذِين يتداولون نسخة ٱلشيطان ويتمسكون بها.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ـ ٱبن كثير.

وٱلثانى ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهم ٱلَّذِين يخضعون نسخة ٱلشيطان للنظر وٱلبحث ٱلعلمىّ حتى يتحقق لهم بطلانها وتطمأن قلوبهم.

وعمل ٱلطرفين يخضع لما جآء فى ٱلنبإ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

أمَّا ٱلتَّمنّى فهو طلب إيجاد شىء من دون توفر أشراطٍ لوجوده. وهو ما يوقع فيه أصحاب ٱلقلوب ٱلمريضة وٱلقاسية. وبه تتكون مفاهيمهم وأقوالهم فى ٱلحياة.

لقد جآء فى ٱلبلاغ أن ٱلتَّمنّى ظنىّ لا يتحقق ويبين ذلك ٱلسؤال ٱلاستنكارى ٱلتالى:

﴿أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ ٢٤ ٱلنجم.

ولتوكيد دليل «نسخ» علىَ أنه فعل تكرار للشَّىء ذاته من دون تغيير فيه أورد ٱلنبأ ٱلتالى:

﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٩ ٱلجاثية.

وفيه بيان عن فعل ٱلنّسخ لأعمالنا. ومَثَلُهُ فىَ أعمالِ ٱلنّسخ للكتب ٱلجارية على قرطاسٍ أو ألواحِ ليزريةٍ. ومثله ٱلأخر فى تكاثر ٱلنّفس ٱلواحدة (وحيدة ٱلخلية). ونسخ أعمالنا يجرى بأخذ نسخة عنها فى كتاب ينطق بٱلحقّ وبه يجرى حساب كلّ مِنَّا. وسأبيّن لاحقًا أين يوجد هذا ٱلكتاب.

ٱلبلاغ عن ٱلكلمة ٱلكينونة (ٱلحقّ)

تناولت أحد ألوان ٱلكلمة ٱلكينونة فى بلاغات ٱلبيولوجيا ٱلجزئية. ٱلتى كشفت عن وجود كتب عديدة تتكون من كلمات لآ إحصآء لها من قبلنا. وتبيّن أن هذه ٱلكلمات تبنى من ٱصطفاف أبجدية ثلاث. وهذا ما يتطابق مع بنآء ٱلكلمة فى ٱلّسان ٱلشَّامىّ.

لسان محمد هو لسان قومه ٱلشّاميين. وقد تناولت هذا فى كتاب «ٱلدين خرافة أم علم؟». ووجدت أن صفة عربى جاءت لتظهر بيان لسان ٱلقرءان وليس لوسمه بسمة ٱلقوم. لأن وسم ٱلقرءان بسمة ٱلقوم يتناقض مع كونه رسالة للناس كافة. ويجعله رسالة خاصة بقومٍ من دون ٱلناس.

لقد بدأ ٱلّسان ٱلشامى مع نفخ ٱلرّوح وٱستمر فى تطوره. كما يحدث فى تطور مناهج ٱلوندوز windows فى ٱلكومبيوتر. فمع كل نبوّة ورسالة توسع ٱلرّوح حتى وصل هذا ٱلّسان بتطوره ٱلذى يمكّنه من حمل ٱلرسالة لجميع ٱلناس إلى ٱلنهاية. من دون أىّ عجزٍ فى ٱلتعريب عن مسآئل ٱلوجود. لأن قدرة هذا ٱلمنهاج تطابق تعريفات كلام ٱلحقِّ فى ٱلوجود وهو كلام ٱلرّب ٱلحقّ. وهذا مآ أجده فى ٱلبلاغ عن كلمات ٱلرّب. وكفاية ٱلبلاغ عنها من دون نقص.

إن ٱلبنآء ٱلثلاثى ٱلأبجدية للكلمة ٱلكينونة يقابله بنآء من أبجدية ثلاث للكلمة فى ٱلّسان ٱلشَّامى. وفى ٱلقرءان ترميز لهذا ٱلبنآء فى مقدمة بعض ٱلسُّوَرِ. فهناك

٢٩ سورة تبدأ بٱصطفاف أبجدية إمّا منفردة فيَ ءاية مستقلة أو بداية لأية. ومن هذه ٱلسور ٱلـ ٢٩ هناك ١٣ سورة تبدأ بٱصطفاف ثلاثة من ٱلأبجدية ٱلساكنة. وأضرب مثلاً على ذلك من سورة «ٱلشعرآء»:

﴿طسٓمٓ (١) تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ (٢)﴾ ٱلشعرآء.

عنان (عنوان) ٱلسورة «ٱلشعرآء» يشير إلى ٱلشعور بوجود ٱلشيء من دون وجود ٱلبلاغ عنه. أى غياب ٱلبحث ٱلعلمى ٱلمبين.

ٱلأية ٱلأولى «طسٓمٓ» مكونة من أبجدية ثلاث (ٱثنان منها مضاعفان بٱلمدّ) وهى ءاية كاملة.

وفى ٱلأية ٱلثانية بلاغ عن ٱلأية ٱلأولى تبينه ٱلاشارة «تلك». وأفهم من ٱلبلاغ ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ أن «طسٓمٓ» هى تلك ٱلأيات ٱلتى جآء ٱلبلاغ عنها. وءايات ٱلكتاب ٱلمبين هنا هى كلمات ٱلرّب أىَ ءايات ٱلوجود ٱلحقّ ذاته. وهو كتاب مبين سوآء علمنا بذلك أم لم نعلم.

هذه ٱلأيات هى كلمات فى ٱلأصل ثلاثية ٱلبناء «طسٓمٓ» على ٱلرغم من مضاعفة ٱثنين من مكوناتها. وهى ذاتها ٱلتى جآء ٱلبلاغ ٱلبيولوجى عنها مطابقًا للبلاغ عنها بواسطة ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين.

وٱلبلاغ فى سورة «ٱلحجر» على ٱلهيئة ٱلتالية:

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ ١ ٱلحجر.

عنان ٱلسورة «ٱلحجر» يشير إلى ٱلحدود وٱلعقل. وهو ما يجب توفره فى ٱلناظر فيَ ءايات ٱلوجود حتى يستطيع ٱلكشف عن ٱلغيب فى كتاب ٱلوجود ٱلمبين بٱلبينات ٱلعلمية.

تضمّ ٱلأية ٱلأولى فى هذه ٱلسورة ثلاثة من ٱلأبجدية ٱلمتصلة مع ٱلبلاغ عنها «ٱلر تلك ءايٰتُ ٱلكتب» وعطف عليها «قرءانٍ مبينٍ».

وأستنبط هنا وفى نور ما رأيته فى سورة «ٱلشعرآء» أن «ءايٰت ٱلكتٰب»

كلمات كينونة ذات بنآء ثلاثى فىَ أصلها يمكن ٱلتوصل إلى ٱلعلم بدليل كل منها بٱلبحث ٱلعلمى ٱلذى يمثله ٱلعطف «وقرءانٍ مبينٍ».

كما يبيّن لنآ أن كلمات ٱلكينونة ثلاثية ٱلبنآء فى ٱلأصل. وأن كلمات ٱلبلاغ عنها هى ٱلأخرى ثلاثية ٱلبنآء.

وفى سورة «ٱلنمل» يشير ٱلبلاغ إلى كلمة ثلاثية:

﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾ ١ ٱلنمل.

عنان ٱلسورة «ٱلنمل» يدل على حركة من دون ثبات. وٱلإشارة فى هذه ٱلأية إلى كلمة ثلاثية علىَ أنها «ءايٰتُ ٱلقرءان». فيها واحد من أبجديتها مضاعفا بٱلمدّ فوقه «طسٓ» وقد عطف عليها «كتاب مبين».

وأرى فى هذا ٱلبلاغ أن بلاغات ٱلبحث ٱلعلمى «ءايٰتُ ٱلقرءان» لا تتوقف عن ٱلحركة وتبقى فى حال صعود وٱرتقآء بسبب نسبيتها. وهى تنجم عن هذه ٱلحركة وٱلارتقآء فى ٱلبحث ٱلعلمى وبلاغاته. وبه يتم ترميز ٱلكلمات ذات ٱلأصل ٱلثلاثى ٱلبنآء.

كمآ أرىَ أن ٱلعطف «كتاب مبين» هو وصول ٱلبحث ٱلعلمى إلى ٱلبيان لتلك ٱلرموز.

ويقوّى ٱستنباطى ٱلخطُّ لكلمة «كتاب» فى سورة ٱلنمل وٱختلاف خطها «كتٰب» فى سورتى ٱلشعرآء وٱلحجر.

هذا ٱلاختلاف فى ٱلخط لكلمة «كتاب» يشير إلى ٱلارتفاع وٱلظهور وٱلبيان ٱلذى جآء به بلاغ بحث ٱلعلم «ءايٰت ٱلقرءان».

ولما كانت حركة بحث ٱلعلم لا تتوقف إلا بتوقف ٱلناس عن ٱلوجود. فإن ٱلتقدم وٱلارتقآء يسبب تراكم ٱلمعلومات ويدفع حاجة ٱلبحث إلى ٱلرمز بواحد من ٱلأبجدية ٱلتى تدل على ٱلكلمة. وهو مآ أجده فى رموز ٱلتجريم ٱلحسابى وفى فيزيآء ٱلجزء ٱلتى ترمّز للكوارك ٱلفوقى بٱلرمز u وٱلتحتى d وٱلبديع c وٱلغريب s وٱلقمة t وٱلقاعدة b وٱلإلكترون e .. الخ.

وقد جآء فى ٱلبلاغ عن مثل هذا ٱلترميز فى سورة «ص»:

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ ١ ص.

وفى سورة «ق»:

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ ١ ق.

وفى سورة ٱلقلم:

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ١ ٱلقلم.

وأستنبط من عطف «ٱلقرءان ذى ٱلذِكر» على ٱلرمز ٱلمضاعف «صٓ» أن ٱلبحث ٱلعلمى تحوّل إلى ذاكرة مرمزة برمز Codon واحد.

كمآ أستنبط من عطف «ٱلقرءان ٱلمجيد» على ٱلرمز «قٓ» أنّ ٱلبحث ٱلعلمى ٱلذى تحوّل إلى ذاكرة ورمز واحد أصبح عظيمًا ووافرًا.

أما فى سورة «ٱلقلم» ٱلذى يشير عنانها إلى ٱلتقليم وٱلتمييز. فهناك عطفان:

ٱلأول هو «ٱلقلم».

وٱلثانى هو «وما يسطرون».

وأفهم من هذا ٱلبلاغ أن ٱلحركة وٱلصعود فى ٱلبحث ٱلعلمى وبلاغاته وتمييزه يوصل إلى مرحلة تقليم وتمييز ٱلمعلومات وٱلمخطوطات وترميز كل ذلك معًا برمز واحد. وهذا ما نجده ٱليوم فى ٱلانترنيت وبنوك ٱلمعلومات.

من ٱلموكّد سيقول ٱلكثيرون إلى أين ذهب بنـا هذا؟

لا توجد غرابة فى هذا ٱلسؤال. لأن ما فى قلوب ٱلناس أن رسالة ٱللّٰه من لون قوم ٱلرسول. وإنها مجرد تعليمات لهم للصلاة وٱلحج وٱلوضوء... وهذا سببه هجر قوم ٱلرسول للقرءان.

ٱلقرءان هو بلاغ فيه ٱلبيان وٱلتبيان لكل شىء. وهذا ٱلدليل لا يظهر إلا بٱلبحث ٱلعلمى وبلاغه. وفى ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلأمر ٱلالـٰهى ٱلذى يجعل من يتبعه يكشف عن ٱلبيان وٱلتبيان:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

وإنَّ ٱلدافع إلى ٱلبحث ٱلعلمى ورآءه ٱلسؤال عن ءايات ٱلوجود:

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ / ٢٠/ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ / ٢١/﴾ ٱلذاريات.

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣ ٱلجاثية.

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ ٧ يوسف.

يوسف وإخوته يمثلون ٱلكواكب فى ٱلمجموعة ٱلشمسية.[1] وهىَ ءايات يلاحقها ٱلسَّآئلون بجميع وسآئل ٱلبصر ٱلصنعى. وٱلسؤال يتعلق به بلاغ ينجم عن ٱلبحث فى ٱلشىء. وٱلقرءان هو مواصلة ٱلبلاغ من دون توقف.

مآ أجده فى بلاغات ٱلبحث ٱلعلمى وٱلنظر فى ٱلوجود أنها تطورية تصاعدية. وٱلوصول إلى بلاغ مبين لمسألة يكوّن مسألة جديدة يتعلق فيها بلاغ جديد مبين. ولهذا سمّىَ ٱلوحى «قرءانًا عربيًّا» لأنه ٱلبلاغ ٱلمبين فى جميع مراحل ٱلسؤال وٱلبحث ٱلعلمى.

وقد جآء فى ٱلبلاغ عن كتاب ٱللَّه ٱلنبأ ٱلتالى:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا﴾ ٢٣ ٱلزمر.

ٱلمتشابه هو ٱلنسبى فى ٱلبلاغ. وهذا بسبب ٱلحركة وٱلصعود بفعل ٱلنظر وٱلبحث فى كتاب ٱلكلمة ٱلكينونة. وإنّ ٱلنظر فى كتاب ٱلكلمة ٱلبلاغ وٱلمطابقة بينهما يحفظنا من ٱلسقوط فى ٱلظن وٱلكذب كما جآء فى ٱلنبإ:

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ ٣٩ يونس.

تأويل ٱلنبإ هو فىَ إعادته إلىَ أصله ٱلحق فى ٱلوجود بقرنه مع ٱلكينونة ٱلتى حملَ ٱلبلاغَ عنها. وهذا يجرى بٱلنظر فى ٱلكينونة وٱلكشف عن كلماتها ودليل كل منها بواسطة «ٱلترجمة الارتدادية الممكنة» وهى ٱلتى ينجم عنها بلاغ نسبى

---

(١) كتابنا «ٱلاستنساخ» بحث «يوسف وإخوته».

سرعان ما يتحول إلى مسألة للنظر جديدة. وهذا ما يفعله علمآء كلمات ٱلكينونة بكل ٱلفروع ٱلعلمية.

ويفرُقُ منهاج هؤلآء عن منهاج ٱلأكثرية من ٱلناس ٱلذين جآء وصف منهاجهم فى ٱلنبإِ ٱلتالى:

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ٣٦ يونس.

وهكذآ أرىَ أن ٱلبلاغ عن ٱلكلمة ٱلكينونة فى ٱلقرءان ٱلذى حمله لسان عربى «قرءانًا عربيًّا» يصدُقه ٱلبلاغ ٱلعلمى لدى جميع ٱلفروع ٱلعلمية من دون ٱستثنآء.

ٱلكتاب ٱلمبين

رأيناَ أن ٱلكتاب ٱلمبين هو كتاب ٱلكينونة. سوآء ءَعلمنا بكلماته أم لم نعلم. كما رأيناَ أن كلمات هذا ٱلكتاب تقوم على بنآء ثلاثى يماثله ٱلبنآء ٱلثلاثى فى ٱلّسان ٱلشامى.

وإذا عدنا للمتابعة مع ٱلسور ٱلمرمّزة كسورة «ٱلزخرف» وسورة «يوسف»:

﴿حمٓ /١/ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ /٢/ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ /٣/﴾ ٱلزخرف.

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ /١/ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ /٢/﴾ يوسف.

نرى فى سورة «ٱلزخرف» أنّ «ٱلكتٰبِ ٱلمبين» جآء معطوفًا على ٱلرمز ٱلثلاثى «حَم». ونجد توكيدًا على جعل «ٱلكتٰبِ ٱلمبين» قرءانًا عربيًّا. أى ترجمته إلى لسان إنسانى يبينه. وهو ما يدلنا عليه ٱلقول «جعلنٰه».

وأستنبط من تلاوة ٱلأيات ٱلثلاثة أن «ٱلكتٰب ٱلمبين» هو ٱلوجود ٱلحقّ جميعه.

وأنه مبين للأفعال ٱلجارية فيه خارج إدراكنا. وأن ٱلجعل هو نقل ما يجرى فى ٱلوجود إلى لسان إنسانى يبلغنا عن حق ٱلوجود بطريقة يسيرة وقابلة للحفظ فى ذاكرتنا.

أمّـا فى سورة «يوسف» فنجد أنّ ٱلأية ٱلأولى تبدأ برمز ثلاثى مضاعف أوله.

وتليه كلمة ٱلإشارة ٱلتى تبين أن «ءايٰت ٱلكتٰب ٱلمبين» ينطلق تكوينها من كلمات ثلاثية ٱلرموز. وهذا يشمل ءايات ٱلوجود جميعه. ووجودها يحدث بقوة أفعال وهداية منهاج موزع فيها (موزع = ذاتى ٱلفعل). وكل ذلك يحدث خارج إدراكنا.

هذه ٱلأيات هى ٱلتى جُعلت ﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ فى سورة «ٱلزخرف» ثمّ جرى توريدهآ إلى ٱلناس للعلم بها وتذكّرها وٱلهداية بهآ إلى حقوق ٱلوجود بٱلوسيلة ٱلتى يبينها ٱلقول ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ فى سورة «يوسف».

ٱلجعل وٱلإنزال فى ٱلسورتين كان ٱلمأرب منهما واحد هو «لعلكم تعقلون». (١)

وٱلعقل يجرى بين بلاغ ٱلعلم ٱلناظر فىٓ ءايات ٱلحقّ وبلاغ ٱللّه ٱلمنزّل. وبهذا ٱلعقل نوصل إلى ٱلتصديق.

ٱلكتاب ٱلمبين ٱلذى كان فعله ومنهاجه يجريان خارج إدراك ٱلناس جعله ٱلبلاغ فى متناول ٱلإدراك. وقد جآءنا بلاغ تفصيلى عن بعض حقوقه بواسطة علمآء ٱلبيولوجيا ٱلجزئية نعرضه فيما يلى على سبيل ٱلعقل:

[في نواة الخلية يختزن مخطط بناء الخلية ووظائفها بكل تفاصيله بصيغة «رموز»، أي بصيغة إشارات تعني أشياء لا تتطابق مع ذاتها. هنا في نواة الخلية حلّت الطبيعة هذه المسألة التجريدية بأن خزنت المعلومات اللازمة بواسطة الاصطفاف، أي التسلسل الذي تتخذه الوحدات الأصغر. يحصل ذلك وفق نفس المبدأ الذي نستخدمه نحن في عالمنا ذي المقاييس الأكبر بأرقام فلكية، وبمساعدة وعينا القادر على التجريد، لتخزين الكلمات والمفاهيم بواسطة الكتابة. تستطيع جزيئة DNA واحدة تتكون سلسلتها من عدّة ملايين من الشيفرات الثلاثية أن تحتوي مخططات بناء عدد كبير من الجسيمات الأمينية المختلفة دون أن تتداخل التعليمات المختلفة مع بعضها البعض.

---

(١) كتابنا «ٱلدين خرافة أم علم؟» بحث «ٱللّسان ٱلعربى ٱلمبين».

إن قطـر الخلية المنفردة لا يزيد وسطياً عن واحد من عشرة من الميليمتر. في هذا الحجم الضئيل يجب أن تحصل في كل ثانية مئات وألوف التفاعلات الكيميائية بجانب بعضها البعض دون أن يضايق أي منها الأخر. في هذا الظرف البيولوجي يتوجب على الأنزيمات تنفيذ مهمتها، وبهذا التنوع في الاختصاصات حيث لكل تفاعل بيولوجي أنزيم خاص يستطيع وحده إحداث التغير الكيميائي في مادة التفاعل]. [(١)]

هذا ٱلبلاغ يكشف لنا عن أفعال بيولوجية عديدة. تجرى وفق منهاج موزع فيها. وفى مكان صغير. هو بلاغ عن كتاب مبين كانت تجرى فيه هذه ٱلأفعال قبل ٱلنظر وٱلبحث وٱلبلاغ. وكان ٱلنظر وٱلبحث فى كتاب ٱلخلية قد مكّن علمآء ٱلبيولوجيا من جعل هذه ٱلفعاليات بلاغًا بلسان يفهمه ٱلناس.

فى ٱلبلاغ وصف لكل ما ٱستطاع ٱلعلم ٱلبيولوجىّ إدراكه فيها من أفعال وحركة وهيئات ومنهاج.

وكان بلاغ ٱلقرءان قد حمل لنا بيانًا عن منهاج مخلوق لا تبديل فيه. ليس عن كتاب ٱلخلية وحده. بل عن جميع ٱلكتب ٱلمنتشرة فى ٱلوجود:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ ١٦ ٱلأنبياء.

فهو منهاج لا لعب فيه.

كما بين لنآ أنَّ أىَّ شىء فى ٱلوجود كَبُرَ أم صَغُر له كتاب يحصى مكوناته وأفعاله وصيرورته وموته:

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾ ٢٩ ٱلنبأ.

لم يعقل ٱلعلم بلاغه مع بلاغ ٱلقرءان وبذلك يبقى من دون هداية. ويبقى فى بيانه نقص. ويملأ هذا ٱلنقص فى ٱلبيان بقول ٱلظن وٱلافتراق عن منهاج ٱلعلم. وهو مع كل ٱلبيان ٱلذى جآء فى عرض «ديتفورت» عن كتاب ٱلخلية يقول

---

(١) تاريخ النشؤ. ديتفورت. ترجمة محمد كبيبو.

بٱلصدفة. ويستدل عليَ أن ٱلصدفة هى ٱلتى «**تقدم لنا البرهان الملموس على القرابة القائمة بين كل من يعيش على الأرض**».[١]

ويقول مفترقا عن منهاج ٱلعلم أن هذه ٱلصدفة نشأت:

[**بعد تخبط طبيعي دام عدة مئات من ملايين السنين، . . بعد انقضاء هذه المدة، اختارت الطبيعة بكل هدوء، من بين العدد الكبير اللا حصر له من الصفحات المطبوعة، بعض الصفحات التي كان توزُعُ الحروف ينحرف فيها بالصدفة المحضة عن الوسطي العام. استطاعت بعد ذلك استعمال هذه الصفحات لتحقيق أهدافها. لأن توزُعَ الحروف فيها، المنحرف عن الوسطي العام، جعلها متميزة غير قابلة للإلتباس وفتح بالتالي الباب أمام إمكانية استخدامها انتقائياً لوظائف محددة**].[٢]

بلاغ «ديتفورت» يظهر أنه لم ينتفع من ٱلبيان ٱلذى قدمه ٱلبلاغ ٱلعلمى لبنآء ٱستنباط يناسب ذلك ٱلبلاغ. وقد ترك ٱلعنان للفكر ٱلظّنّى ليقول أن «الطبيعة تملك من ذاتها صفحات مطبوعة». وأنها «تختار بهدوء». وأنها تميز ولا توقع فى ٱلالتباس وتستخدم «الصفحات انتقائيا لوظائف محددة».

هذه ٱلطبيعة ٱلتىَ أخرج ٱلظنُّ لها كل هذه ٱلقدرات ٱلعلمية ٱلذاتية وضعها ٱلظنُّ تحت تأثير «الصدفة المحضة».

لم أجد ٱلسيد «ديتفورت» يسأل ٱلطبيعة عن مأربها. ولآ أن يتبرع هو ويصنع لها مأربًا. ولم يخطر له أن من له مأرب لا يوقع تحت تأثير «الصدفة المحضة».

هذا ٱلأسلوب فى ٱلاستنباط ٱلظنى. على ٱلرغم من عظمة ٱلبيان بين يديه. يشبه ٱلمثل ٱلذى سخر فيه «ديتفورت» من ٱلذى يطرح ٱلسؤال ٱلتالى:

[**كم من الوقت يحتاج قطيع من ١٠٠ قرد لكي ينتج «بالصدفة» بالضرب العشوائي على ١٠٠ آلة كاتبة مقطعاً من مسرحية شكسبير؟**].[٣]

---

(١) تاريخ النشؤ.

(٢) ٱلمرجع ٱلسابق.

(٣) ٱلمرجع ٱلسابق.

هذه ٱلسخرية يحصرها «ديتفورت» بمقدار ٱلوقت وحده. إلآ أنه لا ينفيَ إمكانية كتابة ٱلمقطع من ٱلمسرحية!.

هذا ٱلأسلوب ٱلذى يركض ورآء ما يسمى بٱلصدفة ليملأ فراغات ٱلبلاغ ٱلعلمى. يشبه مَن يتوقف أما مسرحية شكسبير من بعد تلاوتها ويبدأ يفكر مليًّا. ثم يستنبط مخرّصًا أنها «**بعد تخبط طبيعي دام عدة مئات من ملايين السنين اصطفت الحروف والكلمات وتميزت عباراتها وفصولها «بالصدفة المحضة»**». ولا ينتبه إلىَ أن ٱلمؤلف هو شكسبير!.. بل هو لا يبحث عن ٱلمؤلف!. وكان من ٱلممكن ٱلوقوع فى شرك هذا ٱلمنطق ٱلصدفوى لولآ أن بلاغ ٱلقرءان عن تلك ٱلكلمات وتلك ٱلكتب فيه تحديد لهوية ٱلصانع ٱلمتقن.

لقد جآءنا بلاغ ٱلقرءان قبل بلاغ ٱلبيولوجيا ٱلجزئية عن هذه ٱلكلمات وتلك ٱلكتب. وفيه ما يبين أننا سنعلم صدقه بوسيلة ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلميين:

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧ ٱلأنعام.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ ٨٨ ص.

وفى كتابى هذا ٱستند على كثير من بلاغات ٱلبحث ٱلعلمى ٱلبيولوجى ٱلتى وردت فى كتاب ٱلسيد «ديتفورت». ليس لأنها غير متوفرة فى مراجع أخرى. بل لأظهر أن ٱلمنهاج ٱلذى يقوم على ٱلرّيب يبقى عماده ٱلظن ويبقى فى عجز عن مقابلة بلاغ ٱلعلم مع بلاغ ٱللّه مهما كثرت أمامه ٱلبينات. لأن ٱلرّيب يقوم على ٱلظن وٱلشك وٱلتهمة وٱلحيرة وٱلاختلاط. وهذا كله يمنع من ٱلوصول إلى يقين.

تكوّن بلاغات ٱلبيولوجية ٱلجزئية معلومات علمية نسبيّة تصـدُق ٱلبلاغ فى ٱلقرءان. وقد جآء فيه عن نسبيتها:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ ٢٣ ٱلزمر.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ ٧ ءال عمران.

فكلمة «متشابه» تظهر علاقة ٱلمعلومة ٱلتى جآء بها ٱلبلاغ بٱلحق. ويبين أنها تشبه ٱلحق فى كلّ طُور نظرى يوصل إليه ٱلإنسان. فٱلكلمة ترمز لما نريده بكلمة «نسبية». ودليل ٱلنسبية نجده فى دليل ٱلفعل «نَسَبَ» ٱلذى يدل على ٱلوصف وٱلإنتمآء وٱلقرابة. فى حين نجد أنَّ دليل كلمة «متشابه» فى دليل ٱلفعل «شبه» ٱلذى يدل على ٱلتماثل بين شيئين فى ٱلمظهر. وٱلشيئان هما ٱلمعلومة ٱلتى جآء بها ٱلبلاغ وٱلحق ٱلوجودى. وٱلمعلومة تحكمها سنَّة ٱلرّب فى ٱلوجود:

﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ ٨٨ ٱلقصص.

وهى ٱلقوة ٱلمولدة للتشابه فى كل زمان.

لقد جآء فى ٱلبلاغ عن كلمات ٱللَّه علىَ أنها لا مبّدل لها:

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾ ٢٧ ٱلكهف.

وأن هذه ٱلكلمات هى ٱلأفعال ٱلتى بواسطتها يُحقّقُ وجود ٱلأشيآء:

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ ٨٢ يونس.

وأن هذا ٱلتحقق يحكمه منهاج ومأرب وأنه لا سبيل للّعب وٱلعبث فيه:

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ ١٦ ٱلأنبيآء.

ويتوكّد نفى ٱللّعب وٱلعبث فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٍ /٤٩/ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ /٥٠/﴾ ٱلقمر.

فى هذا ٱلبلاغ أنَّ ٱلخلق ٱلإلـٰهى للشىء يضمّ ٱلعدد وٱلهيئة ٱلتكوينية معًا. كمآ أنَّ أمر ٱلتسوية يصدر لمرّة واحدة ولا يكرر. وتجرى ٱلتسوية بسرعة ٱلضوء.

وهذا يبين ٱلعلم وٱلتحكم وٱلمأرب فى ٱلخلق.

وفى ٱلبلاغ ما يوكّد ٱلإرادة وٱلمأرب من ٱلفعل:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ١٤ ٱلحج.

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ١٠٧ هود.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ١٦ ٱلبروج.

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ ٢٧ إبرٰهيم.

هذه ٱلبلاغات واحدها وجميعها تبين أنه لا مكان للصدفة وٱللّعب وٱلعبث أبدًا.

لم أرَ فى بلاغ ٱلقرءان أىّ نقص فى مستلزمات علمنا بـ «كيف بدأ الخلق». وفيه ٱلبلاغ ٱلذى يبين ذلك:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ ٥٤ ٱلكهف.

وزيادة على ما تقدّم فإن بلاغ ٱلقرءان يبين كتب لم تكتشف ٱلبيولوجيا ٱلجزيئية إلاّ ٱلقليل منها حتى ٱلأن. ومن هذه ٱلكتب ما تظهرها ٱلبلاغات ٱلتالية:

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ٢٤ ٱلنور.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٩ ٱلجاثية.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ ٦٥ يس.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ /١٦/ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ /١٧/ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ /١٨/﴾ ق.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ /٢٠/ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ /٢١/ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ /٢٢/﴾ فُصّلت.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا /١٣/ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا /١٤/﴾ ٱلإسراء.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ ١٢ يس.

وفى جميع هذه ٱلبلاغات بيان لكتب تتوزع فى جميع أقسام جسم ٱلإنسان وفيها يجرى نسخ جميع أقواله وأفعاله وأعماله. وبها يجرى حسابه يوم ٱلحساب.

وقد جآء فى ٱلبلاغ عن هذه ٱلكتب أنها تحصى كل شىء من دون ٱستثنآء:
﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبٗا﴾ ٢٩ ٱلنبأ.

وأعود إلى قول «ديتفورت» وأعقل بينه وبين بيان بلاغ ٱلقرءان:

[في هذا العالم لا يضيع أي شيء. ما من شيء حصل في أي وقت من الأوقات إلاّ وترك بعد إنقضائه آثاراً ما تدل عليه. والمطلوب هو فقط كشف وإيجاد هذه الآثار وتعلم طريقة قراءتها. لقد اكتشف العلماء في السنين الأخيرة الآثار الأولى لتطور الحياة المبكر قبل ثلاثة ونصف مليار سنة. علاوة على ذلك، فقد نجحوا في أن يشتقوا من هذه الآثار المعلومات الأولى التي تبين كيف سارت الأمور في هذه الخطوة الهامة من التطور. إن الصدى الأول الذي بدأنا نسمعه بفضل هذه الدراسات الحديثة حول ذلك الماضي البعيد هو جدال عارم لا رحمة فيه. أما التكنيك الذي استخدمه العلماء لإلتقاط هذا الصدى، فإنه مذهل، لكن ما يبعث أكثر على الذهول هو المكان الذي اكتشف فيه هذا الأثر. إنه الإنسان ذاته. كل منا، وكذلك جميع الكائنات الحية الموجودة اليوم، بدون استثناء، يحمل في داخله آثار ما حصل على الأرض آنذاك، قبل حوالي ٤ مليار سنة]. (١)

فما جآء فى قول «ديتفورت» كان قد بينه ٱلبلاغ من قبل:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ ١٢ يس.

«إمامٍ مبينٍ» هو ٱلدليل ٱلمبين ٱلمفصل ٱلقريب ٱلأخذ.

❊ ❊

(١) تاريخ النشؤ.

إن كتاب ٱللّه هو ٱلكون جميعه وقد جآء فى ٱلبلاغ بيان ذلك:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٥٦ ٱلروم.

وفى كتاب ٱللّه ٱلكونى كتب لا تحصى:

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ ٧٥ ٱلنمل.

وجميع هذه ٱلكتب يتلازم فى خلقها ٱلعدد وٱلهيئة:

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ ٢ ٱلفرقان.

ويقترن ٱلعدد وٱلهيئة بمنهاج هداية:

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ٣ ٱلأعلى.

هذه ٱلكتب ٱلتى تمثل ٱلكون كما تمثل أجزآءه يوجد بيان عنها جميعًا فى كتاب محروس حراسة لا تنقطع ولا تغفل:

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ٢٩ ص.

ٱلقرءان هو هذا ٱلكتاب ٱلمبارك. فكلمة «مبارك» تدلّ على حراسة لا غفل ولا سهو فيها. وفيه قول باق عن ءاياته لا يختلط به قول بفعل تلك ٱلحراسة. وقوله للتدبير وٱلتّذكّر. وفيه بلاغ متشابه عن جميع ءايات ٱلكتاب ٱلكونى. وفى ٱلعقل بين بلاغه وبلاغ ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلميين هو ٱلتدبير ٱلذى يجعل ذاكرة أصحاب ٱلقلوب تشتعل بٱلإيمان وٱلتقوى وٱلعمل ٱلصالح.

ٱلكتب ٱلأولى

تتعلق ٱلبحوث ٱلسابقة بٱلكلمة وٱلكتاب. وقد عقلت فيها بلاغ ٱلقرءان مع بلاغات ٱلبحوث ٱلبيولوجية. ولما كانت ٱلكلمة لا تبدأ عند ٱلمادة ٱلحية كان لا بد من ٱلبحث عن بداية ٱلكتابة.

تقول «ٱلكوسمولوجيا» أن البداية ٱنطلقت من «انفجار أعظم» حدث فى مركز ٱلكون. ومن قولها نظرية «النموذج النبضى للكون» ٱلتى تعتمد على فكرة ٱلانطلاق من مركز وٱلابتعاد فى جميع ٱلاتجاهات ثم ٱلعودة مرة أخرىَ إلى ٱلمركز لإحداث ٱنفجار جديد.

هذه ٱلنظرية حسب بدايتها ونهايتها لا تتناقض مع ٱلبلاغ:

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ ١٠٤ ٱلأنبيآء.

وحسب ٱلبلاغ ٱلذى حمل ٱلبيان عن فجر أرىَ أنّ ٱلتصور ٱلمقترن بٱلانفجار باطلاً.[١]

وأذكّر بما جآء فى كتاب «ٱلاستنساخ»[٢] أن ٱلجسيدات ٱلأولية جآء فى ٱلبلاغ بيان عنها:

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ٣٦ ٱلتوبة.

---

(١) راجع كتابنا (ٱلدين خرافة أم علم؟) وكتابنا (ٱلاستنساخ).

(٣) بحث (ٱلنشأة ٱلأولى) وبحث (ٱلعدد ١٩ يستحق ٱلاهتمام).

وقلت أن «ٱلعدة» تشير إلى ٱلمقدار وٱلاستعداد (ٱلتهيؤ ٱلعددى). وأنّ ٱلمقدار هو ٱلعدد من دون ٱلهيئة (مجرد عن ٱلكيف) وهو أصل كل شىء:

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ ٨ ٱلرعد.

ٱلبلاغ عن «عَدة ٱلشهور» يتعلق بعدّة ٱلخلق (ٱلتصميم) للكون وقبل ٱلبدء بٱلتسوية (ٱلتنفيذ ٱلدقيق من دون نقص أو زيادة). أمّا ٱلتسوية فيقترن فيها ٱلعدد مع ٱلهيئة (ٱلكيف) ومع ٱلهداية:

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ٣ ٱلأعلى.

وتبدأ ٱلتسوية من «ٱلفجر» فتنبع «ٱلصّٰفّٰت وٱلزّٰجرٰت» كما سمّيت فى بلاغ ٱلقرءان. وهى فى ٱلفيزيآء «ٱلفيرميونات وٱلبوزونات». وبها تبدأ أفعال تسوية ٱلكون بجميع موجوداته من عدّة هى «ٱثنا عَشَرَ شهرًا» ٱلتى قلت عنها فى كتاب «ٱلاستنساخ» أنهـا ٱلجسيدات ٱلأساسية ٱلتى تنبع من «ٱلفجر» وتنطلق فى صفوف متوازية «ٱلصّٰفّٰت صفًّا» وفيها منهاج هدايتهآ إلى فعل ٱلتكوين.

تنطلق ٱلفيزيآء من نظرية «الانفجار الأعظم». وتجاربها تعتمد علىَ إحداث ٱنفجارات أو تكسيرات لكتل ٱلجسيدات عن طريق صدمها ببعضها فى معجلات ذات طاقة عالية. ثم تبدأ وصف هذه ٱلجسيدات ووصف سلوكها من بعد ٱلتكسير فى ٱلمعجّل. وفى تكسير ٱلجسيدات إلىَ أجزآء أصغر يساعد فى وصف ٱلبنية ٱلمادية فىَ أصغر حدود تكتشف منها. وبهذا ٱلاكتشاف يحدث ٱلتعرف على حركتها وعلى طاقتها ويستفاد من ذلك فى فروع علمية متعددة ومنها ٱلعلم بٱلنشأَة ٱلأولى.

إلآ أن علمآء ٱلفيزيآء يجرون هذه ٱلتجارب من دون عقل بين ما يخرج به نظرهم وبين بلاغ ٱلقرءان ٱلذى يقدم ٱلهداية لهم فىَ أعمالهم. وهذا يجعلهم من دون هداية وفى ريب. وستبقىَ أعمالهم على عظمتها تحت تأثير ذلك حتى يبدأوٓا أفعال ٱلعقل ويهتدوا بٱلبلاغ ٱلذى يوجه ٱلنظر وٱلبحث ويوفر ٱلنفقات وٱلجهود.

ٱلتصور لا يستطيع أن يقدم فكرة عن عدد ٱلجسيدات ٱلتى تنطلق من ٱلفجر.

وهى على ٱلرغم من عددها ٱلكبير لا يعيق أحدها ٱلأخر. تنطلق فى صفوف متوازية من دون خرق لسبيل ٱلصّف.

فى بلاغ ٱلبيولوجيا ٱلفعاليات ٱلكيميآئية ٱلمتعددة تجرى من دون عوق داخل نوى ٱلخلية ٱلحية بفعل «تخصص ٱلأنزيمات وٱلاصطفاف». وأرىَ أنّ سبيل ٱلاصطفاف نفسه فى ٱلجسيدات ٱلطاقية «فيرميونات». ومثله فى مسألة ٱلتخصص للجسيدات ٱلحفازة «ٱلبوزونات».

وبمآ أرىَ أجد نفسىَ أمام منهاج واحد فى فيزيآء ٱلتكوين وفى ٱلبيولوجيا. كمآ أن سبيل ٱلاصطفاف هو منهاج كتابتنا نحن.

وأرى فى ٱلبلاغ بيان هذا ٱلمنهاج وكيف يجرى ٱلحدث ٱلتكوينى. سوآء ءكان فى طور ٱلشهور «ٱللبنات ٱلأولى للتكوين ٱلكسمولوجى» أم فى «ٱلأحماض ٱلأمينية» وٱلتكوين ٱلبيولوجى:

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا /١/ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا /٢/ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا /٣/ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا /٤/﴾ ٱلذاريات.

ذرَّ ٱلشىء: فرقه ونشره. وٱلذرُّ هو ٱلنسل ٱلمنثور ومنه ٱلذرية ٱلتى تتكون بفعل ٱلتناسل. وٱلذرّة مجمع ٱلذرّ ٱلمكوّن للميزونات ذات ٱلتكوين ٱلزوجى.

وَقَرَ: ثَقُلَ. وٱلوِقرُ هو ٱلحمل ٱلثقيل.

يَسَرَ: سهل وخَفَّ.

قَسَمَ: جزّأ. جعله نصفين.

أَمَرَ: كَثَّرَ. وأَمِرَ: كَثُرَ ونما. وأَمَرَّ ٱلشىءَ: جعل له حدودًا وعلامات. وٱلأمارة هى ٱلعلامة.

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ فيها ٱلواو تدل على عطف طُورىّ على ٱلزجر (ٱلحفز) من وجهة وعلى تجمّع ٱلذّرّ بفعل ٱلزجر من وجهة أخرى.

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ ٱلحمل يعقب ٱلذرّ وينجم عنه زيادة فى ٱلثقل.

﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾ يجرى ٱلحمل وٱلثقل من دون عوق.

﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ يعقب جرىَ ٱلحمل ظهور جسيدات فى ٱلكوسمولوجيآ أو جسيمات فى ٱلبيولوجيا مميزة عن بعضها بعلامة Codon.

وفى هذا ٱلأمر فإنّ علمآء ٱلفيزيآء لا يزالون يستغربون سلوك سبيل ٱلصَّفّ. فيقول «أ. د. كريش»:

[«تتوفر للبروتونات، بشكل ما، فرصة أفضل للتصادمات العنيفة عندما تكون سبيناتها(*) متوازية. وعلى الرغم من أننا لا نعرف بشكل جازم سبب هذا السلوك الغريب(**) وغير المتوقع ابداً، فإنه ليس بالخبر السار للديناميكا اللونية الكمومية». «ولكن حقيقة كون اتجاهات السبين لها آثار كبيرة توحي أن فهمنا للطريقة التي تتفاعل بها البروتونات بعضها مع بعض ما يزال غير مكتمل. بل إن التجارب تشكك في النموذج المقبول حالياً للبنية الداخلية للبروتون»]. [1]

وما قاله ٱلسيد «كريش» عن «ٱلفهم غير ٱلمكتمل وٱلتشكك فى ٱلنموذج ٱلمقبول للبروتون» هو قول متشابه. لأن هذا «ٱلنموذج» ٱلمثل هو إدراك متغير لما يخرج به ٱلنظر فى ٱلحقّ. ولوَ أن هذا ٱلفهم قابَـلَ «ٱلنموذج» مع بيان بلاغ ٱلقرءان لسقط ٱلظن وبُنيت ٱلنظرية وفق ٱلمنهاج ٱلذى يتبع سبيل ٱلصَّفّ (ٱلتوازى).

ويوكّد ٱلسيد «كريش» على مفهوم ٱلتشابه فيقول:

[من المؤكد أن نتائجنا الجديدة هذه لم تكن أول نتائج سببت فيها ظاهرة السبين، الدهشة والارتباك للفيزيائيين]. [2]

ويوصل إلى ٱلقول ٱلذى يبيّن مسألة ٱلتشابه. فٱلفهم يخضع للتطور. وفى كل طور قول يشبه ٱلحق:

(*) ٱلسبين Spin هو ٱلاندفاع ٱلزاوى للجسيم.

(**) يرى ٱلفيزيآئيون أن تضاد (لا توازى) ٱلسبينات يجب أن يوفر فرصة أكبر للتصادمات فى ٱلمسرعات.

(١) التصادمات بين البروتونات الدوامة (م.ع.أ. مجلد ٥ ٱلعدد ٤ ـ ١٩٨٨).

(٢) ٱلمصدر ٱلسابق.

[إن دراسة التصادمات المرنة عند الطاقات الهائلة وانتقالات الطاقة اللازمة من أجل إجراء فحص تام للديناميكا اللونية الكمومية، تبدو بعيدة المنال في القرن الحالي. وربما يكون من الأفضل لنا أن نبحث عن نظرية جدية أكثر فائدة لتفاعلات البروتونات الدوامة ولمكوناتها الدوّامة.

إن فهمنا النظري للقوة الكهربائية والقوة الضعيفة وقوة الجاذبية أفضل من فهمنا للقوة (النووية) الشديدة التي تربط الكواركات والبروتونات والنترونات]. [١]

ٱلمثل (النموذج) ٱلوصفى لكلٍّ من بنية ٱلبروتون وبنية ٱلنترون يبين لنآ أن كلاً من ٱلبروتون وٱلنترون ثلاثى ٱلشهور (ٱلكواركات). وسلوك كل منهما يبينه ٱلقول ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾.

ٱلبروتون وٱلنترون ليسآ أول ٱلجسيدات فى ٱلتكوين كما ترى ٱلفيزيـآء. بل إنهما يتكونان من ٱصطفاف ثلاثى ٱلكواركات.

وبمتابعة ٱلنظر سيوصل قول ٱلفيزيآء إلى بيان ٱلبلاغ:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ٱلواقعة.

ٱلبداية تنطلق من ٱصطفاف ٱلعدّة «ٱثنا عشر شهرًا» ومنها تبنى ٱلأزواج (ٱلميزونات). ويتابع بعدها ٱلبنآء ٱلتكوينى ٱلثلاثى ٱلشهور إلىَ أن يوصل ٱلبنآء إلينا.

ٱلفيزيآئيون لم يتوقفوا عن ٱلنظر وٱلبحث فى ٱلمسألة ولهم قول متشابه أخر توصلوٓا إليه فى نظرية ٱلأوتار يبينه قول ٱلسيد «L . سَسكِند»:

[يعتقد كثير من الفيزيائيين أن الجسيمات الأولية مؤلفة من مكوِّنات أصغر منها. ومع أنه لا توجد نظرية نهائية لهذا التصور فإن المرشح الأكثر قبولاً هو نظرية الأوتار string theory. ففي هذه النظرية لا يشبه الجسيم الأولي نقطة بل هو أشبه ما يكون بشـريط مطاطي دقيق يمكن أن يهتز وفق منوالات modes عديدة، . . يوجد عدد لانهائي من مثل هذه المنوالات كل منها يقابل جسيماً أولياً مختلفاً]. [٢]

---

(١) ٱلمصدر ٱلسابق.

(٢) الثقوب السوداء ومفارقة المعلومات (م.ع. أ مجلد ١٤/ ٱلعددان ٨/٩/١٩٩٨).

«لا توجد نظرية نهائية لهذا التصور» والأوتـار تسلك سبيل ٱلصّفّ. وأرىَ أن ٱلتشابه يحكم جميع ٱلنظريات.

من ٱلكتب (ٱلحـروف) «ا ل م» يمكن بنآء ست كلمات منها بتغيير صفها «ا ل م، ا م ل، م ا ل، م ل ا، ل م ا، ل ا م».

أما ٱلـ «ٱثنا عشر شهرًا» فإن تكوين ٱلكلمات ٱلثلاثية ٱلشهور منها فلا حصر له. ومن هنا تبدأ ٱلكتابة الأولى فى كتاب ٱلحقّ (ٱلكون).

وإذا نظرنا فى كتب (حروف) ٱلكلمات ٱلتى تبدأ بها ٢٩ سورة فى ٱلقرءان نجد أنّ عددها ١٤ كتابًا «ا، ل، م، ص، ر، ك، هـ، يـ، ع، ط، س، ح، ق، ن».

وكان ٱلدكتور «محمد رشاد خليفة» قد رأىَ أن «١٢ حرفاً من هذه الحروف يتكرر فيما يسمى فواتح السور باستثناء الـ (ك) و (ن)، حيث ورد كل منهما مرة واحدة».[١]

كما وجد «أنهما يشكلان الفعل (كن)».

وأرىَ أنّ ٱلاستثنآء من ٱلتكرار يبينه ٱلبلاغ:

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ ٥٠ ٱلقمر.

كمآ أن ٱلأمر ٱلذى لا يكرّر يبينه ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ١١٧ٱلبقرة.

وإذ نؤيد ما رأىٰه ٱلدكتور خليفة فى ٱلكتابين (ك ن) فإننىَ أقول أن ٱلكتب (ٱلحروف) ٱلـ ١٢ ٱلأخرى هى ٱلتى جآء فى ٱلبلاغ (٣٦ ٱلتوبة) عنها ما يبين أنها عدّة ٱلشهور. وهى ٱلتى يبدأ ٱلتكوين ٱنطلاقته ٱلأولى من سلوكها سبيل ٱلصّفّ. سوآء ءَكان صفّها لتكوين ٱلأوتار أو لتكوين ما قبل ٱلأوتار. ويمكننى تحديد هذه ٱلكتب علىَ أنها ٱلأبجدية ٱلتالية:

---

(١) من كتاب (تفسير مفردات القرءان الكريم) ٱلأستاذ عاطف الزين.

«ا ل م ص ر هـ يـ ع ط س ح ق».

وهى مرتبة هنا وفق تسلسل ورودها فى ٱلسور ٱلـ ٢٩.

كمآ أن قيمة كل منها ٱلعددية حسب تسلسلها هو ٱلتالى:

«١- ٣٠- ٤٠- ٩٠- ٢٠٠- ٥- ١٠- ٧٠- ٩- ٦٠- ٨- ١٠٠».

أما ٱلكتابان «ك ن» ٱلمكونان للأمر ٱلتكوينى ٱلبادئ «كن» فيمثلان ما رأيته فى ٱلقول «عليها تسعةَ عشر» ٱلذى تقابله ٱلجسيدات ٱلزاجرة «ٱلبوزونات» وٱلتى يجمعها ٱلأمر ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.(١)

ٱلكتب ٱلـ ١٢ هى عدّة ٱلشهور ٱلـ ١٢. وٱلكتابان (ك ن) هما حاملا ٱلأمر ٱلتكوينى ٱلذى لا يكرر. وٱلذى يرافق عدّة ٱلشهور ٱلـ ١٢ عبر جميع أطوار ٱلصّف إلى نهاية ٱلتكوين وٱلعـودة إلى بداية جديدة.

كمآ أن وحدة ٱلبنآء فى كلمة ٱلتكوين (كوسمولوجيا وبيولوجيا وبلاغ) تدل على وحدة ٱلأصل لكلمات هذه ٱلفروع ٱلتى تعود جميعهآ إلىَ أصل ٱلنشأة ٱلأولى. وٱلتى تبدأ بسلوك ٱلـ «ٱثنا عشر شهرًا» سبيل ٱلصّف ٱلأول. وٱلتى تواصل هذا ٱلسبيل عبر جمبع أطوار ٱلتكوين. وأسس ٱلبنآء ثلاثة كتب. وهذا لا يمكن تفسيره بما يسمّى «صدفة».

ٱلدراسات ٱلمقارنة لأصول ٱلكلمات فى ٱلألسن ٱلمختلفة تظهر تسلسل (صفّ) أبجديتها وتكشف عن روابط ٱلقربى فيما بينها. وقد ورد فى قول «ديتفورت» مثل ذلك:

[إن التفسير الوحيد لذلك يكمن في الافتراض بأن الشعوب التي استخدمت ترميزات مشابهة لنفس المفهوم يجب أن تكون قد احتكت مع بعضها تاريخياً، لا بل هناك احتمالاً بأن تكون ذات أصل مشترك].(٢)

---

(١) كتابنا ٱلأستنساخ بحث ٱلعدد ١٩.

(٢) تاريخ النشؤ.

كذلك هى وحدة ٱلبنآء ٱلثلاثى وسلوك سبيل ٱلصّفّ فى كل من ٱلِّسان ٱلشامى وكلام ٱلوجود «فيزيآء وبيولوجيا».

وإن ما يوكّده ٱلدارسون عن لسان ٱلقرءان من أنه ٱلأطول عمرًا وٱلأكثر مادة من بقية ٱلألسن ٱلشامية. هو توكيد يبين حقًّا غير كامل. لأن وحدة ٱلبنآء ٱلثلاثى ٱلفيزيآئى وسلوك سبيل ٱلصّف يبدأ من ٱلأبجدية ٱلأولى (ٱلشهور) وٱلكلمات ٱلأولى. ثمّ تتابع ٱلكتابة ٱلكونية فىَ أطوار ٱلتكوين وفق سبيل واحد حتى وصولهآ إلى ٱلتكوين ٱلبيولوجى ونفخ ٱلروح.

وهذا لا يبين أنّ لسان ٱلقرءان هو ٱلأطول عمرًا وٱلأكثر مادة من بقية ٱلألسن ٱلشامية. بل هو لسان ٱلحق ٱلتكوينى وٱلبلاغ عنه.

فقد بدأت كتاباتنا وفق نفس ٱلسبيل ٱلذى سلكته ٱلشهور ٱلفيزيآئية وتابعت تطورها حتى بلغت طور ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين ٱلذى ورد فى ٱلكتاب ٱلمبارك (لقرءان).

هذا ٱلأمر يظهر لنآ أن لسان ٱلشام بفروعه وأطواره. هو ٱلذى وصل إلى طور حمل رسالة ٱللّه للناس كافّة. وهو يعود إلى بداية ٱلتكوين فىَ أصوله. وأن عمره هو عمر ٱلتكوين ذاته. وقد خضع هذا ٱلِّسان فىَ أطوار ٱلـروح إلى مسآئل ٱلنسخ للكلمات وهو تكراراها. وٱلنسيان لكلمات أخرى وإبدالها بخير منهآ أو مثلها:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٠٦ ٱلبقرة.

ولسان ٱلقرءان هو ٱلطور ٱلأخير لِلسان ٱلشام. وفيه ٱلكلمات ٱلتى نُسخت (صورة طبق ٱلأصل) وٱلكلمات ٱلجديدة ٱلتىَ أخذت مكان كلمات مثلها وأخرى نُسيت. وسلك فى تطوره سبيل منهاج ٱلأصل لنشوء ٱلكلمات ٱلأولى من بعد ٱلفجر.

أمّا ٱلِّسان ٱلشامى ٱلذى يستخدمه ٱليوم سكان إسرآءيل. فهو على ٱلرّغم من

أهميته فى بيان لسان كتاب موسى. لا يصلح لحمل لسان ٱلكتاب ٱلمبارك. بسبب نسيانه منذ عهد بعيد. مثل نسيان ألسن شامية أخرى كلسان بابل ولسان ءاشور ولسان سبأ وغيرها. وجميعها تستخدم ٱليوم لدراسة تاريخ ٱلِّسان ٱلشامى بطريقة تشبه ما يفعله ٱلفيزيآئيون فى ٱلمسرعات. وتعامل فروع هذا ٱلِّسان معاملة ٱلبقية ٱلأثرية.

لقد بين لنا ٱلبلاغ سبب ٱلنسيان. ورأيته فى ٱلموقف ٱلمعادى للنبوّة ٱلذى يسوق أصحابه إلى موقف ٱلنسيان على سلّم ٱلتطور:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ ١٠٥ ٱلأنبيآء.

وقد ظنّ ٱلذين قست قلوبهم من ٱلناس أن ميراث ٱلأرض يخصُّهم. فَعَميت قلوبهم عن رؤية ٱلحقّ فى ٱلبلاغ ٱلذى قرن ٱلميراث بٱلصلاح. ودفعهم ظنّهم للالتفات إلى خلف فتوقفت مشاركتهم فى صنع ٱلصلاح وٱلتنافس فيه بطرق خيّرة وسلمية. وتجاوزهم ٱلمصدقون للحقّ ٱلذين تابعوا ٱلميراث وٱلصلاح فى ٱلأرض.

وترى ٱليوم أنّ قوم ٱلرسول هم من ٱلذين كفروا وقست قلوبهم وهجروا ٱلقرءان. وقد جآء ظنهم بفئتين:

واحدة عادت إلى لسان منسىّ هو لسان سكان إسرآءيل ٱليوم.

وٱلأخرى ٱتخذت لنفسها لسانًا لغوًا ظنته لسانًا عربيًا.

وقد تجاوزهم أخرون وورثوا ٱلأرض بعلمهم وصلاحهم.

إن ٱلبحث ٱلعلمى هو سمة ٱلإنسان ٱلذى يطيع أمر ٱللّه ٱلمبيّن فى ٱلبلاغ:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

هذه ٱلطاعة قد تحدث عند ٱمرء عالم من دون أن تكون له هداية مباشرة من ٱلبلاغ. وبهذه ٱلحال لا يمكن له ٱلمتابعة من دون فساد ومن دون شرور فى ٱلأرض. إلآ إذا عقل بين بحوث ٱلعلم وبين ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين وٱتخذه هاديًا.

وحتى يكون ٱلعقل مجزيًا وٱلهداية كاملة على ٱلعلمآء أن يجهدوٓا أنفسهم للعلم فى دليل ٱلكلمة فى ٱلّسان ٱلشامى ٱلذى حمل ٱلبلاغ بلسان عربى مبين.

ٱلدليل

- فيزيولوجيا كلمة ٱلبلاغ
- تأثير ٱلدليل
- ٱلموقف



فيزيولوجيا كلمة ٱلبلاغ

يقسم علمآء ٱلفيزيولوجيا ٱلفؤاد (ٱلدماغ) إلىَ أقسام متعددة. ويرمزون لكل قسم بٱسم يتناسب مع ما يجرى فيه من أفعال فيزيآئية وكيميآئية. وهذه ٱلأقسام تسمى «**ٱلمهاد ٱلحسىَ، وٱللوزة ٱلمخية، وٱلقشرة ٱلمخية ٱلجدارية، وٱلتلفيف ٱلحزامى ٱلأمامى، وٱلتلفيف ٱلحزامى ٱلخلفى، وٱلقشرة ٱلمخية ٱلجبهية، وٱلقشرة ٱلمخية ٱلصدغية، وٱلحُصَين، وجذع ٱلدماغ، . .الخ**».

وٱستطاع ٱلعلمآء أن يوصفوٓا أفعال فيزيولوجية هامة تجرى فى هذه ٱلأقسام. ومنها أفعال فيزيولوجيا ٱلإدراك وٱلذاكرة. فيقول «J . وينسون»:

[إن الاضطرام في خلايا الدماغ، وخاصة منطقة الحُصَين والقشرة المخية الحديثة، يحدث عند الاستطلاع للمكان. والخلايا العصبية CA1 تضطرم لرسم خريطة الوسط المحيط وبذلك تودعها في ذاكرة].[1]

ويقدم كل من «F . كريك» و«Ch . كوخ» مثالاً على حدوث «ٱلاضطرام»:

[قد يكون هناك تمثيل في دماغك لتمثال الحرية، وهو تمثيل يكون في العادة خاملاً. وعندما تفكر فعلاً بذلك التمثال يصبح هذا التمثيل نشيطاً، إذ ينتاب الإضطرام العصبونات ذات العلاقة. وقد يحدث أن يتم تمثيل شيء ما بأكثر من طريقة. فقد تمثله صورة إبصارية أو مجموعة من الكلمات وما يتعلق بها من أصوات، أو قد تمثله لمسة

---

(١) «معنى ٱلأحلام» (مجلة ٱلعلوم ٱلمريكية- ٱلمجلد ١٥ ٱلعددان ٢/٣- ١٩٩٩).

أو رائحة. وهناك ظاهرة تسمى تنافس العينين يمكن أن تساعد على تحديد العصبونات التي يَرمُزُ إضطرامها للوعي]. [١]

ويتساءل كل من «كريك» و«كوخ»:

[فكيف يمكننا تفسير الأحداث العقلية على أنها نتاج اضطرام Firing مجاميع كبيرة من العصبونات؟]. [٢]

وصف فيزيولوجيا ٱلعصبونات بٱلاضطرام يسوقنا مباشرة للمقابلة مع ٱلكلمة فى ٱلقرءان:

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٧٨ ٱلنحل.

فقد وردت فى ٱلبلاغ وسآئل ٱلادراك ٱلتى تفعل فى صناعة وعينا للموجودات ٱلمحيطة بنا. وبه ننتقل إلى ٱلموقف ٱلمرجوّ «لعلّكم تشكرون».

لقد يبيّن ٱلبلاغ أن مقرّ ٱلسمع لدى ٱلإنسان واحد. أمّا ٱلأبصار وٱلأفئدة فمواقعها متعددة.

وما يبينه علم ٱلفزيولوجياَ أن عدد ٱلشعآئر ٱلسمعية (خلايا ٱلحس ٱلسمعى) فى ٱلأذن هو ٣٥٠٠ خلية فى مقابل مليون مستقبلة ضوئية photoreceptor فى ٱلعين.

وفى بلاغ ٱلعلم كشف عن أمرٍ يصدِّق ٱلبلاغ. فقد وصف بلاغ ٱلعلم سلوك ٱلعصبونات بكلمة Firing (ٱلاضطرام) وهو مفهوم نجده فى دليل كلمة «ٱلأفئدة» فى بلاغ ٱلقرءان ٱلتى تدلّ على ٱلعصبونات وسلوكها ٱلاضطرامى معًا.

كلمة أفئدة جمع من دليل ٱلفعل «فَأَدَ». وفى ٱلمعجم ٱلوسيط دليل حسىّ عليه:

---

(١) «لغز الحياة الواعية» (م. ع. أ ٱلمجلد ١٥ ٱلعددان ٢/٣- ١٩٩٩).

(٢) ٱلمصدر ٱلسابق.

«فَأد ٱلخبز أو ٱللحم: أنضجه فى ٱلرماد ٱلحار. وٱلفَأْدُ: توقد ٱلنار. وٱلمفأدة: أداة يشوى بها ٱللحم وأداة يحرك بها ٱلتنور».

ونقول أضرم ٱلنار لمن أشعلها.

فكلمة أفئدة تدلّ على مولدات حرارية فى لبّ ٱلإنسان (ٱلمخ أو ٱلدماغ). وهى ٱلأقسام ٱلعصبية ٱلتى تشتعل عندما توصل إليها مؤثرات حسية (بصرية وسمعية) على وجه ٱلخصوص. وترتبط كلمة فؤاد فى ٱلقرءان بٱلسمع وٱلبصر فى جميع بلاغاته.

هذا ٱلفعل ٱلفؤادىّ هو ما وصل إليه ٱلبحث ٱلعلمى من بعد ٱلنظر فى فيزيولوجيا (ٱلدماغ). وقد ٱقترب ٱلبحث ٱلعلمى بكلمة Firing من دليل كلمة ٱلأفئدة فى بلاغ ٱلقرءان. وهذا ٱلاقتراب بين بلاغ ٱلبحث ٱلعلمى وبلاغ ٱلقرءان يظهر صواب توجّه علمآء ٱلفيزيولوجيا وما وصلوًا إليه من علم فى مسألة ٱلإدراك.

إلى هنا عقلت ما يتعلق بفيزيولوجيا ٱلمؤثرات ٱلحسية وسلوك ٱلعصبونات ٱلاضطرامى فى بلاغين. بلاغ ٱلقرءان وبلاغ علم ٱلفيزيولوجيا. وأتابع مع فيزيولوجيا ٱلإدراك وٱلتأويل ٱلتى يقول كلّ من «كريك» و«كوخ» فيها:

[إن الوظيفة الأساسية للجهاز الابصاري، هي ادراك الأشياء والأحداث في العالم المحيط بنا، فإن المعلومات المتاحة لعيوننا لا تكفي بذاتها لإمداد الدماغ بتأويله المتميز للعالم المرئي. ولكي يؤول الدماغ ما يصل إلى عيوننا من معلومات <u>يجب أن يستخدم الخبرات السابقة</u>]. [1]

وعن هذه ٱلخبرة ٱلمطلوبة للتأويل يقول «J . D تشالمرز»:

[الخبرة الذاتية تنبثق من سيرورة فيزيائية، ولكنا لا نمتلك أي فكرة عن كيفية ذلك وسببه]. [2]

---

(١) «مشكلة الوعي» (م . ع . أ ٱلمجلد ١٥ ٱلعددان ٢/ ٣- ١٩٩٩). خط ٱلتشديد لنا.

(٢) «لغز الحياة الواعية» (م . ع . أ ٱلمجلد ١٥ ٱلعددان ٢/ ٣- ١٩٩٩).

أما «S . وانبرج» فيقول:

[على الرغم من قوة النظرية الفيزيائية، فإن الوعي لا يبدو مشتق من القوانين الفيزيائية]. (١)

ٱلخبرة هى ٱلشرط ٱلأساس لحدوث ٱلوعى كما يرى علمآء فيزيولوجيا ٱلدماغ. وقد ربطها «تشالمرز» بٱلسيرورة(*) ٱلفيزيآئية للدماغ نفسه على ٱلرغم من غياب تفسير ذلك عنده.

أما «وانبرج» فقد دفع بٱلخبرة إلى خارج ٱلنظرية ٱلفيزيآئية.

ويقوى موقف «تشالمرز» فى هذه ٱلمسألة بقوله:

[وحيثما توجد خاصية أساسية، توجد كذلك قوانين أساسية. وفي هذه الحالة يجب على القوانين ربط الخبرة بعناصر النظرية الفيزيائية. وهذه القوانين ستعمل كجسر يحدد كيفية اعتماد الخبرة على السيرورات الفيزيائية التي تستند إليها]. (٢)

هذا ما وصل علمآء فيزيولوجيا ٱلدماغ إليه من علم ونظر عن ٱلإدراك. ومنهم من رأىَ أنّ ٱلخبرة هى ٱلتى تدرب «ٱلدماغ» على تأويل صور وأصوات ٱلأشيآء. وأنّ هذه ٱلخبرة لا تحدث من «سيرورة فيزيآئية».

فماذا جآء فى بلاغ ٱلقرءان عن هذه ٱلفعالية؟

فى ٱلبلاغ ٧٨ ٱلنحـل ٱرتبطت «ٱلأفئدة» ووسآئلها ٱلحسـية بحكمٍ «لعلّكم تشكرون». على ٱلرغم من أن هذه ٱلمسألة (ٱلإدراك ومنها فعل ٱلشكر) نجدها فى بلاغ ٱلقرءان تقترن دآئما برمز أخر هو «ٱلقلب».

فلماذا ٱرتبط هذا ٱلحكم بٱلوسآئل ٱلحسية ومواقع ٱلاضطرام فى هذا ٱلبلاغ؟

تأتى كلمة «ٱلقلب» فى بلاغ ٱلقرءان دائمًا متعلقة بفعاليات كٱلفكر وٱلعقل

---

(١) ٱلمرجع ٱلسابق.

(*) Process: سلسلة أفعال متعاقبة (فى ٱلترجمة سيرورات).

(٢) «لغز الحياة الواعية» (م. ع. أ ٱلمجلد ١٥ ٱلعددان ٢/٣- ١٩٩٩).

وٱلتذكّر وٱلفقه وٱلإرادة وٱلايمان الخ. وهذه جميعها مراتب إدراك معرفى وعلمى لا يستطيع ٱلفؤاد بذاته أن يتوصل إليها على ٱلرغم من أن سيرورتها ٱلفيزيآئية تجرى فيه وبواسطته كما يبين بلاغ ٱلقرءان:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ٣٦ ٱلاسرآء.

وفيه أمر بٱلعلم ٱلذى يحدث بٱلاستناد إلى ٱلحاستين ٱلأساسيتين مع ٱلفؤاد.

أما ٱلبلاغات ٱلتى تتعلق بفعاليات ٱلإدراك فتبين أنّ «ٱلقلب» هو ٱلذى تتعلق به هذه ٱلفعاليات:

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾ ١١ ٱلفتح.

وفيه أن ٱلقول ٱلكاذب يحدوث فى ٱلقلب.

كذلك هى ٱلارادة:

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٠ ٱلقصص.

وفى هذا ٱلبلاغ كل من ٱلفؤاد وٱلقلب. ويظهر منه أنّ ردّ ٱلفعل ٱلجنىّ (ٱلغريزى) على فقدان ٱلولد يتعلق بكلمة ٱلفؤاد ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ﴾.

أمّا ٱلسلطة وٱلتحكم وٱلتوجيه ٱلإرادى للسلوك ٱلجنىّ (ٱلغريزى) فيتعلق بكلمة ٱلقلب ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾.

وعن أفعال ٱلعقل:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ ٤٦ ٱلحج.

وعن أفعال ٱلفقه:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ ١٧٩ ٱلأنعام.

وعن أفعال ٱلايمان:

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ ١٤ ٱلحجرات.

وعن مرض ٱلنفس ومكانه:

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ١٠ ٱلبقرة.

وعن قساوة ٱلتفكير:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ ٧٤ ٱلبقرة.

وعن ٱلخوف:

﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ ١٢ ٱلأنفال.

إن ترتيل ٱلبلاغات ٱلتى وردت فيها كلمة ٱلقلب كبير وأكتفى بما رتلته منها فهو يمكننى من ٱلاستنباط وٱلعلم بأنّ فعاليات ٱلإدراك جميعها تتعلق بٱلقلب ٱلذى يستمد مادته ٱلفيزيآئية من ٱضطرام ٱلأفئدة.

وما رأيته فى ٱلبلاغات يوكّد على قول «تشالمرز» ٱلذى يرى فيه وجوب «ربط الخبرة بعناصر النظرية الفيزيائية». ويبيّن أن فعاليات ٱلإدراك منشؤها فى فيزيولوجيا ٱلفؤاد (ٱلدماغ) خصوصا ٱلبلاغ ٣٦ ٱلاسرآء وٱلبلاغ ٧٨ ٱلنحل.

وكما قال «تشالمرز» عن ٱلخبرة فإن ٱلقلب لا يستطيع ٱلاستفادة من ٱلمعلومات ٱلتى خزنها ٱلفؤاد بوسآئله ٱلسمعية وٱلبصرية من دون هذه ٱلخبرة ٱلتى ما زالت مفقودة لدى علمآء ٱلنظر وٱلبحث العلميين حتى ٱلأن وٱلتى يظهرها قولهم عنها.

إن مسألة ٱلخبرة هى فى تدريب ٱلقلب وتثبيت أفعال ٱلتدريب فيه على ٱستخدام ٱلمعلومات ٱلمخزّنة فى ٱلأفئدة (ٱلعصبونات) فى هيئة سلسلة أفعال فيزيآئية. وفى توسيع فعاليات ٱلعصبونات ٱلفؤادية (ٱلاضطرامية).

لقد تناولت فى كتاب ٱلاستنساخ[1] كيف تمَّ كسب ٱلمعلومات بواسطة خبرآء مدربون للبشر[*]. ورأيت رمزا فى بلاغ ٱلقرءان تبدأ به فعاليات ٱلتدريب لاكتساب ٱلخبرة وهو كلمة «ٱلروح».

---

(١) بحث كسب المعلومات.

(*) الملآئكة هى كائنات مبرمجة لوظيفة محددة تشبه وظيفة ٱلروبوت.

هذه ٱلكلمة تستمدّ دليلها من دليل ٱلفعل رَوَحَ يروح. ويدلُّ على ما تدلّ عليه ٱلأفعال هيج وحرك ووسع. وبه نوصف ٱلهوآء عندما يكون فى حركة وهيجان وٱتساع فنقول عنه أنّه ريح.

فٱلأفئدة (ٱلعصبونات) ٱلتى تتلقى إشارات من وسآئلها ٱلحسّية تحوّل هذه ٱلإشارات إلى فعاليات فيزيآئية وكيميآئية فى هيئة رموز وتخزنها كمعلومات. وعندما تتكرر هذه ٱلإشارات يجرى ٱلتعرّف عليها وتقارن بٱلرموز ٱلمخزّنة. وهذا يجرى وفق قوانين ٱلفيزيآء.

إلاّ أنَّ نقل هذه ٱلمعلومات ٱلفيزيآئية إلى مرتبة ٱلخبرة وتفعيلها فى ٱلقلب يحتاج لتدريب حسى مكرر من ٱلخارج يتداخل مع ٱلمؤثرات ٱلحسية ذاتها ويزيد من فأد (ٱضطرام) ٱلعصبونات. ٱلتى تبدأ بترميز هذه ٱلمؤثرات ٱلجديدة ترميزًا فيزيآئيًا وتخزنها فى ذاكرة كما كان يجرى فى ٱلسابق قبل ٱلتدريب.

وبتكرار ٱلفعل ٱلتدريبى ذاته مرّات ومرّات يُثَبَّت ٱلمؤثر ٱلجديد كذاكرة دآئمة وبذات ٱلوسآئل ٱلفؤادية ٱلتى تفتح سجلات جديدة فيزيآئية وكيميآئية لهذا ٱلمؤثر ٱلجديد وتوسع مجال ٱلاضطرام ٱلعصبونى.

وبٱتباع ٱلأمر ٱلإلٰهى ٱلمتعلق بترتيل كلمات مسألة ٱلبحث:

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ ٤ ٱلمزَّمّل.

أرى ٱلشّبه لهذه ٱلفعالية ٱلرئيسة للتدريب ٱلحسى ٱلذى يُكسب ٱلخبرة.

وبتطبيق ٱلأمر على «ٱلروح» يسوقنآ إلى فهم مسألة ٱلخبرة. وأبدأ بٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٥٢ ٱلشورى.

فعل «ٱلروح» جرى فى قلب ٱلنبى وغيَّر ما فيه من فقدان ٱلدّراية قبل ٱلوحى ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾.

دليل ٱلفعل «تدرى» فى دليل ٱلفعل «درى» وهو فعل ٱلعلم بٱلجزئيات وٱلخبرة فيها. ومنه «ٱلدراية» وٱسم «مدراة» ٱلتى تفرق بين ٱلحبّ وٱلقش.

ويبين ٱلبلاغ أنّ ٱلنبى كان قبل ٱلوحى جاهل فى ٱلمعرفة وفى ٱلعلم وأنّ ٱلرُّوح جعله «يدرى».

وفى ٱلبلاغ ٱلتالى بيان لمسألة ٱلروح:

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٩٧ ٱلبقرة.

كلمة «جبريل» تستمدّ دليلها من دليل ٱلفعل «جَـبَرَ» ٱلذى يدلّ على صلح وحسن. وفى ٱلمعجم ٱلوسيط دليل حسيّ: «**جَبَرَ ٱلفقير: أصلح حاله وكفاه حاجته. وجَبَرَ ما فقده: عوضه. وجَبَرَ الأمر جَبراً: أصلحه وقوّمه. وتجبَّر النبتُ: أخذ يخضرُّ بعد يُبسٍ**».

ومنه قول ٱلعامّة: (ٱللَّه يجبر عليك ويجبر بخاطرك).

وٱسم ٱلجبَّار من أسمآء ٱللَّه ٱلحسنى وهو ٱلقادر علىَ إعادة ما ذهب. ومنه قدرته على بعث ٱلموتى.

وٱسم جبريل كلمة شـامية أصيلة جرى نسخها فى بلاغ ٱلقرءان ٱلعربى ٱلمبين. وهى مركبة من:

جَـبَرَ ٱلتى تدلّ على ٱلصلاح. وإيل ٱلتى تدل على قوّة ٱلتغلب على ٱلعطالة.

فٱسم جبريل ٱلمركب فى بلاغ ٱلقرءان يدل على ٱلصلاح لتلك ٱلقوّة ٱلمعطلة فى قلب ٱلنبى قبل ٱلوحىَ إليه. وٱلذى نزل على قلب ٱلنبى هو صلاح ٱللَّه لقلبه ٱلذى كان لا يدرى قبل ٱلوحى.

وقد بيّن ٱلبلاغ أنّ هذا ٱلصلاح ٱلإلـٰهى جرى وفق سنَّة ٱللَّه فى ٱلوجود ٱلتى لا مبدّل لها «بإذن ٱللَّه». وإذن ٱللَّه هو قوانين ٱلفيزيآء.

ويوكّد ٱلبلاغ ٱلتالى ما وجدته فى دليل ٱسم «جبريل»:

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ / ١٩٣/ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ / ١٩٤/﴾ ٱلشعرآء.

ٱلرّوح هو ٱلذى نزل بٱلصلاح ٱلإلـٰهى على قلبه. وٱلرّوح هو ٱلحركة وٱلهيجان وٱلتوسع ٱلذى يأتى به ٱلتدريب لاكتساب ٱلخبرة. وبها تتوسع مخازن ٱلأفئدة (ٱلدماغ) وتزيد فعاليات ٱلفأد (ٱلاضطرام).

وما جآء عن ٱلرّوح فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ ٨٥ الاسرآء.

يُعلّق «ٱلرّوح» بأمر ٱلرّب ويدلنا على ٱلرابطة ٱلمباشرة بٱلوجود ٱلحقّ وسننه «**ربط الخبرة بعناصر النظرية الفيزيائية**».

وفى ٱلبلاغ ٱلتالى زيادة فى بيان ٱلمسألة:

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ ٩٨ ٱلبقرة.

وردت فيه على ٱلتوالى وسآئط ٱلتدريب على ٱكتساب ٱلخبرة وتفعيلها فى قلب ٱلبشر ٱلذى يخرج ٱلإدراك وٱلدراية.

وأوّل هذه ٱلوسآئط ومصدرها ٱلوحيد هو ٱللّه.

وثانى هذه ٱلوسآئط هى «ملـٰٓئكته». وهى وسآئط تشبه ٱلروبوت وقد تلقت ٱلأمر للفعل وفق منهاج محدّد فيها من قبل ٱلخالق لا تتمرد عليه. وفعلها فى ٱلتدريب يشبه تنزيل ٱلويندوز فى كومبيوتر فيجعله ٱلأساس لفعاليات ٱلمناهج ٱلمختلفة.

ويوكّد أنّ ٱلملآئكة هى ٱلتى باشرت بتدريب ٱلبشر على ٱكتساب ٱلخبرة ما جآء على لسان قوم نوح فى بلاغ ٱلقرءان:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ٢٤ ٱلمؤمنون.

وبه نعلم أنّ نوحًا هو أول مدرّب بشر. وبه بدأت ٱلواسطة ٱلثالثة «رسله».

وبسبب ما تعوّد عليه ٱلبشر من أنّ ٱلمدرب مَلَك فلم يصدق قوم نوحٍ نوحًا.

لقد كان تدريب ٱلملآئكة للبشر يشبه ما يفعله ٱلمدربون للوحوش فى حظآئر

ٱلسيرك فى ٱلمرحلة ٱلأولى من ٱلتدريب. ثم جآء ٱلتدريب على مرحلة ثانية وثالثة عبر عدة أجيال من ذات ٱلفريق ٱلبشرى ٱلمختار لهذا ٱلتدريب. وقد ٱستغرقت فترات ٱلتدريب أزمنة طويلة. فٱلذين ٱكتسبوا ٱلخبرة تحوّلوا بهآ إلىٓ «ءادم» ٱسم يدل على ٱلضدّ من ٱسم «وحش». وبه بدأ فعل ٱلاصطفآء وهو ما يبيّنه ٱلبلاغ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ٣٣ ءال عمرٰن.

أما ٱلذى نفر من ٱلتدريب فبقىَ فى طور ٱلبشر «بهيمًا».[1]

وثالث ٱلوسآئط هم «رُسُـله». وهؤلآء ليسوا من ٱلملآئكة بل هم من لون ٱلبشر ٱلذى صار هو ٱلمدرب للناس ٱلذين ٱرتقوا وفق سنّة ٱلاصطفآء عبر مراحل ٱلكسب ٱلأول للخبرة فى ٱلروح.

ثم يأتى ٱلوسيط ٱلرابع «جبريل» ٱلذى يدلّ على ٱلصلاح للقلب وجعل قدرته علىَ إدراك ٱلمعلومات وفعاليات ٱلتفكير كاملة. وقد جرى ذلك عن طريق «ٱلوحى» ٱلمباشر من ٱللّه كما يبين ٱلبلاغ ٥٢ ٱلشورى.

أمّا ٱلوسيط ٱلخامس فهو «ميكـٰل» ودليل هذا ٱلاسم من دليل ٱلفعل «كَـيَلَ» وبه يحدّد ٱلمقدار سوآء ءكان فى ٱلوزن أم فى ٱلبعد.

ومآ أرىٰه فى دليل ٱسم «ميكـٰل» أنّه يمثل «ٱلرّوح» بعد أن توسع ٱكتساب ٱلخبرة بٱلوسآئط ٱلأربعة ٱلسابقة. وأصبح تطور ٱلرّوح يتوقف على سعى ٱلإنسان بنفسه لزيادة ٱلمقدار ٱلمعرفى وٱلعلمى فى قلبه. وخضوعه لأسس جدلية ٱلتنافس وٱلمعارضة وٱلتقويم وٱلتشابه ٱلتى تتولد من ٱتباع «ملة إبرٰهيم حنيفًا». وهذا ٱلأمر يبين سبب ٱلختم للنبوّة.

بعد هذا ٱلتفصيل فى وسآئط ٱلخبرة. وبعد ٱلنظر فى دليل كلٍّ منها فى تسلسل ورودها فى ٱلبلاغ ٩٨ ٱلبقرة. يتكون دليل ٱلقول لدىّ فى ذلك ٱلبلاغ.

---

(١) راجع كتابنا ٱلاستنساخ بحث كسب ٱلمعلومات.

ويبين لىَ أن ٱلذين يتخذون موقف ٱلعدآء للَّه يرتبطون بمواقف ٱلعدآء لسلسلة أطوار ٱلرّوح ٱلتى بدأت مع ٱلملآئكة. ويتابعون موقف ٱلعدآء إلى يومنا هذا. فٱلذين غطّوا قلوبهم ومنعوا ٱلروح من ٱلحركة وٱلتوسع فى ٱكتساب ٱلخبرة وحاربوه لمنع توسعه وحركته مصيرهم ٱلتخلف وٱلتراجع إلى خلف فى سلم ٱلتطور. لأن ٱللَّه وكّد فى ٱلبلاغ على عداوته لهم «فإنَّ ٱللَّه عدوّ للكٰفرين».

ٱلكفر هو فى تغطية ٱلقلب وحجبه عن ٱكتساب ٱلخبرة بدءًا من أول طُور تدريبى وإلى رسالة ٱللَّه «ٱلقرءان» ٱلتى نزلت وحيًا على قلب ٱلرّسول محمد.

ومن بعدها ومن دون وحى يبدأ ٱلرّوح مسيرته فى طُور أخير هو طُور «ميكٰل». وبهذا ٱلطُّور يأتى بلاغ ٱلعلم ٱلناظر وٱلباحث بٱلعلم ٱلمقارن مع بلاغ ٱللّه فى ٱلقرءان. فيوصل ٱلعالم ٱلذى يعقل بين ٱلبلاغين إلى ٱلإيمان وٱلتصديق وٱلهداية.

لقد جآء فى ٱلبلاغ عن ٱلكافرين وفيه وصف لقلوبهم:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ﴾ ٧٤ ٱلبقرة.

وهم أنفسهم يصِفون قلوبهم:

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۚ﴾ ٩٨ ٱلبقرة.

لقد بينت لنا ٱلبلاغات ٱلتى رتلنا كيف تم «ربط الخبرة بعناصر النظرية الفيزيائية». وكيف تولت أفعال ٱلتدريب وأطواره فى تكوين ٱلخبرة ٱلمتحركة وٱلمتوسعة «ٱلرّوح» فى ٱلفؤآد (ٱلدماغ). وجعلها معلومات فيزيآئية مخزونة وبها يجرى فعل تأويل ٱلأشيآء ٱلمبصرة. وكلمة «ٱلخبرة» ٱلتى جآء بها بلاغ علمآء فيزيولوجيا ٱلدماغ لا تكفى لبيان دليل كلمة «ٱلرّوح» ٱلتى وردت فى بلاغ ٱلقرءان. فكلمة «ٱلرّوح» فى دليلها دليل ٱلخبرة وٱلحركة وٱلوسع فى فعاليات ٱلفؤآد (ٱلدماغ) ٱلمسئولة عن إحداث ٱلإدراك وٱكتساب ٱلمعلومات.

يوجد لدينا ٱليوم. وكما كان منذ أزمنة طويلة. وفى كل بيت من بيوتنا.

بيان عن «نفخ ٱلرّوح» فى قلوب أطفالنا. وٱلمدربون هنا هما «ٱلوالدان». وتساعد مؤسسات ٱلمجتمع ٱلوالدين فىَ إكمال أفعال ٱلتدريب إلىَ أن يأتى دور ٱلمدرَّب ليكون هو ٱلمدرِّب لنفسه.

أمّا ٱلتدريب ٱلجارى فى مجتمعات ٱليوم فهو لا يقترن بهداية بلاغ ٱلقرءان. مما يجعل «أرواحنا» قاصرة عن ٱلحركة وٱلتوسع بهداية تخفف وتمنع من ٱلضياع فى ٱكتساب ٱلمعلومات فى طُور «ميكٰل» ٱلتى توصلنآ إلى طُور «يوسف» ٱلذى يجعل ويستخرج ٱلسقاية من رَحلِ أخيه.[1]

ما وجده ٱلعلمآء من أنّ ٱلعصبونات ٱلدماغية توجد «بأعداد كبيرة وهي مصطفة على التوازي».[2] وقد تبين لهم كثرة عددها وكذلك ٱصطفافها. يشبه ما وجدناه فى جسيدات ٱلتكوين ٱلكسمولوجى وجزيئات ٱلبيولوجيا.

كمآ أنّ ما وجدوه من ٱضطرام فى ٱلعصبونات يحدث بهيئة مجاميع (كما فى ٱنتقال ٱلشحنة ٱلكهربآئية فى مجموعة مصابيح كهربآئية على ٱلتسلسل وبمؤقت تسلسلى) يدل على وحدة ٱلهندسة ووحدة ٱلفعل فى ٱلوجود بكل ألوانه وهيئاته. وفيه برهان فيزيآئى وبيولوجى على وحدة ٱلخالق فى ٱلخلق وٱلتسوية.

وبٱلعودة إلى ٱلبلاغ ٣٠ ٱلبقرة ٱلذى يبين ٱلارادة ٱلإلٰهية ٱلموجهة لجعل ٱلبشر «خليفة» يظهر أن ٱلبشر ٱلذى ٱرتقى بسنّة ٱلاصطفآء وٱكتسب «ٱلرّوح» وتابع ٱكتسابها بنفسه «ميكٰل» مخوّل بٱلخلافة فى فعل ٱلروح مع نفسه ومع كآئنات أخرى[3] من غير ٱلبشر. وهو ٱلذى يختارها لهذه ٱلغاية. ويحدث هذا بتدريب هذه ٱلكآئنات على توجيه سمعها وبصرهآ إلىَ أشيآء محددة مقترنة بٱلفعل

---

(١) كتابنا ٱلاستنساخ بحث يوسف وأخوته وبحث ٱلنشأة ٱلأولى.

(٢) «مشكلة الوعي» (م . ع . أ ٱلمجلد ١٥ ٱلعددان ٢/ ٣- ١٩٩٩).

(٣) كتابنا ٱلاستنساخ بحث كسب لمعلومات.

ٱلانسانى ٱلمدرب مرات متعددة. ثم يصطفى ٱلأفراد ٱلذين كان توجيه سمعهم وبصرهم جيدًا للإنتقال بهم إلى مرحلة ثانية من ٱلتدريب. علىَ أن يتابع ٱلتدريب مع ٱلأجيال ٱلمتعاقبة لهؤلآء ٱلأفراد وفق سنّة ٱلاصطفآء. وإعادة ٱلأفراد ٱلذين قصر سمعهم وبصرهم وٱكتسابهم إلى فصيلهم ٱلوحش.

تأثير ٱلدليل

رأينا بتناولنا فيزيولوجيا كلمة ٱلبلاغ ٱلجارية فى ٱلفؤاد (ٱلدماغ) كيف وصف علمآء هذا ٱلفرع أفعال ٱلعصـبونات ٱلفيزيآئية داخله. ورأينا كيف ربطوا هذه ٱلأفعال بمؤثرات خارجية. وقد توصلوٓا إلى ٱلحدِّ ٱلذى يبدأ فيه فعل ٱلرّوح. خصوصًا (تشالمرز وكريك وكوخ). وبما رأينا ننتقل إلى ٱلبحث ٱلمتعلق بتأثير كلمة ٱلبلاغ على ٱلإنسان بفعل زوجية منهاج ٱلنّفس (فجور/ تقوى - خير/ شر).

يرى علمآء هذا ٱلفرع أن ٱلخوف وٱلكبت وٱلكذب وٱلاستبداد وٱليُتم وفقدان ٱلرعاية ٱلحسنة وٱلقهر وٱلنّهر جميعها تولد ٱلكَرب ٱلنفسى ٱلذى يسبب خللاً فى منهاج ٱلاستتباب ٱلعصبى لدى ٱلانسان. ويصبح عرضة للأمراض علىٓ ألوانها.

عن هذه ٱلمسألة وجدت فىٓ أقوال ٱلعلمآء ٱلباحثين فيها ما يساعد على ٱلنظر فيها ومتابعة ٱلعقل مع بلاغ ٱلقرءان. وأبدأ مع ما يقوله «H . N . كالين»:

[الأطفال الذين يعانون الخوف بصورة غير طبيعية، قد يصابون بإعتلالات بدنية. فكثير من الصغار الذين يتعرضون للكبت الشديد تحت ظروف غير مألوفة لفترات طويلة، يزيد إفرازهم لهرمونات الكَرْب Stress بصورة مزمنة، بما فيها الكورتيزول الذي تفرزه الغدتان الكُظْريتان (الكظران). هذه الهرمونات مهمة في أوقات الشدائد، فهي التي تضمن للعضلات توافر الطاقة المطلوبة، سواء «للقتال أو الفرار» Fight or Flight. ولكن بعض الدلائل تشير إلى أن ارتفاع هرمونات الكرب على المدى الطويل

قد يسهم في تكوين قروح المعدة وأمراض القلب والأوعية الدموية. وأكثر من هذا، فالخوف سبباً للإضطرابات التحسّسية (الأرجيّة). وإن ارتفاع الكورتيزول الدائم يتلف الخلايا العصبية في منطقة الحُصَيْن (قرن آمون) hippo campus]. [1]

هذا ٱلقول هو عن أثر ٱلخوف وٱلكبت ٱلشديد عند ٱلأطفال. وقد تبين للدارس أن ٱلاعتلالات ٱلبدنية لدى هؤلآء ٱلأطفال منشؤها فى «زيادة افرازهم لهرمونات الكَرْب» تحت وطأة ٱلخوف وٱلكبت ٱلشديد.

وقد توصل ٱلبحث ٱلعلمى إلى ٱلتّوكيد أن ٱلأمراض ٱلتى تصيب أجسامنا على ٱختلاف ألوانها سببها مناهجنا ٱلمعرفية ذاتها وتأثيراتها ٱلسلوكية فىَ أفعالنا وفى حياتنا. ورأوٓا أن ٱلمنهاج ٱلمعرفى هو ٱلذى يؤثر فى ٱلسيرورات ٱلفيزيولوجية داخل ٱلجملة ٱلعصبية ويوقعها فى ٱضطراب ٱلاستتباب.

وحتى تكون ٱلصورة بينة أعرض لأوصاف وأفعال جهاز ٱلاستتباب لدينا بعرض لأقوال بعض ٱلباحثين فى هذه ٱلأفعال ٱلمدهشة.

فيقول «M . E سترنبرج» و«W. PH . جولد»:

[لقد أتاحت لنا الوسائل الجزيئية والدوائية تعرّفَ شبكة معقدةٍ توجد بين الجهاز المناعي والدماغ، وتتيح لهما تبادل الإشارات على نحو مستمر وسريع. فكيميائيات معينة ينتجها الجهاز المناعي تعمل كإشارات في الدماغ، فيقوم هذا بدوره بإرسال إشارات تقيد الجهاز المناعي. كما أن هذه الإشارات الكيميائية نفسها تؤثر في السلوك تجاه الكرب Stress وفي الاستجابة له. ويعمل تعطل شبكة الاتصال هذه (سواء كان هذا التعطل موروثاً أو بواسطة العقاقير أو المواد السامّة أو الجراحة) على تفاقم الأمراض التي يصون الدماغ والجهاز المناعي الجسم من الإصابة بها. إن كلاً من الدماغ والمناعة يعتمدان للإتصال فيما بينهما على الوسائط الكيميائية. فالإشارات الكهربائية مثلاً على طول المسالك العصبية تُحوَّل في المشابك بين العصبونات إلى إشارات كيميائية. ولا تقوم المراسيل التي تنتجها الخلايـا المناعية، بالاتصال بأجزاء الجهاز المناعي الأخرى فحسب، بل أيضاً بالدماغ والأعصاب. كما أن بوسع الكيميائيات التي تحررها الخلايا

---

(١) «البيولوجيا العصبية والخوف» (م . ع . أ ٱلمجلد ١٥ ٱلعددان ٢/٣- ١٩٩٩).

العصبية أن تعمل كإشارات تستثير الخلايا المناعية. وتنتقل هرمونات الجسم عبر الدم إلى الدماغ، كما أن الدماغ يصنع هو الآخر هرمونات معينة. وقد يكون الدماغ أكثر الأعضاء الصُم في الجسم انتاجاً للهرمونات فيُنتج عدداً كبيراً منها تؤثر في الدماغ نفسه وفي نسج الجسم المختلفة. ويعد الهرمون المحرر للموجهه القشرية **Cortico (CRH)** **tropin-releasing hormone** أحد الهرمونات الأساسية التي تتشارك فيها الجملة العصبية المركزية والجهاز المناعي، وينتجه الوطاء **hypo thalamus** ومناطق أخرى من الدماغ، ويوحّد استجابات الكرب والاستجابات المناعية. ويحرر الوطاء الهرمون **(CRH)** في دارات دموية متخصصة، توصل هذا الهرمون إلى النخامة لتحرر الهرمون الموجِّه لقشرة الكظر **adrenocorticotropin hormone (ACTH)** في الدم، فيعمل هذا الأخير على تنبيه الغدة الكظرية لتنتج الكورتيزول **Cortisol**، وهو الهرمون المعروف أكثر فيما يتعلق بالإستجابة للكرب.

وباعتباره هرموناً ستيرويدياً، فإن الكورتيزول يزيد معدل تقلص القلب وقوته، ويحسس الأوعية الدموية لتأثير النور إبينفرين **norepinephrine** (هرمون شبيه بالأدرينالين)، الذي يؤثر في العديد من الوظائف الاستقلابية، أي الأفعال التي تساعد على تحضير الجسم لمواجهة حالة كرب.

أضف إلى ذلك، أن الكورتيزول منظم مناعي قوي وعامل مضاد للإلتهاب. فهو يؤدي دوراً حاسماً في منع الجهاز المناعي من أن يستجيب استجابة مفرطة ضد النسج المصابة والمتأذية. ويعمل الجهاز المناعي كسلسلة لعدد من الأحداث الخلوية المحكمة الدقة، هدفها تخليص الجسم من المواد الغريبة والبكتريا والفيروسات].[١]

فى هذا ٱلقول عرضًا لأرقى ما يمكن تصوره من منهاج أتوماتيكى تتبادل فيه ٱلأدوار وٱلتعاون بين ٱلدماغ وٱلجهاز ٱلمناعى من أجل حماية ٱلجسم من «حالة كرب» أو من «المواد الغريبة والبكتريا والفيروسات».

وفى هذا ٱلوصف أنّ تعطل «شبكة الاتصال» بين ٱلفؤآد (ٱلدماغ) وٱلجهاز ٱلمناعى سببها «العقاقير والمواد السامة» وتزيد عليها ٱلجراحة وٱلوراثة.

---

(١) «التآثر في المرض بين العقل والجسد» (م .ع .أ ٱلمجلد ١٥ ٱلعددان ٢/٣/١٩٩٩).

وأرىَ أنّ ٱلجراحة وٱلوراثة ليست أساسية فى ذلك ٱلتعطل. لأن أسبابها تعود بٱلدرجة ٱلأولىَ إلى ٱلمواد ٱلسّامة ٱلتى تأتىَ إلىَ أجسامنا من بيئة ملوثة. وٱلعقاقير ذاتها هى من عوامل هذه ٱلبيئة ٱلملوثة. ٱلتى يسبب فى تلوثها منهاجنا ٱلمعرفى ذاته ٱلذى يولد ٱلخوف وٱلكبت عند ٱلأطفال. ويزيد فيه عمل ٱلكبار ٱلذين يزرعون خوفهم هم فى قلوب أطفالهم. كٱلخوف من ٱلفقر وٱلبطالة وٱلتشرد وتوقف ٱلتعليم. . الخ. وكما قال «كالين»: **«أن ارتفاع هرمونات الكرب على المدى الطويل قد يسهم في تكوين قروح المعدة وأمراض القلب والأوعية الدموية»**.

وأمراض خطيرة أخرى تحدّث عنها كل من «سترنبرج» و«جولد»:

[وتقدم الدراسات التي تُجرى على الحيوانات دليلاً إضافياً على أن الكرب يؤثر في سيرورة وشدة الاعتلال الفيروسي والمرض البكتيري والصدمة الانتانية.

وتشير الدراسات إلى أن آليات هرمونية (غدية صمّاوية) عصبية تؤدي دوراً مماثلاً في أخماج فيروسية أخرى، بما في ذلك فيروس العوز المناعي البشري (HIV)]. (١)

وفى هذا ٱلقول أنّ ٱلكرب هو ٱلمسئول ٱلأول عن حدوث هذه ٱلأمراض حتىَ أخطرها (ٱلإيدز).

ويوكّد ما نشير إليه من أنّ ٱلمنهاج ٱلمعرفى هو ٱلمسئول ٱلأول وٱلأخير عن هذا ٱلإختلال فى ٱلاستتباب ما قاله «سترنبرج» و«جولد»:

[الكرب ليس شخصياً فحسب، بل انه يُدرك عبر التآثرات مع الآخرين. فالتآثرات الاجتماعية قد تزيد، أو تنقص الكرب النفسي وتؤثر على نحو مماثل في الاستجابة الهرمونية تجاه الكرب، الأمر الذي يؤدي إلى تغيير الاستجابة المناعية. وهكذا فإن الكرب الاجتماعي النفسي الذي يعانيه الفرد، يؤثر في استعداده للإصابة بالأمراض الإلتهابية والخمجية، كما يؤثر في سيرورة المرض. وعلى النقيض من ذلك، فإن البيئة الايجابية المشجعة لعلاقات اجتماعية واسعة أو لمعالجات نفسية جماعية، تعزز الاستجابة المناعية ومقاومة الأمراض، بما في ذلك السرطان]. (٢)

---

(١) ٱلمرجع ٱلسابق.

(٢) ٱلمرجع ٱلسابق.

إن ٱلجمود ٱلمعرفى وٱلعقآئد فى ٱلمجتمع وٱستبداد ٱلأفكار وٱلسلطان. بما فى ذلك ٱلمنزل ومنهاج ٱلتعليم وٱلمجتمع. كله يدفع أفراد ٱلمجتمع. ٱلكبير وٱلصغير. ٱلغنى وٱلفقير. للسقوط تحت وطأة كبت ٱلأفكار وٱلمشاعر ٱلتى تتعارض مع هذا ٱلجمود وٱلاستبداد. وهذا ٱلكبت يولّده ٱلخوف من ٱلعقاب. ويسوق صاحبه إلى ٱلضغط على نفسه ليصرّح بٱلقول ٱلمخالف للحقّ ٱلذى فى نفسه. ويرى فى قوله ٱلكاذب ٱلمخرج له من ٱلعقاب. وٱلذى فعل كل هذا هو كلمة ٱلبلاغ. ٱلتى تخالف ٱلحقّ. وتكوّن أساس ٱلبنية ٱلفكرية لدى هذا ٱلفرد من وجهة. ولدى مجتمعه ٱلاستبدادى من وجهة أخرى.

فى ٱلبلاغات ٥٣ / ٥٤ ٱلحج أنّ ٱلذين يتمسكون بكلمة «ٱلتمنى» هم ٱلذين ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ وهم ٱلذين يتبعون «ٱلظَّنَّ» كما فى ٱلبلاغ ٣٦ يونس.

فكلمة ٱلبلاغ ٱلتى تحتمل وجهتين «صدق/ كذب» هى ٱلمسئولة عمّا يحدث فى ٱلقلب من قول كاذب أو صادق وفى ٱلجسم من سلامة أو مرض.

وإنّ وجهة كلمة ٱلبلاغ إلى ٱلظن وٱلكذب يزيد من ٱلضغط ٱلنفسى ويقوى ويفاقم ٱلاستجابة ٱلهرمونية ٱلمُمرضة.

وفى بلاغ ٱلقرءان ما يوكّد هذا ٱلربط بين ٱلمرض ٱلنفسىّ وٱلمرض ٱلجسمىّ:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ /٨/ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ /٩/ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ /١٠/﴾ ٱلبقرة.

فهؤلآء يخدعون أنفسهم بقولهم ٱلمخالف للحقِّ ٱلذى هم عليه. وقد جآء وصف قلوبهم فى ٱلبلاغ بٱلقول «فى قلوبهم مرض». أىَ أنّ ٱلمرض فىَ أفكارهم ٱلتى ساقتهم إلى هذا ٱلخداع للنفس وقول ٱلكذب من دون أن يشعروٓا أنهم يخدعون أنفسهم.

وبيّن ٱلبلاغ أنّ ٱلكذب عند هؤلآء هو منهاج مستمر وفعله يسبب مرض فى

«قلوبهم». وأنّ تطور ٱلمرض فى قلوبهم يتحول إلى مرض جسميّ يترافق مع «عذاب أليم». أىَ أنّ ٱلمرض ٱلنفسى ينتقل إلى ٱلجسم تلقائيًا من بعد ٱضطراب جهاز ٱلاستتباب.

ونجد أنفسنآ أمام ٱلوصية ٱلإلـٰهية «لا تكذب» ٱلتى جآءت فى ٱلوصايا ٱلعشر فى كتاب موسى وٱلتى جآءت فى ٱلقرءان فى ٱلأمر ٱلتالى:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ١٥٢ ٱلأنعام.

وكذلك فى ٱلأمر ٱلتالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ٣ ٱلنساء.

لقد جآء ذلك للإنسان لكى يتمسك بمنهاج ٱلحقّ ويبتعد عن ٱلظّنّ وٱلتّمنّى ٱلذى يسوق إلى ٱلكذب بكل ألوانه. ثم إلى ٱلمرض ٱلجسمى وألامه.

وبسبب خطورة ٱلكذب أرى فى ٱلوصاياَ أنّ ٱللّه يطلب من ٱلانسان قول ٱلحقّ مهما كانت درجة ٱلقربى. بل يطلب منه ذلك على نفسه مهما كانت ٱلعقوبة ٱلاجتماعية ٱلمقابلة لقوله ٱلحقّ.

وٱلغاية من هذه ٱلوصية قد بينها بحث ٱلعلم فى سيرورات ٱلمرض كما رأينا.

وكان بلاغ ٱلقرءان قد بين ذلك من دون أن نوجّه سمعنا وبصرنآ إليه. ولذلك أوجدنا لأنفسنا مخرجًا لقول ٱلكذب تحت ٱسم «كذبة بيضآء». فكبر فعل ٱلكذب فى حياتنا وكثرت ٱلأمراض ٱلإلتهابية وٱلخمجية وٱلسكرى وتصلب ٱلشرايين وٱنسدادها وٱلسرطانات.. إلخ.

أمّا ٱلأمراض ٱلتى يولدها نقص ٱلرعاية وٱلعناية ٱلحسنة فهى تشترك مع ٱلكذب فى جميع ٱلأمراض ٱلتى تنجم عنه. ويزيد عليها ٱلانحرافات فى ٱلنمو وٱلزيادة فى ٱلوزن وٱلتنكس ٱلعصبى. وأستدل على هذا ٱلرأى من مقالٍ «K. لوتو ايلر»:

[اكتشف M . ميني أن امهات الجرذان حينما تكثر من لعق صغارها يقل انتاج الهرمون CRH. ويقول ميني: «أن مقـدار لعق الأم لصغارها. خلال الأيام العشرة الأولى من الحياة. له ارتباط وثيق بانتاج الهرمون CRH في وِطاء hypo thalmus دماغ الذرية البالغة». إضافة لذلك، إكتشف ميني مقارنة بالصغار التي تُركت مفردة. أن الجرذان التي لُعقت، أنتجت كمية أكبر من المستقبلات القشرية السكرية (GCs) glucocorticoid في الحُصَيْن hippo campus. وحينما تنشط هذه المستقبلات، فإنها تثبّط إنتاج الهرمون CRH في الحُصَيْن، وبذا توهن الاستجابة للكرب. كما أن الجرذان التي لُعقت أنتجت قدراً أكبر من مستقبلات الناقل العصيبي GABA (حمض الجاما أمينو بوتيريك) المثبط للهرمون CRH في كل من اللوزة amygalda والموضع الأزرق locus ceruleus وهما منطقتان في الدماغ مرتبطتان بالخوف. إن اليُتم يسبب توليد مقدار أقل من القشرانيات السكرية GCs ومن مستقبلات الناقل العصبي GABA، بل إن لها في الواقع عصبونات أقل في بعض مناطق الدماغ أيضاً.

لقد وجد M سميث (من مختبرات بحوث دوبونت ميرك) وباحثون آخرون (من المعهد القومي للصحة العقلية) بدراسة أنماط من الموت الخلوي المبرمج (الاستموات) Programmed cell death الذي هو سيرورة تشذيبية طبيعية تحصل أثناء النمو. وقد تبين لهم أن نسبة موت الخلايا بين الحيوانات الصغيرة اليتيمة بلغت ضعف ما يحدث لدى غيرها في العديد من باحات (مناطق) الدماغ، ولا سيّما في الحُصَيْن الذي يُعدُّ بنية أساسية في التعلُّم والذاكرة].[1]

ما فى هذا ٱلقول عن فقدان ٱلعناية وٱلرعاية لصغار ٱلجرذان. يبين تأثير هذا ٱلنقص على سيرورة ٱلأمراض من وجهة. وعلى ٱلتخلف ٱلنفسى من وجهة أخرى. خصوصا ما يتعلق بزيادة ٱلاستموات فى خلايا دماغ ٱليتيم ٱلذى لم يلقَ رعاية بعد فقدانه لوالديه أو لأحدهما.

وهذا ما وجده ٱلباحثون على كآئنات ليس لها «كلمة بلاغ» ويقتصر ٱلتأثير على جهاز ٱلاستتباب لديها على «ٱلكلمة ٱلبيولوجية».

---

(١) «لا تستسلم للكرب» (م . ع . أ لمجلد ١٥ ٱلعددان٢/٣/١٩٩٩).

فكيف بٱلإنسان ٱلذى يشاركها فى كلمة «ٱلبيولوجيا» ويزيد عليها «بكلمة ٱلبلاغ» ٱلأشد وطأ وتأثيرًا ؟!

ٱلأمراض ٱلانسانية مقصورة على ٱلانسان ولا تشاركه بقية ٱلكآئنات فىَ أىٍّ منها بٱستثنآء ما يجلبه فعل ٱلانسان ٱلمفسد فى ٱلأرض (ٱلبيئة) من سموم تكون ٱلسبب فىَ أمراض له وللبيئة ٱلتى يحيا فيها بمشاركة كآئنات حية أخرى يلحق بها هذا ٱلمرض.

وكما رأيت فى بلاغ ٱلقرءان عن تأثير ٱلكذب فى سيرورة ٱلمرض وعذابه ٱلأليم. كذلك أرى فيه مسألة ٱلرعاية وٱلمأوى وٱلإحسان وٱلقسط ٱلتى تعرّف عليها ٱلبحث ٱلعلمى ٱليوم وبيّن أسباب ٱلتوجيه فى مسألة ٱلرعاية. وفى ٱلقرءان بلاغات كثيرة عنه تبين أهمية ٱلاصغآء إلى هذا ٱلتوجيه. ومنها ما يتعلق برعاية ٱليتيم:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ ٦ ٱلضحى.

وٱلامتناع عن ٱلقهر وعن ٱلنهر:

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ /٩/ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ /١٠/﴾ ٱلضحى.

وفى تقريع ٱلذين لا يكرمون ٱليتيم:

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ ١٧ ٱلفجر.

وعن تقديم ٱلطعام فى جوّ من ٱلمحبة:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ٨ ٱلإنسان.

وعن ٱلتبرع وتقديم ٱلعون ٱلمالى:

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ /٢٤/ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ /٢٥/﴾ ٱلمعارج.

وعن حماية ورعاية أموال ٱليتيم ٱلموروثة من وٱلده ٱلميت وٱلتى يسبب ذهابهآ إثارة نفسية شديدة لدى ٱليتيم ٱلقاصر:

﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾ ٢ ٱلنسآء.

وفى هذا ٱلأمر ٱلتوجيهى طلب لإعطآء ٱليتيم ماله ٱلذى ورثه عن والده أو وٱلديه. وفى ٱلتوجيه نهى عن ٱلاعتدآء على هذا ٱلمال. لأن صاحبه قاصر لا يستطيع أن يرد أو يدفع ٱلعدوان عن نفسه ولا عن ماله. كمآ أنه ليس عليه أن يفعل ذلك.

وبيّن ٱلبلاغ أنّ وقوع هذا ٱلعدوان يولّد مرضًا كبيرًا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾.

وٱلحوب هو ٱلعدوان ٱلذى يرافقه ٱلحرج وٱلهمّ وٱلحسرة وٱلحاجة وٱلضَّيم. وهذا ٱلمرض يصيب ٱلمعتدِى وٱلمعتدَى عليه. فهو يبدأ بٱلشعور بٱلذنب وتأنيب ٱلضمير وٱلحرج ٱلاجتماعى وٱلهمّ عند ٱلمعتدِى بسبب ما ينتظره من رد فعل ٱلقاصر بعد أن يكبر ويطالب بماله. ويبدأ عند ٱلمعتدَى عليه بٱلحسرة وٱلضّيم وٱلحاجة وٱلانتقام. عن هذا جآء ٱلوصف «حوبًا كبيرًا».

فى كتاب ٱللَّه ٱلكثير من ٱلأوامر ٱلتى توجّه إلى ٱلاحسان فى معاملة ٱلوالدين وٱليتامى وٱلمساكين وٱلسآئلين وٱلمحرومين وٱلأسرى وٱلناس جميعًا. وهذه ٱلتوجيهات يكشف عن غايتها ٱلبحث ٱلعلمى تصديقًا للنّبـإِ ٱلتالى:

﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ ٨٨ ص.

وفى بلاغ ٱلقرءان ما هو أوسع مما وجده ٱلباحثون فى ٱختباراتهم على كآئنات ليس لديها «كلمة بلاغ».

كمآ أنّ بيانات ٱلباحثين ما زالت ضيقة وأنّ بلاغها لم يدفع بٱلمجتمعات ٱلإنسانية إلى ٱلانتباه إليه. وسبب ذلك هو فقدان أعمال ٱلمقارنة بين بلاغات ٱلبحوث ٱلعلمية وبين بلاغات ٱلقرءان.

إن ٱلامتناع عن ٱلاستجابة للأوامر ٱلإلـٰهية ٱلواردة فى بلاغات ٱلقرءان يوقع فى ٱلكَرب ٱلذى يتظاهر بٱلحزن وٱلغمّ ٱلشديد. فيقلب ٱلنفس ويثيرها محدثًا

ٱلاضطراب فى ٱلاستتباب homeostasis. وإذا ٱستمرّ ٱلفسق عن أوامر ٱللَّه يستمرّ ٱلكَرب وتنتشر ٱلأمراض ٱلتى يرافقها «ٱلعذاب ٱلأليم». وينتشر معها «ٱلحوب ٱلكبير» ٱلذى يدفع إلى زيادة ٱلجهل وٱلفقر وٱلضّيم وٱلحسرة وٱلانتقام. وهذا سلوك متخلف يدفع بٱلإنسان من بعد مسيرة ٱلرّوح ٱلطويلة إلىَ ألوان مسوخية ودونية للنفس ٱلبشرية ٱلتى ميزها ٱللّه عن بقية ٱلدّوآبّ بٱلروح.

لقد رأيت أن ٱلبشر لا يستطيع أن يتحول إلىَ إنسان من دون عون خارجى. وإلا لوجدنا دوآبَّ أخرى وصلت إلى هذه ٱلمرتبة (إنسان ضد وحش). وقد بين لنا بلاغ ٱلقرءان أن هذا ٱلتحول جرى بإرادة وأمر من ٱللَّه. وقد فعل ذلك خبرآء مهديون (ملائكة ورسل وأنبيآء). ويتابع ٱلفعل من بعدهم ٱلمجتمع ٱلإنسانى من دون تدخل خارجى من بعد ٱلنبوّة ٱلخاتم ورسالة ٱللَّه (ٱلقرءان).

فقد أراد ٱللَّه بنفخ ٱلروح أن يكون ٱلإنسان خليفة. وصار على ٱلإنسان ٱلعمل علىَ إخراج كآئنات أخرى من طور ٱلوحش. لآ أن يعود هو مسخًا ويرتد إلى ورآء وحشًا.

ورأيت أنّ ٱلبحث ٱلعلمى يكشف عمّا يصدِّق بلاغ ٱلقرءان ويؤوّل بعض أنبآئه. وهو يقصر عن جوانب كثيرة جآء عنها فى بلاغ ٱلقرءان وما يزال ٱلبلاغ ٱلعلمى يغفل عنها. وسبب ذلك فىَ أمرين:

ٱلأول هو ٱلامتناع عن ٱلمقابلة بين ٱلبلاغين.

وٱلثانى هو فى ٱلحاجة لمزيد من ٱلبحث ٱلعلمى وصولا إلى ٱلعلم بٱلنّشأة ٱلأولى.

توجّهت فى هذا ٱلكتاب إلى ٱلقول أنّ ٱلكلمة هى فعل معلومات ينطلق بٱلأمر ٱلأول «كُن». وبه يبدأ ٱلتكوين بمعلومات ٱلكلمة ٱلكوسمولوجية ومنها ينتقل إلى ٱلكلمة ٱلبيولوجية.

ثم يجرى تنزيل وتحميل منهاج معلومات كامل ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ من ٱلخارج. ويبدأ بعدها ٱلتدريب لاكتساب كلمة ٱلبلاغ وٱلخبرة فيها.

ورأيت أن وحدة ٱلبنآء فى ٱلكلمات ٱلثلاثة واحدة. وأنّ سلوك فعل ٱلكتابة فيها واحد هو «ٱلاصطفاف».

ووصلت إلى ٱلقول أنّ ٱللَّه واحد. وأنّ ٱلدين عند ٱللَّه واحد. وأنّ ٱلرّوح وكتب ٱللَّه جآءت وفق سنّته فى ٱلوجود ٱلتى يظهر منها سنّة ٱلاصطفآء ببروز بيّنٍ. أى وفق ما نسميه قوانين ٱلتطور.

فدين ٱللَّه هو ٱلمنهاج ٱلموافق وٱلمطابق لسلسلة أفعال كلمة ٱلحقِّ (ٱلكينونة) منذ ٱلبداية بٱلأمر «كن» وقت «ٱلفجر» وإلى نهاية ٱلحدث «ٱلطارق».

وٱلدين هو موسوعة علمية تكوينية كمل ٱلبلاغ عنها فى رسالة ٱللّه ٱلقرءان ٱلتى تحمل صفة ٱلتشابه ٱلمطلق.

وقبل نهاية بحث ٱلدليل أُذكّر بٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ ١٠٥ ٱلأنبيآء.

وهم ٱلذين تحرروا من ٱلظَّنِّ وٱلجمود ٱلفكرى وتوجّهوٓا إلى بلاغ ٱلدين وبلاغ ٱلبحث ٱلعلمى وٱلتزموٓا أوامر ٱللَّه ففازوا فى ٱلجهر بحرياتهم وٱتخذوا من ٱلنّبإ ٱلتالى:

﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ ٨٨ ٱلقصص.

حجر ٱلأساس فى بنآء مفاهيمهم وأقوالهم وأفعالهم وأعمالهم ٱلمتوجهة وجهة ٱلصلاح وٱلتطور. فلا يتركون أنفسهم تسقط فى وثنية مفاهيم جامدة لا تقبل بهلاك لها ولا بتطور.

ٱلموقف

رأينا فى بحث «تأثير ٱلدليل» كيف تفعل كلمة ٱلبلاغ فىَ أجسامنا. وتناولت فى «مدخل إلى ٱلبحث» من هذا ٱلكتاب فعل كلمة ٱلبلاغ فى تنمية أفكارنا وتوجيه أفعالنا سندًا للبلاغ ٥ ٱلكهف. وهذآ أوصلنىَ إلى ٱلموقف ٱلذى يكون عليه كلّ منّا فى حياته ٱلخاصة وٱلعامة على ٱلسوآء.

على ٱختلاف تواجد ٱلإنسان فى ٱلأرض وفى جميع مراحل ٱلتاريخ ٱلإنسانى توجد مواقف للناس جماعات وأفراد تتقاتل حينًا وتتصالح فىَ أخر. يصعد أحدها فترة من ٱلزمان ثم يتراجع أمام موقف أخر لفترة من ٱلتاريخ أخرى.

فهل جآء فى بلاغ ٱلقرءان عن هذه ٱلمواقف؟

لقد ورد فى ٱلبلاغ ما يلى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ٨٩ ٱلنحل.

ٱلتبيان هو لكل شىء. وبذلك فهو تبيان لمسألة ٱلبحث. وهناك ثلاثة بلاغات نرتلها فيما يلى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٢ ٱلبقرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٩ ٱلمآئدة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ ١٧ ٱلحج.

تماثل ٱلبلاغان ٦٢ ٱلبقرة و٦٩ ٱلمآئدة بما يلى:

«ٱلَّذينَ ءَامنواْ. ٱلَّذين هادواْ. ٱلنّصٰرى. ٱلصَّٰبئين وٱلصَّٰبئون».

وكان ٱلتماثل بٱلشرط ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾. وبما ينجم عن تحقق ٱلشرط ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وٱنفرد ٱلبلاغ ٦٢ ٱلبقرة ببيان أجر من يلتزم ٱلشرط من ٱلمعدودين ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

ومن سقط عنه ٱلخوف وٱلحزن فقد نال أجره.

هذا ٱلأجر لا تأخذه ٱلأطراف ٱلأربعة ٱلمعددون مجتمعين بدليل ٱلشرط ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾. وأنَ ٱلذى يأخذه هو كل فرد منهم يحقق هذا ٱلشرط من دون ٱستثنآء أى طرف.

أمَّا ٱلبلاغ ١٧ ٱلحج فقد عدد ٱلأطراف ٱلأربعة وأورد معهم طرفين أخرين «ٱلمجوس وٱلَّذين أشركواْ». ولم يرد فيه ٱلشرط ولا ٱلأجر. إلاّ أنه بيّن أنّ ٱلفصل بينهم يحدث يوم ٱلقيامة.

وأفهم من ذلك أنّ ٱلأطراف ٱلستة ستبقى مع بعضها فى ٱلحياة ٱلدنيا عبر جميع مراحل ٱلتاريخ ٱلإنسانى. وأنّ تداخل وتصارع مواقفها تحكمه سنّة ٱلاصطفآء. وفيه بيان لحركة صعود وٱرتقآء بعض هذه ٱلأطراف وهبوط وتخلف ٱلأطراف ٱلأخرى.

فما هو موقف كلّ من هذه ٱلأطراف ٱلستة؟

ٱلموقف ٱلأول:

«ٱلذين ءامنوٱ» وهم علمآء ٱلنظر وٱلبحث[1] ٱلذين يربوا علمهم عن طريق ٱلسؤال وٱلنظر وٱلبحث فىٓ أشيآء ٱلوجود وظواهره. وبه تتكون أفكارهم ٱلتى تؤول ٱلتكوين وتبنى بلاغاتها فيما يعرف بـ «فلسفة ٱلعلم» و«ٱلمنطق ٱلرياضى». وهؤلآء يرجعون مفاهيمهم وأحكامهم ٱلعلمية وٱلنظرية إلى حدث ٱلاختبار ٱلذى يمكن من توكيد صواب ٱلقول فىٓ مسألة منظورة.

ودليل كلمة «إيمان» هو فى ٱلثقة وٱلتصديق وٱلاطمئنان وٱلأمن. وهذا لا يحقق عند ٱلناس إلاّ بٱلبيّنة ٱلحسية ٱلاختبارية. فٱلذين ءامنوا وصف لطآئفة من ٱلناس ٱلذين يلتصقون بٱلعلم وبحوثه ولا يدلّ علىٓ إيمان بٱللّه وٱليوم ٱلأخر قبل بلوغه بذات ٱلوسآئل ٱلعلمية.

ٱلموقف ٱلثانى:

«ٱلذين هادوٱ» وهم ٱلذين ٱتخذوٱ من «يهودا» نسبًا يهودون حاضرهم إليه. وقد جعلوه أساسًا لنظرية ظنيّة تزعم عصبية قومية (ٱلنظريات ٱلقومية). وهى تسخّر كلّ شىء فى حاضرها بما فى ذلك ٱلدين لخدمة مفهوم «ٱلشعب ٱلمختار».

وسبب موقفهم هذا هو ٱلفهم ٱلخاطئ لفعل سنّة ٱلاصطفآء. فقد فهموا من ٱلقول «أَنّ ٱلأرضَ يرثها عبادى ٱلصّٰلحون» علىٓ أنه وعد يخصّ قوم من دون غيرهم. وأنَّ «عبادى ٱلصّٰلحون» وصف مقطوع عليهم. فقد ظنوّا أنّ ٱلصفة ٱلسلبية لسنَّة ٱلاصطفآء (ٱلتخلف) تخص ٱلشعوب ٱلأخرى.

وإنّ وصف «ٱلذين هادوٱ» يصلح لإطلاقه على كل شعب يشدّ حاضره إلى ماضٍ ونسبٍ وهو يتوهم علوًّا بسبب ٱلنّسب.

ٱلموقف ٱلثالث:

«ٱلنّصَٰرَى» هو ٱسم جمع لـ «نصير» ودليله من دليل ٱلفعل «نَصَرَ» وفيه دليل

---

(١) راجع بحث «ٱلإيمان وٱلمؤمن» (كتابنا ٱلدين خرافة أم علم؟).

ٱلتأييد وٱلعون طلبًا للخلاص من أمر خطير. وهناك تطبيقات تاريخية لهذا ٱلموقف فى ثورة ٱلعبيد فى ٱلامبراطورية ٱلرومانية وٱلثورة ٱلفرنسية وٱلثورة ٱلروسية. وٱلاسم يدل على ٱلفئات ٱلاجتماعية ٱلدنيا وهم فى بلاغ ٱلقرءان «ٱلأراذل». كٱلعبيد وٱلفلاحين ٱلذين يوحدهم ٱلبؤس وٱلشقآء وكراهية ٱلفئات ٱلعليا «ٱلملأ». وتدفع وحدة هؤلآء فى ٱلشقآء لينصروا بعضهم من أجل ٱلخلاص. سوآء ءَكان ذلك داخل بلد واحد أم فى بلاد مختلفة. وهؤلآء هم أصحاب ٱلمواقف ٱلأممية.

ٱلموقف ٱلرابع:

«ٱلصَّـٰبِئين وٱلصَّـٰبِئُون» ٱسـم جمع لـ «صابئ» دليله من دليل ٱلفعل «صبأ». وفيه دليل ٱلاحتجاج وٱلخروج وٱلانشقاق عن ٱلجماعة أو ٱلقوم. وهو ٱسم لجميع أصحاب مواقف ٱلاحتجاج وٱلانشقاق (ٱلمعارضة) فىَ أى مجتمع تسود فيه سلطة تستبدّ كسلطة «ٱلذين هادوا» أو سلطة «ٱلنَّصـٰرى». وهذا ٱلاسم ظهر فى مكّة وأطلق على محمد وأتباعه[1] ٱلذين فعل ٱلوحى فى حدوث موقفهم. وهو ما تبينه ٱليد «ي» فى ٱلكلمة «ٱلصَّـٰبِئين» تمسك بيد ٱلصّديق «ص» وتوصلها بمنهاج ٱلاحتجاج وٱلانشقاق «ن».

ثم عاد ٱلموقف وٱلاسم يفعل بذاته «ٱلصَّـٰبِئون». وهو ما يبيّنه ٱلوتد «و» فى ٱلكلمة وبه تُوتّد يد ٱلصديق «ص» على منهاج ٱلاحتجاج وٱلانشقاق. ويظهر هذا ٱلموقف فى قارة أوروبا محتجًّا على سلطة ٱستبدادية ومنشقًّا عنها. وعرف أصحاب هذا ٱلاسم هناك بٱسم «ٱلبروتستانت».

ٱلموقف ٱلخامس:

«ٱلمَجُوس» جآء فى ٱلمعجم ٱلوسيط: «مجَّسَهُ، أي صيّره مجوسياً». وقد جآء هذا ٱلقول فى باب مستقل عن ٱلفعل «جاس يجوس» ٱلذى يدل على نظر

---

(١) أنظر فى كتب ٱلتفسير.

وتأمّل فى ٱلظاهرة للوصول إلى معرفة من دون ٱختبار حسىّ. وهذا هو أسلوب فلسفة ٱلتأمل ٱلتى تفترق عن فلسفة ٱلعلم ٱلبحثى. وبٱلتالى هى فلسفة ظنيّة.

ٱلموقف ٱلسادس:

«ٱلذين أشركواْ» وهم ٱلسفهآء كما يبين بلاغ ٱلقرءان. وهم ٱلذين يشركون غيرهم فيما يتكوّن لديهم من مفاهيم يظنون أنّ لهذا ٱلغير علم نهآئىّ فيها. كما يشركون ٱللّه فيما يقولون ويعملون. فتنشأ لديهم مفاهيم ظّن وتخريص (تخمين).[1] وبذلك يخلطون بين ٱلحقّ وٱلباطل وبين ٱلباقى وٱلهالك. وهؤلآء لا تُغفر لهم مواقفهم. وقد جآء فى ٱلبلاغ ما يبين ذلك:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ٤٨ ٱلنسآء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ ١١٦ ٱلنسآء.

لقد ٱقترن ٱلشرك بٱللّه بمسألتين:

ٱلأولى يبينها ٱلقول ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾. فٱلذى يقول لولا ٱللّه ما فعلت هذا ولا قلت. فهو يختلق لنفسه ضرًّا بالغًا فى ٱلكيف وٱلكم بٱتهامه ٱللّه أنّه هو مَن جعله يفعل ويقول.

وٱلثانية يبينها ٱلقول ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾. أى ضاع ضياعًا مهلكًا.

وأفهم من ٱلبلاغ ١٧ ٱلحج أنّ هذه ٱلمواقف ٱلستة تبقى متداخلة حتى يوم ٱلقيامة. وفيه يفصل ٱللّه بين أصحابها فينال ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ مِنَ ٱلأطراف ٱلأربعة ٱلأولى ٱلأجر ٱلجزئىّ «أجرهم» وٱلأجر ٱلكلىّ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أمّا ٱلمجوس وٱلذين أشركوا فلا يغفر لهم.

---

(١) راجع بحث «ٱلإيمان وٱلمؤمن» فى كتابنا «ٱلدين خرافة أم علم؟».

إنّ ٱلعمل ٱلصالح ٱلمطلوب لتصديق ٱلإيمان بٱللّه وٱليوم ٱلأخر هو من كلّ فرد من ٱلأطراف ٱلأربعة ٱلأولى وليس منهم كطوآئف. ويتحقق ٱلتصديق بطاعة أوامر ٱللّه ومنها ٱلإمتناع ٱلطوعى عن ٱلفساد فى ٱلأرض وفى ٱلحرث وفى ٱلنَّسل كما جآء فى ٱلأمر:

﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ /١٥١/ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ /١٥٢/﴾ ٱلشعرآء.

ويبين ٱلأمر أنّ ٱلاسراف فى ٱستهلاك ٱلمواد. سوآء كان للصناعة أم للبنآء أم فى ٱلطعام وٱلأمتعة هو سبب ٱلفساد فى ٱلأرض (ٱلبيئة) بكل ألوانه.

وفى ٱلأمر طلب للامتناع عن طاعة ٱلمسرفين ٱلذين يصدرون أوامر ٱلإسراف من مواقع ٱلسلطة. وقد جآء فى ٱلبلاغ عنهم:

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ ٢٠٥ ٱلبقرة.

فٱلإنسان ٱلفرد ٱلذى ينتمىَ إلى طآئفة من أصحاب ٱلمواقف ٱلأربعة ٱلمعدودة فى ٱلبلاغ ٦٢ ٱلبقرة إذا وصل بعلمه إلى موقف ٱلذىَ ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ ينال ٱلأجرين (ٱلجزئىّ وٱلكلىّ).

أما ٱلصراع ٱلفكرى بين أصحاب ٱلمواقف ومحاولة كل منهم ٱتهام ٱلأخر ببطلان ٱدعآئه. فقد جآء فى ٱلبلاغ عن ٱدعآء ٱلقومية ٱلمتعالية «ٱليهود» وعن ٱلأممية «ٱلنّصٰرى» ما يلى:

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ ١١٣ ٱلبقرة.

وبيّن ٱلبلاغ أن قول كلّ طآئفة من أصحاب ٱلموقفين هو قول ٱلأخرى على ٱلرغم من ٱفتراقهم:

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ ١٨ ٱلمائدة.

وهو قول تدَّعى به كل طآئفة منهما ظنًّا بتقوية موقفها فى مواجهة ٱلأخرى. وهو ٱدعآء يغذى مواقف ٱلتابعين ويسيِّغ سلطة ٱلطآئفة. ولم تترك كلّ طآئفة لمن يدّعى مثل ٱدعآئها فرصة ٱلمضىَ إلىَ أبعد منها بعد أن ربطت تبعيتها فى ٱدعآئها بٱللّه مباشرة «أبنآء» وقرنت هذه ٱلرابطة بٱلرضى وٱلمحبة «أحبآء».

لقد ٱبتعدت ٱلطآئفتان فى ٱدعآئهما بعد أن غطَّتا على قلوب أتباعهما. فٱبن ٱللّه يطيع ٱللّه وحده. وهو ما يدل عليه ٱسم «ٱبن». فٱلابن يتبع ٱلأب ولا يخالف أوامره وتوجيهاته. وأنّ ٱلزعم لا يجدى نفعًا.

وعلى ٱلرّغم من وحدة ٱلادعآء فى موقف ٱلطآئفتين نجد ٱلاختلاف بينهم فى ٱلموقف من ٱلذين ءَامنوا:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾ ٨٢ ٱلبقرة.

ٱليهود وٱلذين أشركوا فى هذا ٱلبلاغ متحدون فى موقف ٱلعدآء «للّذين ءامنوا». وسبب هذه ٱلوحدة فى ٱلموقف هو ٱلعمى ٱلناجم عن ٱلتعصب ٱلقومى ٱلمتعالى وٱلانشداد إلى ٱلسّلف عند «ٱليهود». وعن ٱلجهل ومعاداة ٱلعلم عند «ٱلذين أشركواْ».

أمَّا أصحاب ٱلموقف ٱلأممى «ٱلنَّصٰرى» فيميلون إلى قبول ٱلبلاغات ٱلتى يصدرهآ أصحاب ٱلموقف ٱلعلمى ويسمحون بتداولها فى مكان سلطتهم.

ٱسم «يهود» لا يدلنا علىَ أتباع موسى وٱلتورىٰة. كمآ أن ٱسم «نصٰرى» هو ٱلأخر لا يدلنا علىَ أتباع عيسى وٱلتورىٰة وٱلإنجيل. لأن ٱتباع أىِّ من ٱلرسولين يغطيه ٱلقول ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾.

ورد فى بلاغ ٱلقرءان ٱسم «أهل ٱلكتٰب». وهو يشير إلىَ أن ٱلكتاب له أهل يسكن معهم فى مكان واحد. وهذا ٱلاسم يبين أن كلَّ مَن فى بيته ٱلكتاب هو أهل له. سوآء ءَكان من ٱليهود أم من ٱلنَّصٰرى أم من ٱلذين ءامنوٓا أم من ٱلصَّٰبئين أم من ٱلمشركين أم من ٱلمجوس.

فإن سكن ٱلكتاب مع أهله من دون ٱلنظر فيه وٱلعمل بموجبه لا يمنع هؤلآء ٱلأهل من ٱلكفر وٱلشرك وٱلمجوسية. وترتيل بعض ٱلبلاغات يبين ٱلأمر:

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ﴾ ١٠٤ ٱلبقرة.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ٦٤ ءال عمران.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْۗ﴾ ٦٨ ٱلمائدة.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ٩٨ ءال عمران.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ٩٩ ءال عمران.

كمآ أن هذا ٱلسكن ٱلذى يقترن بٱلنظر فى ٱلكتاب وٱلعمل بموجبه يظهر موقفًا مؤمنًا:

﴿لَيْسُواْ سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ /١١٣/ ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ /١١٤/ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ /١١٥/﴾ ءال عمران.

جآء فى تفسير ٱبن كثير أنَّ ٱلمفسرين قالواْ عن ٱليهود: «أنهم أتباع موسى والتوراة» .(١)

وعن ٱلنَّصارى: **«أنهم أتباع عيسى وأهل دينه، وسمّوا بذلك لتناصرهم فيما بينهم، وقد يقال لهم أنصار أيضاً، ويقال أيضاً أنهم سمّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا**

---

(١) تفسير القرآن العظيم.

أرضاً يقال لها ناصرة والنصارى جمع نصران، كنشاوى جمع نشوان وسكارى جمع سكران»[١].

وبمقارنة هذا ٱلقول مع ما سبق من بلاغات يبين قولا واحدًا عن ٱلتناصر «وسمّوا بذلك لتناصرهم فيما بينهم».

أمَّا ٱلأقوال ٱلأخرى فهى ظنية ويبرز فيها ٱلتخريص (ٱلتخمين).

وجآءت أقوالهم عن ٱلصَّابئين وكأنها رجم بٱلغيب. يقول ٱبن كثير:

«أما الصابئون فقد اختلف فيهم»[٢].

وأورد مجموعة من أقوال متخالفة ومشوشة منها:

«لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم، .. إنهم كالمجوس، .. إنهم يعبدون الملائكة، .. إنهم يصلون إلى القبلة ويصلون الخمس، .. إنهم يقرأون الزبور ويصلون للقبلة، .. إنهم قوم مما يلي العراق يؤمنون بالنبيين ويصومون ثلاثين يوماً... إنهم يعرفون اللَّه وحده وليست لهم شريعة يعملون بها، .. هم أهل دين من الأديان، .. وهم قوم يشبهون النصارى إلاَّ أن قبلتهم نحو مهبّ الجنوب، .. إن دينهم مركب بين اليهود والمجوس ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم»[٣].

ويقول ٱبن كثير رأيه فى ٱلمسألة:

«وأظهر الأقوال والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه: أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتنونه، ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ، أي أنه خرج عن سائر أديان الأرض إذ ذلك. وقال بعض العلماء: الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي، والله أعلم»[٤].

ومن يتأمل هذه ٱلأقوال ٱلمتعلقة بٱلصابئين. ويقارن ما قاله ٱلسادة ٱلمفسرون

---

(١) ٱلمرجع ٱلسابق.
(٢) ٱلمرجع ٱلسابق.
(٣) ٱلمرجع ٱلسابق.
(٤) ٱلمرجع ٱلسابق.

وٱلمحدثون وبعض من وصفوا بٱسم ٱلعلمآء. ومعهم ٱلسيد ٱلمفسر ٱبن كثير. يصيبه ٱلذهول وهو يرىٓ أن ٱلذىٓ أصاب فى ٱلقول من بين جميع ٱلقآئلين هم ٱلجهلة ٱلمشركون ٱلذين كانوا «ينبزون من أسلم بالصابئ، أي خرج عن سائر أديان الأرض إذ ذلك».

وأجد فى ٱلبلاغ وصفًا لقول جميع ٱلمفسرين وٱلمحدّثين ومعهم ٱبن كثير:

﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ٢٠ ٱلزخرف.

وأرى فى ٱلبلاغ:

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ٢٤ فاطر.

ما يبين ٱلجهل بكتاب ٱللَّه وبتفسيره لكلٍّ مَن يقول «**الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي**».

لقد توهم بعض ٱلدارسين أن ما قاله هؤلآء فى كتاب ٱللَّه «ٱلقرءان» هو ٱلحقّ. فتناولوٓا أقوالهم وٱستندوٓا إليها فى دراساتهم ليوصلوٓا إلى ٱلقول عن هذا ٱلكتاب أنَّه من صنع رجل ومن حوله.

وما زالت هذه ٱلأقوال تستعمل مادة للمتصيدين حتى يومنا هذا. وأمامى وأنآ أكتب هذا ٱلبحث أحد هذه ٱلأعمال وهو كتاب كان قد صدر بٱللّغة ٱلفصحى عن ٱلفرنسية[١] حديثًا. وقد رأيت ٱدخال مادته فى بحثى هذا.

يقول ٱلسيد «ميشيل تارديو»:

[فمن الفرق الدينية الأربع التي عرفها الرسول وأورد أسماءها، يظل الصابئة الفرقة الوحيدة التي لا نعلم عنها شيئاً. لقد اختفى، أو مُحي، كل أثر لهم. وفي زمن الهجرة، كانوا غير معروفين بصفتهم الصابئة خارج حدود شبه الجزيرة العربية وحتى داخلها بالذات كان وجودهم في «المدينة» موضع شك كبير][٢].

(١) «صابئة القرءان وصابئة حران» تأليف ميشيل تارديو ترجمة سلمان حرفوش.

(٢) ٱلمرجع ٱلسابق ص ٤٠.

ما قاله ٱلمفسرون عن ٱلصَّابئين يتحول عند «تارديو» إلى مادّة للتصيّد وٱلتشكيك بكتاب ٱللَّه. وقد زاد من عنده ما هو مستنبط من أفكارهم فيقول عن ٱلصَّابئين أنهم: «**من الفرق الدينية الأربعة التي عرفها الرسول وأورد أسماءها**».

فيرىَ أن محمدًا هو ٱلذى كتب ٱلقرءان. وأنه ليس رسولاً للَّه. ولكنه ينتظر فى قول ذلك إلىَ أن تحين له ٱلفرصة لاحقًا فى كتابه.

أمَّا عن ٱلمحدثين وٱلمفسرين ٱلذين أخذ عنهم ٱلتخريص فيقول:

[**ولم يكن علماء الحديث والتفسير يعلمون عنهم أكثر مما نعلم**][1].

وهو قول صواب بٱلنسبة للطرفين على ٱلسوآء. خصوصًا أن ٱلسيد «تارديو» يغفل عن قول ٱلمشركين فى ٱلصَّابئين.

ويتابع ٱلسيد «تارديو» تصيّده فيختلق قولاً يزعم فيه أنَّ ٱلقرءان قد قاله:

[**ما يقوله القرءان يشمل أمرين اثنين: فالصابئة بحوزتهم «كتابات مقدسة» ولهم اسم يعرفون به. وتصنفهم سورة «المائدة» صراحة بين «أهل الكتاب»**][2].

لقد ورد ٱسم «ٱلصابئون» فى سورة ٱلمآئدة مع أسمآء ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ ولم يـرد بينهم ٱسم «أهل ٱلكتاب» فى ٱلبلاغ ٦٩ ٱلمآئدة.

كمآ أنَّه لم يصنِّف أيًّا من أصحاب ٱلأسمآء ٱلأربعة بين «أهل ٱلكتاب» صراحة كما يزعم ٱلسيد «تارديو». ولم ترد أيُّ صراحة عن «كتابات مقدسة» لأيٍّ من أصحاب الأسمآء ٱلأربعة.

أمَّا ٱلسيد «تارديو» فيواصل تصيّده ٱلذى يستند على قول ٱلسادة ٱلعلمآء ويتابع ٱلقول:

[**ويقتضي هذا أنه كان لديهم آنذاك، مثل اليهود والمسيحيين، كتبهم الخاصة بهم، التي ينتسبون إليها، وهم من حفظتها ومستخدميها**][3].

(١) ٱلمرجع ٱلسابق ص ٤٠.
(٢) ٱلمرجع ٱلسابق ص ٤٠.
(٣) ٱلمرجع ٱلسابق ص ٤١.

ويتابع «تارديو» أقوال ٱلمفسرين وقد ذكر بعضهم «ٱلزبور» من باب ٱلظّن وٱلتخريص. فوجد فى ذلك ٱلفرصة ليقول مثل قولهم:

[تلك «الكتب» كانت متمايزة كل التمايز عن تلك التي لـ «الذين هادوا» من أتباع موسى، وعن تلك التي لـ «النصارى» من أتباع الناصري][١].

«كل التمايز» قول يجعل من «تارديو» متفوّقًا فى ٱلتخريص على من بدأ به. إلاّ أنه كرر ما قاله ٱلمفسرون «**أن الذين هادوا أتباع موسى، وأن النصارى من أتباع الناصري**».

«ٱلناصرى» ٱسم نسبة إلى ٱلناصرة. ولو كان ٱسم ٱلاتباع فى ٱلقرءان من هذا ٱلباب فحقّ ٱلاسم أن يكون «ٱلناصريون وٱلناصريين» وليس «ٱلنَّصٰرى». ولكن ٱلمفسرون قالوا بذلك و«تارديو» ينقل عنهم بأمانة.

ويتابع ٱلسيد «تارديو» سفاهته فيقول:

[ونظراً للموقع المتوسط الذي يشغله الصابئة بين اليهود والمسيحيين في سورتي «البقرة» و«المائدة» فلا بدّ أن تلك «الكتب» كانت ذات عناصر مشتركة مع هؤلاء وأولئك. ولا يمكن أن يكون أصحاب مثل تلك «الكتب» آنذاك غير غنوصيين بالمعنى الضيق للكلمة][٢].

ٱستبدل ٱلسيد «تارديو» فى هذا ٱلقول ٱسم «ٱلذين هادوا» (ٱلذى يدلنا على موقف ٱلقوميين وٱلسلفيين وعصبيتهم) بٱسم «ٱليهود» ٱلذى يدل لديه ولدى ٱلسادة ٱلمفسرين على دين موسى.

وهذا ما فعله مع ٱسم «ٱلنَّصٰرى» ٱلذى يدلنا على موقف ٱلتناصر ٱلأممى. وقد ٱستبدله بٱسم «ٱلمسيحيين» ٱلذين يتبعون ٱلمسيح.

أما «توسط الموقع» و«تلك الكتب» ومشاركة ٱليهود وٱلمسيحيين فى «عناصر» فقد أوصلته إلى ما يرغب فيه. أمّا مقدماتها فلا وجود لهآ إلا فى رأسه. وهىَ أن

---

(١) ٱلمرجع ٱلسابق ص ٤١.

(٢) ٱلمرجع ٱلسابق ص ٤١.

«أصحاب مثل تلك «الكتب» آنذاك غير غنوصيين(*) بالمعنى الضيق للكلمة».

فأن يكون هناك كتب غنوصية وكتّاب أو قرآء فهذا ليس بٱلأمر ٱلذى يختلف فيه أحد مع ٱلسيد «تارديو». لكن أن يستخرج هذه ٱلكتب وعناصرها ٱلمشتركة مع ٱليهود وٱلمسيحيين من ٱلبلاغ ٦٩ ٱلمآئدة و٦٢ ٱلبقرة وأن يتوصل لتحديد هوية أصحاب هذه ٱلكتب ٱلفكرية فهذآ أمر لن يقبله جاهل غير «تارديو» بعد أن ينظر فى كلمات ٱلبلاغ.

ويزداد تخريص «تارديو» تصعيدًا فى ٱلمسألة:

[وهم فرع عربي مكي لتيار النسخ المقدس الذي دوّن باللغات اليونانية والسريانية، والقبطية، مجموعات النصوص التي شهدت عليها الدراسات المسيحية القديمة للملل والنحل، أو التي تـمَّ اكتشافها في تاريخ حديث مؤخراً. وقد أطلق القرءان على هذه الجماعة اسم «أهل الكتاب» فهل يسمح لنا هذا أن نمضي شوطاً أبعد في تحديدنا لهم؟](١).

لقد ظنّ «تارديو» أنّه توصل إلى معرفة ٱلصابئين. وهو بذلك يتفوق على تخريص ٱلمفسرين ٱلذين لم يفهموا قول «ٱلجهلة ٱلمشركين» عن ٱسم ٱلصّابئين. فقال إنهم **«فرع عربي مكي لتيار النسخ المقدس،.. وقد اطلق القرءان على هذه الجماعة اسم «أهل الكتاب»!**

لآ أدرى كيف توصل ٱلسيد «تارديو» إلى هذا ٱلتحديد. فهو فى كتابه لم يبيّن كيف ٱستنبط ذلك. خصوصًا أنه يوكد ٱلفشل فى ذلك ٱلتحديد.

ويتابع فيمضى شوطًا أبعد ويقول فى ذلك:

[بكل تأكيد لا بد لنا من التحفظ بعد فشل جميع محاولات التحديد انطلاقاً من اشتقاق الاسم](٢).

(*) gnoseology غنوصولوجيا (نظرية ٱلمعرفة) ٱلنظرية ٱلتى تبحث فى جوهر عملية ٱلمعرفة وأسسها وألوانها.

(١) ٱلمرجع ٱلسابق ص ٤١.

(٢) ٱلمرجع ٱلسابق ص ٤١.

ثمّ يترك قول ٱلمفسرين ويتوجه إلى ٱلمستشرق ٱلانكليزى «إدوار بوكوك» ليتبنى مسألة لسانية عن «ٱلاشتقاق» كما جآءت عند «بوكوك» فيقول:

(«أن «صابئ» مشتقة من العبرية «صبا» بمعنى: جيش أو فرقة، وأن الجمع باللغة العربية «صابئة» و«صابئون» لا تدل على «عسكريين» أو«جنود» وإنـما على عبدة «صبا هسمايم» أي «جيش السماوات»).

ويصدر «تارديو» حكمه على ما رأىٰه «بوكوك» فيقول:

[إن الاشتقاق الذي اقترحه بوكوك لا غبار عليه فهو صحيح][1].

وهكذا يظهر ٱلسيد «تارديو» عالم فىَ أصول ٱلألسن ٱلشامية!

ونتابع مع «تارديو» إلى ما يريده من هذا ٱلخلط ٱلغريب علىَ أى دراسة شبه جديّة فيقول:

[وها هنا تتوضح ثلاثة أمور جوهرية تشرح ظهور القرآن كتاباً وعقيدة. فالطابع الإلهي للنص الموحى به في حالة تجلٍ، وفكرة تعالي الله علوّا مطلقاً، ثم فكرة دمج يسوع بالروح القدس، هي المقولات الثلاث لنضال الغنوصية التاريخية، وهي التي تؤلف الإرث الغنوصي المباشر في القرآن][2].

لقد تمكن «تارديو» من خلط خبرة «بوكوك» فى مسألة ٱلاشتقاق مع ما رأىٰه فى ٱلبلاغ ٦٩ ٱلمآئدة و٦٢ ٱلبقرة إلى تحديد لهوية «ٱلصابئين». وكان قد لجأ إلى «بوكوك» لأنّ ٱلمفسرين لم يبينوا له هوية ٱلصّابئين على ٱلرغم من عرضهم لقول ٱلجهلة ٱلمشركين «**ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ**».

وقد ٱشتكى «تارديو» منذ ٱلبداية من أن ٱلمصادر لم تذكر عنهم شيئًا. وٱنتظرت منه أن يتوقف عن ٱلركض ورآء ٱلسّراب ٱلذى صنعه ظنُّ ٱلمفسّرين وٱلمحدّثين له. إلاّ أنه فجأة كشف كل شىء عنهم بكلمة «صبا» ٱلعبرية كما فهمها ٱلسيد «بوكوك». ووجد فيها كل هذا ٱلخلط ٱلذى عرضنا له.

---

(١) ٱلمرجع ٱلسابق ص ٤٢.
(٢) ٱلمرجع ٱلسابق ص ٤٣.

وفى مختصر كتابه عيَّب على كل من «مرغليوت» و«بدرسان» و«هيارب» مواقفهم ٱلنقدية بخصوص مقولات «كولسن» وقال عن هذه ٱلمواقف ٱلنقدية:

[لا يمكن أن تؤدي إلى توضيح اللغز الصابئي توضيحاً متبصراً في النص القرآني وفي حرّان][1].

لقد وجد «تارديو» هذا «اللغز» فيما يسمّيه «الإرث الغنوصي». وٱلغنوصية حركة فلسفية بين مدارس شرقية وغربية منها ٱلإفلاطونية وفروعها وٱلزرادشتية وٱلدهرية وغيرها. وقد خلط بين نشاط ٱلناس ٱلفكرى وٱلوحى ٱلإلـٰهى.

وحتىَ إذا قبلنا بما يقوله «تارديو» من أن ٱلغنوصيين يمثلون ٱلصابئين فى ذلك ٱلوقت فإن ما قاله عن «التبصّر في النص القرءاني» وٱلبحث ٱلنقدى فلا ينجم عنهمآ أن ٱلقرءان صدى لأعمال هؤلآء ٱلغنوصيين.

لقد رأيت فى بحوث سابقة أن بلاغ ٱلقرءان يهدى ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلميين. وهذا لا يتوفر فىَ أىِّ نظرية معرفية إنسانية بٱلمطلق. وقد قدّمت بمآ أملكه من خبرة ٱلدليل عليه فى تلك ٱلبحوث.

أما ٱلسيد «تارديو» فقد خلط بين ٱلأسمآء من دون علم فى دليل كلٍّ منها وٱختلق أخرى. وبمقارنة منهاجه مع ما جآء عند ٱلمفسرين وٱلمحدّثين ٱلذين قدّموا له مادة بحثه ٱلمتبصر. فلم أجد فرقًا بينه وبينهم إلا فيما قاله عن ٱلقرءان من أنه وارث للغنوصية ٱلتاريخية.

كتاب «تارديو» صغير بٱلمقارنة مع ما قاله ٱلمفسرون وٱلمحدثون. وفىَ أقوالهم ٱلكثير من ٱلمواد لبحوث متبصرة كبحث «تارديو». وعلى ٱلخصوص قولهم فى ٱلبلاغ ٦٢ ٱلبقرة وٱلذى جآء فيه:

(نزلت في أصحـاب سلمان الفارسي بينا هو يحدث النبي «صلى الله عليه وسلم» إذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم، فقال كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون لك ويشهدون أنك ستبعث نبياً، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبي الله «صلى الله عليه

---

(١) ٱلمرجع ٱلسابق ص ٤٥.

وسلم» «يا سلمان هم من أهل النار»، فاشتد ذلك على سلمان فأنزل الله هذه الآية. وكان إيمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى فلما جاء كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكاً وإيمان النصارى أن من تمسك بالانجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمناً مقبولاً منه حتى جاء محمد «صلى الله عليه وسلم»، فمن لم يتبع محمد «صلى الله عليه وسلم» منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والانجيل كان هالكاً. قال ابن أبي حاتم، وروي عن سعيد بن جبير نحو هذا، قلت وهذا لا ينافي ما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس «إنَّ الـذين آمنوا والـذين هادوا والنصـارى والصابئين من آمن بالـلَّـهِ واليوم الآخر» الآية ـ قال ـ فأنزل الله «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلنْ يُقـبَلَ منه وهو فِي الآخرةِ من الخاسرين» فإن هذا الذي قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملاً إلا ما كان موافقاً لشريعة محمد «صلى الله عليه وسلم» بعد أن بعثه بما بعثه به، فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة، . .)[١].

فقال «تارديو» مثل قولهم أنَّ ٱلذين هادوا هم ٱليهود وهم أتباع موسى وأن ٱلنّصٰرى هم ٱلمسيحيين وهم أتباع عيسى. وبنى رأيه على هذا ٱلفهم فيما يتعلق بٱلصَّابئين.

وكلّ من «تارديو» وٱلمفسرين لم يلجأ إلى دليل ٱلاسم صابئ ودليل ٱلفعل صَبِئَ. ولا لما ورد فى قول ٱلمفسرين عن قول ٱلمشركين فى مكَّة عن محمد وأتباعه «ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ». فٱلصابئون فى مكّة هم ٱلمحتجون على ما هو قآئم فيها من سلطة تستبد وتحتكر ٱلقول فى ٱلدين وفى ٱلأفكار. وٱلاحتجاج إلى جانب ٱلانشقاق هو ما يدل عليه ٱسم صابئ. وٱلصَّابئون فى مكَّة (محمد وأتباعه) كانوا محتجين ومنشقين على ٱستبداد قومهم قريش حتى هاجروا بفعل ظلم قومهم لهم. وقد تغير ٱسمهم من بعد ٱلهجرة إلى يثرب وصار ٱسمهم ٱلمهاجرون. وهذا هو ٱلسبب ٱلذى جعل «تارديو» يقول أنّ ٱسمهم لم يكن له وجود فى ٱلمدينة (يثرب).

---

(١) تفسير القرءان العظيم.

أمّا ما جآء فىَ أقوال ٱلمفسرين فى تفسير ٱلبلاغ ٦٢ ٱلبقرة فهو مرفوض للأسباب ٱلتالية:

أولاً مـا جآء فى هذه ٱلأقوال من أن حكم ٱلبلاغ ٦٢ ٱلبقرة يتعلق بٱلفترة ٱلتى سبقت بعث ٱلنبى محمد ولا يمتد إلى ما بعدها. وهـذا ٱلقول يخالف ٱلبلاغ ذاته وٱلبلاغات ١١٣ و١١٤ و١١٥ ءال عمران و٦٨ و٦٩ ٱلمآئدة ٱلتى توكّد على ٱستمرار ٱلحكم لصالح من يؤمن بٱللّٰه وٱليوم ٱلأخر ويعمل صالحًا من أىّ طآئفة كان ولمن يقيم ٱلتورىٰة وٱلإنجيل.

ويلاحظ على ما قاله ٱلسادة ٱلمفسرون أن ٱلبلاغ ٦٢ ٱلبقرة ٱلذىَ أورد جزءا منه ٱبن كثير فى تفسيره فلم يورد شرط «عمل صٰلحًا» لما له من أهمية فى تكوين ٱلحكم وٱستمراره.

ثانيًا ما جآء على لسان ٱبن عباس عن ٱلبلاغ ٨٥ ءال عمران ينسب إلى ٱلتحريف. فقد ٱستبدل ٱلفعل «يَبتَغِ» بٱلفعل «يتبع» ثم بنى قوله ٱلمناسب لهذا ٱلتبديل فجآء ٱلقول مخالفًا للبلاغ. كمآ أنه ساق قوله إلىَ إلغآء ٱلبلاغ ٦٢ ٱلبقرة. وينسحب هذا ٱلإلغآء على بقية ٱلبلاغات ٦٨ و٦٩ ٱلمآئدة ١١٣ و١١٤ و١١٥ ءال عمران. ويخالف ٱلبلاغ ٤٨ ٱلمآئدة:

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

وأرى فى ٱلبلاغ ٨٥ ءال عمران بدليل ٱلفعل «يبتغ» ٱلذى يدلّ على تجاوز ٱلحد. أنّه يحذر من توجّـه ٱلانسان مستندًا إلى ٱلظن ٱلذى يجعله يتجاوز حدود ٱلحقّ ويسوقه إلى ٱلخسارة ٱلكاملة ٱلتى يمتد أثرهآ إلى ٱلأخرة. وبيّن أن هذا ٱلتجاوز لن يقبله ٱللّٰه.

ولقد بين بلاغ ٱلقرءان أن ٱلتجاوز ٱلواقع هو على دين ٱلحقّ وهو ٱلذى يحمل ٱسم «ٱلإسلٰم»:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ ١٩ ءال عمران.

هذا ٱلتجاوز ٱلذى بين ٱلبلاغ أنه «لن يقبل» نجد تجاوزًا مثله فى قول ٱلمفسرين. فدليل «ٱلإسلَٰم» هو فى خضوع ٱلوجود (فيزيآء وبيولوجيا وٱلبلاغ عنها) للَّه بقوَّة دين (قوانين) ٱلفطرة. وأن تجاوز قوانين ٱلفطرة يخرج ٱلمتجاوز من ساحة ٱلحقِّ إلى ٱلباطل.

فقد جآء فى ٱلبلاغ أنَّه بدين ٱلفطرة تحدث سنَّة تسوية ٱلخلق ٱلتى لا تُبدَّل ولا توجد سنَّة أخرى غيرها فى ٱلوجود:

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ ٥٦ ٱلأنبيآء.

﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ٧٩ ٱلأنعام.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٠ ٱلروم.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ /١٢٧/ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ /١٢٨/﴾ ٱلأنعام.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ١٣٢ ٱلبقرة.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ ٧٨ ٱلحج.

وٱلذى يظهر من ٱلبلاغات ٱلتى رتلنا (وهناك كثير غيرها لا يتسع لها هنآ) أن ٱلتكوين يخضع لدين ٱلفطرة. وبه تجرى سنّة ٱلتطور وٱلهلاك ٱلتى تحكم ٱلتكوين بكل ألوانه بما فى ذلك ٱلبلاغ «حنيفًا ومآ أنا من ٱلمشركين». وأن دين ٱلفطرة هو «ٱلدّينُ ٱلقيّمُ» وهو ٱلدين ٱلذى طلبه كلّ من إبرٰهيم وإسمٰعيل لنفسيهما ولذرتيهما. وهو ٱلخضوع للَّه وحده «مُسلِمَين لَكَ، . . مُسلِمَةً لَكَ». وهو ٱلدِّين

ٱلمصطفى ٱلذى لا حرج فيه. وٱلذى ٱختار له إبرٰهيم ٱسم «ٱلإسلَـٰم» وهو ٱسم يدلّ على ٱلاستسلام وٱلخضوع بعلم وإرادة لرب ٱلسَّمـٰوٰت وٱلأرض. وٱلامتناع بعلم ومعرفة عن مخالفة ٱلحقّ ٱلوجودى ودين ٱلفطرة.

فى ٱلبلاغ ٦٢ ٱلبقرة ووكذلك ٱلبلاغ ٦٩ ٱلمآئدة شرط ٱلحد ٱلأدنى للإسلام ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾. وجآء فى ٱلبلاغ ٨٥ ءال عمران أن من يتجاوز هذا ٱلحد ٱلأدنى «فلن يقبل منه وهو فى ٱلأخرة من ٱلخـٰسرين». لأنه يخرج من دآئرة ٱلحقِّ إلى دآئرة ٱلظن وٱلتخريص.

أما ٱلحد ٱلأعلى للإسلام فهو مؤسس على ٱلحد ٱلأدنى ويرتفع ٱلإنسان فيه بتذكّر أوامر ٱللَّه ٱلتى جآءت فى بلاغات ٱلقرءان وٱلتزام طاعتها من دون غيرها من ٱلأوامر ٱلتى تتعارض معهآ أيًّ كان مصدرها.

وأرى فى ٱلموقف ٱلمتعصب لقول ٱلمفسرين وٱلمحدّثين موقف ٱلذين هادوا وهو موقف يخالف ٱلبلاغ «حنيفًا ومآ أنا من ٱلمشركين» سوآء ءكان هذا ٱلموقف فى ٱلماضىَ أم ٱليوم أم فى ٱلغد. لأنّ ٱلموقف ٱلمتعصب فيه إحتكار للقول فى دليل ٱلبلاغ على ٱلرغم من وجود ٱلتحريف وٱلظن وٱلتخريص ٱلذى يحذر منه ٱلبلاغ ٨٥ ءال عمران «فلن يقبل منه وهو فى ٱلأخرة من ٱلخـٰسرين».

كمآ أن موقف ٱلتعصب هذا (ٱلذى يوقف فى وجه أى بحث جديد ويقابله بٱلعدآء) قد جآء عنه فى ٱلبلاغ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ﴾ وهو يشمل كل ٱلذين يوقفون فى وجه ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلميين وبلاغاتهما. ويمنعون ٱنتشارها بين ٱلناس ويعمّمون فلسفة «ٱلمجوس وٱلذين أشركوا» فتقسى ٱلقلوب وتجفّ منابع ٱلعلم وٱلتقدم فى حياة ٱلناس بسبب منع ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلميين وطغيان ٱلجهل وٱلتخلف.

وإنّ أشدّ ٱلمواقف عدآءً للعلم كما يبيّن ٱلبلاغ هم «ٱليهود» ٱلسّلفيون أصحاب ٱلتوجّه ٱلقومى ٱلمتعصب و«ٱلذين أشركوا». أما «ٱلنَّصـٰرى» فهم «أقرب مودّة» بسماحهم لبلاغات ٱلعلم بٱلانتشار بين ٱلناس وتحريضهم على ٱلبحث ٱلعلمى.

إن ٱلموقف ٱلمتعصب لقول ٱلمفسرين وٱلمحدّثين يجعل هذا ٱلقول فى مرتبة «ٱلمطلق». فى ٱلوقت ٱلذى نجد فيه أن بلاغ ٱلقرءان يوصف بٱلمتشابه ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾.

وهذا ٱلوصف لقول ٱلمفسرين وٱلمحدّثين وٱلتعصب له يمثل قمة ٱلتجاوز لـ «ٱلإسلَٰم للَّه ربِّ ٱلعٰلمين» من قبل ٱلمتعصبين. وفيه دعوة ٱلناس للتوجه إلى ٱلإسلام لمآ أدركه ٱلمفسرون وٱلمحدثون. وهو عين ٱلشرك.

إن منع ٱلنظر وٱلبحث فى بلاغ ٱلقرءان هو منع للدعوة إلى ٱللَّه ٱنسجامًا مع سنَّة ٱلاصطفآء ٱلفطرية فىَ أطوار ٱلرّوح. وخصوصًا طُور «جبريل» وطُور «ميكٰل».

كمآ أن ٱلتعصب ومواقف ٱلعدآء للنظر وٱلبحث هو محاولة لتعطيل ٱلبلاغ ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ وٱعتبار أن هذا ٱلحين هو حين ٱلمفسرين وٱلمحدّثين.

وخلاصة ٱلقول فى ٱلبلاغ ٦٢ ٱلبقرة. أن ٱلإيمان بٱللَّه وٱليوم ٱلأخر لا يُحقَّقُ بٱلقول وحده. بل يلزمه ٱلدليل ٱلحسى ٱلذى يمثله عمل ٱلإنسان ٱلفرد ٱلذى يلتزم بصفة ٱلعمل «صالحًا» سوآء ءكان هذا ٱلإنسان من علمآء ٱلنظر وٱلبحث «ٱلذين ءامنوٱ». أم من ٱلمتعصبين لقومهم وءَابآئهم «ٱلذين هادوٱ» أم من ٱلأمميين «ٱلنَّصٰرى» أم كان من ٱلمحتجين ٱلمنشقين «ٱلصَّابئين أو ٱلصَّٰبئون». وهم ٱلأطراف ٱلأربعة ٱلذين يستطيع ٱلفرد منهم تحقيق ٱلحد ٱلأدنى للإسلام ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

أما «ٱلمجوس وٱلذين أشركوٱ» فلم يعددهم ٱلبلاغ ٦٢ ٱلبقرة و٦٩ ٱلمآئدة. فى حين عدَّهم ٱلبلاغ ١٧ ٱلحج لإرادة عدّ ٱلمواقف وتحديد زمن ٱلفصل بينها.

إنّ بعض أطراف ٱلموقف ٱلمتعصب للمفسرين وٱلمحدّثين يدعو ٱليوم لإقامة دولة إسلامية شبه ٱلدولة ٱلإسلامية ٱلتاريخية ٱلتى سقطت وتفككت مع ٱلحرب ٱلكونية ٱلأولى فى ٱلقرن ٱلعشرين. وهذا يدعونى لأن أبيّن ٱلرأى فى ٱلإثنين معًا.

جآء فى ٱلبلاغ:

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ ١٤ ٱلحجرات.

«قولوٓاْ أسلمنا» يبين إسلامًا وخضوعًا لسلطة ٱلنبى ٱلذى ظهرت قوته ٱلعسكرية وٱلسياسية. وإسلام هؤلآء هو فىَ إلقآء سلاحهم وخضوعهم لهذه ٱلسلطة من دون إيمان بدليل ٱلقول ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾.

وما جآء من بعد ٱلنبى هو زيادة ٱلمساحة ٱلتى تخضع للسلطة ٱلسياسية ٱلتى ٱتبعها من بعده خلفآء سياسيون. وٱلدولة ٱلتى تأسست وٱستمر وجودها حتى نهاية ٱلحرب ٱلكونية ٱلأولى لا تدخل فى مفهوم ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾. إلآ أن أفرادا عاشوا فيها لا يعلمهم إلاّ ٱللّه يدخلون فى مفهوم ٱلايمان بٱللّه وٱليوم ٱلأخر وٱلعمل ٱلصالح كأفراد.

وإنّ دراسة تاريخ هذه ٱلدولة وأساليبها فى ٱلحكم تجعلنىَ أعدُّها مع ٱلدول ٱلاستبدادية. وهى صفة ليست من ٱلإسلام فى شىء. بل هى تعاديه وتوقف فى وجهه. وقد أوجدت هذه ٱلسلطة ٱلاستبدادية ما يسيِّغ ٱستمرارها وٱستبدادها. فٱختلقت دينًا بديلا لدين ٱلإسلام للّه. وقدّم لها ذلك من يندرج تحت دليل ٱسم «ٱليهود» وٱسم «ٱلمجوس» وٱسم «ٱلذين أشركواْ».

وإن ٱلطلب ٱلمتزايد على ٱلإسراف فى ٱلموارد ٱلمالية وٱلاقتصادية وطاعة هذا ٱلطلب يخالف ٱلأمر «ولا تطيعواْ أمرَ ٱلمسرفين» هو ٱلذى سيَّغ ٱستمرار ٱلإسلام للسلطة وأعاق طريق ٱلإسلام للّه. وما يزال يعيقه ويحاربه حتى ٱليوم فى كل مكان.

لقد كان ٱلايمان ٱليقينى بٱللّه وٱليوم ٱلأخر وتصديقه بٱلعمل ٱلصالح فرديًا فى كلّ وقت. وهو أمر يصبّ عليه ٱلتعصب ٱلجماعى غضبه وكراهيته. وقد قتل ٱليهود الأنبيآء. وقتل إسلام ٱلسلطة أصحاب ٱلنبى وٱلصهر وٱلأحفاد. وٱتهموا

ٱلناظرين وٱلباحثين فى ٱلبلاغ بٱلزندقة. وقتلوا ٱلكثير منهم. وجآء إسلام ٱلسلطة بٱلمفسّر وٱلمحدّث ليسيِّغ جرآئمه. فألغى ٱلعمل بٱلبلاغ ٱلإلـٰهى وقطع سبيل ٱلإسلام للَّه. فعمّ ٱلفساد وٱنتشر ٱلجهل وٱلتخلف وٱلمرض فى جميع أرجآء ٱلدولة.

فماذا نقول فى ٱلذين يدعون لإقامة مثل هذه ٱلدولة؟

أقول هذه دعوة لإقامة ميّت.

وأختم عملى فى هذا ٱلكتاب بٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ /٦٨/ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ /٦٩/﴾ ٱلعنكبوت.

ٱللاذقية فى ١٩٩٩/٧/٧

يثير المؤلّف في هذا الكتاب العلاقة بين القرآن والعلوم الطبيعية معتبراً أن العلم بحاجة إلى هداية، وهذه الهداية موجودة في كتاب الله الذي يتّسع فهمنا له باتساع علمنا ومعرفتنا.

ويفجّر المؤلف مسألة لغوية حول لسان القرآن وعلاقته باللغة العربية الفصحى التي يرى أنها عمل شعراء وكهنة ويعتبرها لغواً أُريد به تحريف كلام الله. فاللسان العربي ليس نسبة لقوم وإلا كان كلام الله عاجزاً عن بيان آياته في الوجود وقاصراً عن هداية العلم.

في هذا الكتاب مواضيع علمية كثيرة بيولوجية وفيزيائية وفلكية ربطها المؤلف بالقرآن، وكذلك فيه مفاهيم جديدة ومثيرة عن الدين غير مألوفة للناس.

سمير إبراهيم خليل حسن باحث وكاتب سوري. بدأ بدراسة الفكر الديني منذ عام ١٩٩٢ من أجل نقده، ولكنّه تحوّل من نقد الدين إلى الدعوة إلى كتاب الله والنظر فيه بأسلوب علمي يرى أنه الطريق نحو المدنية. وهو يجتهد اليوم ليكتب بخط القرآن ويستعيض عن المفردات الدارجة بمفردات القرآن. له مدونة فرعية على موقع الحوار المتمدن: http://www.ahewar.org/m.asp?i=879


ISBN 978-1-85516-717-9

12.00 $

